سلسلة الرشد للرسائل الجامعية (٢٧٤)

# التحفة العراقية

## في الأعمال القلبية

تحقيق ودراسة


تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية

رحمه الله تعالى

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره

د/ يحيى بن محمد بن عبدالله الهنيدي

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

بكلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب - أبها



مكتبة الرشد

ناشرون

# التحفة العراقية

## في الأعمال القلبية

تحقيق ودراسة

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية
رحمه الله تعالى
(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وآثاره
د/ يحيى بن محمد بن عبد الله الهنيدي
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
بكلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب - أبها

مكتبة الرشد
الرياض

الطبعَة الأولى

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م

مَكتَبة الرشد للنَشر والتوزيع

* المملكة العربية السعودية - الرياض - طريق الحجاز

ص ب ١٧٥٢٢ الرياض ١١٤٩٤ هاتف ٤٥٩٣٤٥١

فاكس ٤٥٧٣٣٨١

* فرع مكة المكرمة: - هاتف ٥٥٨٥٤٠١ - ٥٥٨٣٥٠٦

* فرع المدينة المنورة: - شارع أبي ذر الغفاري - هاتف ٨٣٤٠٦٠٠

* فرع القصيم بريدة طريق المدينة - هاتف ٣٢٤٢٢١٤

* فرع أبها: - شارع الملك فيصل هاتف ٢٣١٧٣٠٧

* فرع الدمام: - شارع ابن خلدون - هاتف ٨٢٨٣١٥٧

# التحفة العراقية

في الأعمال القلبية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

**أما بعد:**

**(أ) سبب اختيار الموضوع وأهميته:**

لقد شاء الله عز وجل أن أكون من طلاب قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وعندما فكرت في اختيار موضوع أتقدم به لنيل درجة التخصص الأولى في العقيدة «الماجستير» جال في خاطري أن أبحث عن مخطوط يدافع عن عقيدة السلف ويتصدى للباطل، فإن الله قد قيض لهذه الأمة الإسلامية من أبنائها المخلصين من يدافع عن هذه العقيدة السلفية الصحيحة باللسان والسيف والقلم، منذ فجر الإسلام وإلى أن تقوم الساعة.

ولما كان لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ قصب السبق في ذلك مع ما تحمله كتبه من عبارات صادقة وقوية تستمد صدقها وقوتها من الكتاب والسنة قررت أن أبحث عن مخطوط لهذا العالم المجاهد باللسان والسيف والقلم. وقد هداني الله عز وجل إلى مخطوطة بعنوان: «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقمت بدراسة وتحقيق لهذا الكتاب؛ لأهميته بعد موافقة الكلية على ذلك.

وتأتي أهمية هذا الكتاب من أمرين :

١ ـ من موضوعه: فموضوعه أعمال القلوب التي هي من أصول الإيمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله والإخلاص له والتوكل عليه والشكر له، والصبر على حكمه والرضا به، ونحو ذلك من أعمال القلوب التي أمر الله تعالى بها عباده في كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم ﷺ، والتي لا صلاح ولا سعادة للقلوب إلا بالقيام بها.

٢ ـ من مؤلفه: فقد صاغ عبارته عالم جليل عاش في ظلال القرآن والسنة وقضى حياته مجاهدًا في سبيل الله، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ المشهور بعلمه وجهاده، وكفاحه من أجل هذه العقيدة السلفية الصحيحة.

وقد أردت أن أتتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب القيم، وأن أتبصر بمنهجه وأستفيد من علمه.

لهذا رأيت أن هذا الكتاب مهم في بابه نافع في مجاله جدير بالدراسة والتحقيق فكان موضوعًا لرسالتي لنيل درجة التخصص الأولى في العقيدة «الماجستير».

(ب) **خطة البحث :**

وقد قسمت العمل في دراستي وتحقيقي لهذا الكتاب إلى قسمين :

* **القسم الأول من البحث: الدراسة، وتقع في بابين:**

**الباب الأول: تعريف موجز بالمؤلف.**

وفيه فصلان :

الفصل الأول : عصر المؤلف .

والكلام فيه على الأمور التالية :

أولاً: الحالة السياسية.

ثانيًا: الحالة الاجتماعية.

ثالثًا: الحالة العلمية.

**الفصل الثاني: حياة المؤلف.**

والكلام فيه على الأمور التالية:

أسرته.

مولده واسمه وكنيته.

نشأته.

ذكاؤه.

طلبه العلم وثناء العلماء عليه.

توليه التدريس.

رحلاته ومحنه.

آثاره العلمية.

**الباب الثاني: في الحديث عن كتاب «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ وفيه فصلان:**

**الفصل الأول: تعريف بالكتاب.**

والكلام فيه على الأمور التالية:

١ ـ اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه وسبب تأليفه.

٢ ـ موضوعه ومنهجه في تأليفه.

٣ ـ مخطوطات الكتاب.

الفصل الثاني: بيان ودراسة لأهم الأعمال القلبية عند أهل السنة والرد على المنحرفين فيها من الصوفية وغيرهم.

والكلام فيه على الأمور التالية :

(أ) تمهيد ويشتمل على :

١ ـ نبذة تاريخية مختصرة عما كتب في هذا الموضوع .

٢ ـ التعريف بالمصطلحات التي ذكرها المؤلف في الكتاب .

٣ ـ الكلام عن القلب وقوله وعمله .

٤ ـ درجات الناس في أعمال القلوب .

(ب) البيان والدراسة لأهم الأعمال القلبية عند أهل السنة مع الرد على المنحرفين فيها ، وتشتمل هذه الدراسة على الأعمال القلبية التالية :

- النية .
- الإخلاص .
- الصدق .
- التوبة .
- الصبر .
- الإيمان .
- الزهد .
- التوكل .
- التقوى .
- الرضا .
- الرجاء .
- الحزن .
- الخوف والخشية .
- الذكر .

- الشكر.
- الخشوع.
- الإنابة.

* **القسم الثاني من البحث: «الكتاب محققًا»:**

والمنهج الذي اتبعته في تحقيق الكتاب يتلخص في النقاط التالية:

١ ـ لم أعتمد على واحدة من النسخ كأصل، بل أثبت في النص ما أجمعت عليه النسخ الأربع المخطوطة، وعند الاختلاف بينها، أثبت في النص ما صح عندي، سواء أكان ذلك من نسخة واحدة أو أكثر. ثم أسجل فروق النسخ الأخرى في حاشية الكتاب.

٢ ـ لم أكتف بنسخ الكتاب الأربع المخطوطة في تصحيح النص وتحريره، بل استعنت في ذلك بمطبوعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ومطبوعة المكتبة السلفية التي نشرها: قصي محب الدين الخطيب لتلك الرسالة. فإذا وافقتا النسخ الأربع المخطوطة أو إحداها، أهملتهما فلم أذكرهما في الفروق بين النسخ في الحاشية، لئلا تطول الحواشي بذلك. وإذا انفردتا كلاهما أو إحداهما عن النسخ الأربع المخطوطة ـ وهذا قليل جدًّا ـ فإذا كانت عبارتاهما أو إحداهما راجحة على النسخ المخطوطة أثبتها في النص وأشير إلى ذلك في الحاشية، وإن كانت مرجوحة أو خطأ أشرت إليها في الحاشية.

٣ ـ وضعت السقط من بعض النسخ إذا كان كبيرًا بين خطين معقوفين في النص وأشير إلى ذلك في الحاشية.

٤ ـ نسبت الآيات الواردة في الكتاب إلى سورها في القرآن الكريم.

٥ ـ وضعت عناوين جانبية في هامش الكتاب، ليست من المؤلف، وإنما وضعتها لحاجة الكتاب إلى ذلك؛ حتى يسهل على القارىء الرجوع إلى الموضوع الذي يريده بيسر وسهولة.

٦ ـ قمت بتخريج الأحاديث التي وردت في الكتاب، واتبعت في تخريجها والحكم عليها ما يلي:

أ ـ إذا أشار المؤلف إلى وجود الحديث في «الصحيحين» خرجته منهما معًا، وإذا أشار إلى وجوده في أحدهما اكتفيت بتخريجه منه، ولا أطيل بعد هذا في الإشارة إلى أماكن وجوده في غيرهما، وربما فعلت ذلك أحيانًا.

ب ـ إذا كان الحديث في غيرهما من كتب الحديث سواء أشار إلى ذلك المؤلف أم لا، فإني أشير إلى مكان وجوده، وأذكر الحكم عليه من بعض المحدثين كالترمذي والحاكم وغيرهما.

٧ ـ وثقت الآثار والأقوال المصرح بها والمشار إليها في الكتاب ما أمكن ذلك.

٨ ـ شرحت الكلمات الغريبة، وبينت مدلولها من كتب اللغة المعتمدة في ذلك.

٩ ـ أثبت الأدعية مثل: «ﷺ»، و«رضي الله عنه»، و«رحمه الله» ولو انفردت بها نسخة واحدة دون أن أشير إلى ذلك في الحاشية.

١٠ ـ عرفت بالأعلام الذين ذكرهم في الكتاب إلا من لا يحتاج إلى تعريف.

١١ ـ تناولت بالتعريف الفرق التي وردت في الكتاب.

١٢ ـ طوعت الخط القديم الذي كتبت به النسخ إلى اصطلاحات الإملاء الحديثة من غير أن أذكر ذلك في الحاشية؛ لئلا تطول بذلك الحواشي،

مثل إهمال الهمزة في كلمة «القائلون»، أو كتابتها ياء «القايلون»، ونحو ذلك.

١٣ ـ استخدمت علامات الترقيم المصطلح عليها حديثًا؛ لكي تساعد القارىء على فهم النص.

ثم قمت بعمل فهارس شاملة للكتاب تيسيرًا للرجوع إليه والانتفاع الكامل به، اشتملت على ما يلي:

أ ـ فهرس الآيات القرآنية.

ب ـ فهرس الأحاديث النبوية.

ج ـ فهرس الآثار عن الصحابة وبعض التابعين.

د ـ فهرس اللغة.

هـ ـ فهرس الشعر.

و ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.

ز ـ فهرس الفرق.

ح ـ فهرس المصادر والمراجع.

ط ـ فهرس الموضوعات.

وفي الختام أسجل شكري لله العلي القدير، المتفضل عليَّ بالنعم الكثيرة، الذي أمدني بالعافية حتى أتممت هذا العمل، مع علمي أنني لم أوف هذا العمل حقه؛ إذ الكمال لله وحده، فما كان فيه من حق وصواب فبفضل الله ورحمته، وما كان فيه من زلل فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

ثم أشكر شيخي الفاضل الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي ـ حفظه الله تعالى ـ لما أسداه إليَّ من نصح وتوجيه وإرشاد وتنبيه إبَّان

إشرافه على هذا البحث، سائلاً الله تعالى العلي القدير أن يجزيه عني خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

كما أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأخص بالذكر منسوبي كلية أصول الدين بالشكر على ما قدموه لي من تسهيلات، كما أشكر كل من ساعدني وساهم معي في إخراج هذا البحث.

وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي خالصًا صائبًا، خالصًا لوجهه الكريم، صائبًا وفق كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

**وكتبه**

**يحيى بن محمد الهنيدي**

**أبها ١/ ٥/ ١٤٠٥ هجرية**

# القسم الأول

# «الدراســــــة»

وتقع في بابين :

الباب الأول : تعريف موجز بالمؤلف .

الباب الثاني : في الحديث عن كتاب «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» .

# الباب الأول

# تعريف موجز بالمؤلف

وفيه فصلان :

الفصل الأول : عصره.

الفصل الثاني : حياته.

## عصر ابن تيمية

للبيئة أثرها الكبير في الإنسان بمشيئة الله تعالى، سواء في ذلك البيئة الطبيعية أو الاجتماعية أو السياسية، وقد أثرت البيئة في حياة كثير من الناس ومصائرهم وخاصة الذين صبروا على ما فيها من عادات وتقاليد متأصلة، فلم يعملوا للخروج عنها مع ما قد يكون فيها من ضلال وفساد، ولم يخرج عن أحكام البيئات الضالة إلا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذلك الذين اتبعوهم من المصلحين المجددين الذين تركوا ما توارثه الناس من عادات وتقاليد ليست من الحق في شيء فعملوا على الوقوف دونها وتغييرها، وتحملوا صابرين راضين بما لاقوا من اضطهاد وبلاء في هذه السبيل الكريمة.

ومن هؤلاء المصلحين شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد رأيت أن أبدأ الكلام عن العصر الذي عاش فيه دون تفصيل. وسوف يكون الكلام فيه على ثلاثة أمور:

١ ـ الكلام عن الحالة السياسية.

٢ ـ الكلام عن الحالة الاجتماعية.

٣ ـ الكلام عن الحالة العلمية.

* **أولاً: الحالة السياسية:**

لقد ظلت الدولة الإسلامية دولة موحدة في جميع الديار الإسلامية، طوال عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، ثم نشب صراع عنيف بين الأمويين والعباسيين انتهى بقيام الدولة العباسية في الشرق، والدولة الأموية في الغرب بالأندلس، ثم بإنشاء دول أخرى في شمال أفريقيا، واستقر الأمر للدولة العباسية بالمشرق، حتى حدثت الفتنة بين الأمين والمأمون، وكان هذا إيذانًا بتمزق الدولة الإسلامية، ثم تتالت أحداث أخرى زادت من التمزق في الدولة العباسية، فضعف مركز الخلافة وظهرت دول صغيرة في أطراف البلاد الإسلامية واستقل حكامها عن الخلافة مثل: الفاطمية بمصر، والبويهية والخوارزمية في المشرق، وغيرهم من الدول التي نشأت بالمغرب.

وكان لذلك الاستقلال أثره القوي في مركز الخلافة وضعف نفوذ الخلفاء.

ومن الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف اعتماد الخلفاء العباسيين على الأتراك السلاجقة باتخاذهم جندًا لهم بدلاً من العرب والموالي من خراسان، فعمل هؤلاء على الاستئثار بالسلطة حتى تحكموا في الخلافة وأمورها بل في الخلفاء وحياتهم، فكانت له السيادة الاسمية دون الفعلية[1].

وكان من نتائج هذا الضعف والتمزق أن تعرضت البلاد لحدثين عظيمين عاصرهما الشيخ ابن تيمية وهما: ظهور التتار، وزحفهم إلى الشام ومصر، وزحف الفرنج من الغرب إلى الشام ومصر.

---

(١) انظر: «ابن تيمية» بقلم الدكتور/ محمد يوسف موسى: (ص٧ ـ ١٠).

يقول ابن الأثير[1] في الأحداث التي وقعت في سنة ٦١٧هـ: (لقد بلي الإسلام والمسلمون في هذه المدة بمصائب، لم يبتل بها أحد من الأمم، منها: ظهور التتار ـ قبحهم الله ـ أقبلوا على المشرق ففعلوا الأفعال التي يستعظمها كل من سمع بها. ومنها: خروج الفرنج ـ لعنهم الله ـ من الغرب إلى الشام، وقصدهم ديار مصر وملكهم ثغر دمياط منها، وأشرفت ديار مصر والشام وغيرهما على أن يملكوها، لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم»[2].

**(أ) ظهور التتار:**

يصف المؤرخ ابن الأثير في تاريخه «الكامل» حادثة ظهور التتار فيقول:

(لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها، كارهًا لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً وأخر أخرى، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين!!

ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي، إن هذا الفصل يتضمن ذكر الحادثة العظمى، والمصيبة الكبرى التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتل بمثلها لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها . . . ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن

---

(١) هو المؤرخ عز الدين أبو الحسن علي بن عبد الكريم عبد الواحد الشيباني، الجزري الموصلي، المعروف بابن الأثير، مصنف «أسد الغابة في معرفة أسماء الصحابة» وكتاب «الكامل في التاريخ»، وهو من أحسنها حوادث، واستوزر لبعض ملوك الموصل، وتوفي فيها في شعبان سنة ٦٣٠هـ، عن خمس وسبعين سنة رَحِمَهُ اللهُ.
انظر: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: (١٣/ ١٣٩).

(٢) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير: (٢/ ١٣٨).

ينقرض العالم وتفنى الدنيا إلا يأجوج ومأجوج، وأما الدجال فإنه يبقى على من اتبعه ويهلك من خالفه، وهؤلاء لم يبقوا على أحد، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها، وعم ضررها، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح، فإن قومًا خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان مثل: كاشغر وبلاسلغون، ثم منها إلى بلاد ما وراء النهر، مثل: سمرقند وبخارى وغيرهما، فيملكونها ويفعلون بأهلها ما نذكره ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها ملكًا وتخريبًا وقتلاً ونهبًا، ثم يتجاوزونها إلى الري وهمذان وبلد الجبل وما فيه من البلاد إلى حد العراق، ثم يقصدون بلاد أذربيجان وأرنبة ويخربونه، ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منهم إلا الشريد النادر في أقل من سنة، هذا ما لم يسمع بمثله . . .

وسارت طائفة أخرى إلى غزنة وأعمالها، وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها مثل أفعال هؤلاء وأشد، هذا ما لم يطرق الأسماع مثله، فإن الإسكندر الذي اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا ولم يقتل أحدًا، إنما رضي من الناس بالطاعة، وهؤلاء ملكوا أكثر المعمور من الأرض وأحسنه وأكثره عمارة وأهلاً، وأعدل أهل الأرض أخلاقًا وسيرة في نحو سنة، ولم يبت أحد من البلاد التي لم يطرقوها إلا وهو خائف يتوقعهم ويترقب وصولهم)[1].

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير: (٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨). وانظر هذا الكلام في: «البداية والنهاية» لابن كثير: (١٣/ ٨٦، وما بعدها).

ثم يتكلم ابن الأثير المؤرخ عن ديانتهم فيقول:

(أما ديانتهم فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيئًا فإنهم يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها ولا يعرفون نكاحًا بل المرأة يأتيها غير واحد فإذا جاء الولد لا يعرف أبوه)(١).

ولم يزل خطر هؤلاء التتار يزداد، وأمرهم يستفحل وتسقط في أيديهم بلاد الإسلام بلدًا بعد بلد، حتى استولوا على بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية في سنة ٦٥٦هـ، وقتلوا الخليفة، ويصف ابن كثير حالة بغداد بعد استيلاء التتر عليها فيقول:

(ولما انقضى الأمر المقدر، وانقضت الأربعون يومًا، بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم، وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء، فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون)(٢).

فهذا وصف لأولئك التتار الذين ابتلى الله بهم العالم في القرن السابع الهجري، واختص المسلمين بهذا البلاء، وهكذا انتهت دولة بني العباس من بغداد، وأزال التتار بهذا معالم الخلافة الإسلامية، وكان لهذا الغزو التتري أكبر الأثر في حياة الشام ومصر.

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير: (٢/ ١٣٧ ـ ١٣٨). وانظر هذا الكلام في: «البداية والنهاية» لابن كثير: (١٣/ ٨٦، وما بعدها).

(٢) انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٢٠٣).

وفي سنة ٦٥٨هـ صار العراق وخراسان وغيرهما من بلاد الشرق تحت سلطان التتر، وأصبح الطريق أمامهم مفتوحًا إلى الشام، فبادروا إليها بجيوشهم عبر الفرات، وما لبثوا أن ملكوا حلب ثم دمشق، حتى وصلوا إلى غزة في طريقهم إلى مصر[١]. ولما علم سلطان مصر الملك المظفر[٢] ما كان من أمر التتار بالشام وأنهم عازمون على الدخول إلى ديار مصر بعد تمهيد ملكهم بالشام، بادرهم قبل أن يبادروه وبرز إليهم فالتقى الجمعان في عين جالوت، فاقتتلوا قتالاً عظيماً، فكانت النصرة ولله الحمد للإسلام وأهله[٣].

وكان مولد ابن تيمية بعد تدمير بغداد بخمس سنوات، وبعد دخول التتر في حلب ودمشق بثلاث سنوات، وهذا الزحف التتري قد اضطر أسرته إلى الرحيل من حران إلى دمشق، كغيرها من الأسر الكثيرة ـ في حران ـ التي خرجت فرارًا من التتر وظلمهم، ولاشك أن شيخ الإسلام قد شاهد آثار هذا الخراب والدمار بعينه، وسمع هذه الأخبار المؤلمة عمن شاهدوها، مما جعله يقف بشجاعة ضد هذه الوحوش ويحض الناس على جهادهم لما هاجموا الشام سنة ٦٩٩هـ، بل قد خرج بنفسه وبعض أعيان

---

(١) انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٢١٨ ـ ٢١٩).

(٢) هو الأمير سيف الدين قطز تولى السلطة سنة ٦٥٧هـ بعد أن عزل ابن أستاذه نور الدين على الملقب بالمنصور لصغر سنة، فتسلطن وسمى نفسه بالملك المظفر وكان هذا من رحمة الله بالمسلمين فإن الله جعل على يديه هزيمة التتار، وكان مدة ملكه نحو من سنة ثم قتله بعض الأمراء في سنة ٦٥٨هـ، رَحِمَهُ اللهُ وتولى بعده الملك الظاهر بيبرس.
انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٢١٦ ـ ٢٢٢).

(٣) انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

دمشق لمقابلة قائد التتار «قازان» وذلك لأخذ الأمان لأهل دمشق، فاجتمعوا به وكلمة الشيخ تقي الدين بن تيمية كلامًا قويًا شديدًا فيه مصلحة عظيمة عاد نفعها إلى المسلمين[1].

وفي سنة ٧٠٠هـ طلب نائب دمشق وأمراؤها من شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يركب على البريد إلى مصر؛ ليستحث السلطان على الخروج لقتال التتر فرحل إلى مصر وكلم السلطان وأعيان دولته كلامًا قويًا في وجوب الجهاد عليهم، ومازال بهم حتى أجابوه إلى ذلك[2].

وقد حضر ابن تيمية قتال التتر وهزيمتهم في وقعة شقحب في سنة ٧٠٤هـ، وكان يمشي بين الصفوف يشجعهم ويقويهم ويبشرهم بالنصر، وقد هزم الله التتر في هذه المعركة شر هزيمة، وكشف الله بذلك عن المسلمين شرًا عظيمًا[3].

وكان لشيخ الإسلام ابن تيمية بعد الله عز وجل أكبر الأثر في جمع الكلمة في الشام ومصر على قتال هؤلاء التتار، حتى رد الله كيدهم، وأراح المسلمين وبلادهم من شرهم.

### (ب) ظهور الفرنج:

بدأ الفرنج غاراتهم على الشام ومصر، قبل سقوط بغداد في أيدي التتار بأكثر من قرن ونصف، كما يذكر ذلك ابن الأثير في حوادث سنة ٤٩١هـ[4].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية»: (١٤/ ٧).

(٢) انظر: «البداية والنهاية»: (١٤/ ١٥ ـ ١٦).

(٣) المصدر السابق: (١٤/ ٢٣ ـ ٢٦).

(٤) انظر: «الكامل» لابن الأثير: (١٠/ ٩٤).

واستمر الصليبيون في غاراتهم على الشام ومصر، ينتصرون مرة وينهزمون أخرى، وفي سنة ٦٠٠ هجرية كانت الفرنج قد جمعوا جموعًا ليستعيدوا بها بيت المقدس من أيدي المسلمين، فشغلهم الله عن ذلك بقتال الروم، فحاصروا القسطنطينية حتى فتحوها قسرًا وأباحوها ثلاثة أيام قتلاً وأسرًا، وأحرقوا أكثر من ربعها ثم إن الفرنج بعد ذلك قصدوا بلاد الشام وقد تقووا بملكهم القسطنطينية، فنزلوا عكا، وأغاروا على كثير من بلاد الإسلام من ناحية الغور وتلك الأراضي فقتلوا وسبوا، وقاتلتهم الجيوش المصرية والشامية بالقرب من عكا، ثم وقع الصلح والهدنة بينهم[١]، ثم ظلت الحرب سجالاً بين الطرفين مدة طويلة، حتى انتهى الأمر بطردهم نهائيًا على يد الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون[٢] في سنة ٦٩٠ هجرية، وفي هذا يقول ابن كثير في حوادث سنة ٦٩٠ هجرية: (فيها فتحت عكا وبقية السواحل التي كانت بأيدي الفرنج من مدد متطاولة ولم يبق لهم فيها حجر واحد ولله الحمد والمنة)[٣].

وبهذا يتضح أن الاضطراب في الحياة السياسية للمسلمين في مصر والشام هو الطابع المميز لذلك العصر الذي وُلد وعاش فيه ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حيث كان مليئًا بالأحداث الجسام والمصائب المتلاحقة، التي

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: (١٣/ ٣٦ ـ ٣٧).

(٢) تولى الملك بعد وفاة أبيه المنصور في سنة ٦٨٨هـ وكانت مدة ملكه ثلاث سنين فتح عكا وسائر السواحل، فأخرج الفرنجة منها، وفتح قلعة الروم وبهسنا وغيرها، وكان عازمًا على غزو العراق لتخليصها من التتار ولكن قتله بعض الأمراء عند خروجه للصيد قرب الإسكندرية في محرم سنة ٦٩٣هـ رحمه الله تعالى.
انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٣١٦ ـ ٣٣٥).

(٣) انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٣١٩).

أدت إلى عدم الاستقرار سواء كانت هذه الأحداث من الخارج كالتتار والفرنج، أو من الداخل بتقاتل الأمراء وتنازعهم على السلطة.

وبعد هذا العرض الموجز للحالة السياسية، نأتي إلى ذكر الحالة الاجتماعية في عصر ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

* * *

## * ثانيًا: الحالة الاجتماعية:

عاش ابن تيمية في مجتمع يموج بأجناس كثيرة مختلفة في العادات والتقاليد والعقائد، أتراك، ومصريون، وشاميون، وعراقيون، وفرنجة، وتتار وقعوا في الأسر وأقاموا في البلاد، وأرمن وإسرائيليون اختلطت هذه الأجناس بعضها ببعض في ظل الحرب والسلام.

فأهل العراق يفرون إلى الشام عندما يغير التتار عليه، وأهل الموصل وما حولها يفرون إلى دمشق، وأهل دمشق والشام ينتقلون إلى مصر، بل أحيانًا إلى بلاد المغرب. عاش هؤلاء على اختلاف في عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم، في كل من مصر والشام فتكون منهم مجتمع مضطرب، ليس فيه قرار ولا سكون متفسح، انتشر فيه البدع والفسق والفجور(١).

يقول المقريزي في أثر التتر في الشام ومصر:

(كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس(٢) وملأوا مصر والشام، فغصت أرض مصر والشام بطوائف المُغْل، وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم، هذا وملوك مصر وأمراؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعبًا من جنكيز خان وبنيه، وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم، وكانوا

---

(١) انظر: «ابن تيمية حياته وعصره وآراؤه الفقهية» للشيخ محمد أبو زهرة: (ص١٤٨)، و«ابن تيمية» للدكتور/ محمد يوسف مرسى: (ص١٥).

(٢) هو ركن الدين بيبرس تولى الملك في سنة ٦٥٨هـ. يقول فيه ابن كثير في «البداية والنهاية»: (كان رحمه الله متيقظًا شهمًا شجاعًا لا يفتر عن الأعداء ليلاً ونهاراً بل هو مناجز لأعداء الإسلام وأهله ولم شعثه واجتماع شمله وبالجملة أقامه الله في هذا الوقت المتأخر عونًا ونصرًا للإسلام وأهله وشجا في حلوق المارقين من الفرنج والتتار والمشركين. توفي في سنة ٦٧٦هـ وتولى بعد ولده السعيد).
انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦).

إنما ربُّوا بدار الإسلام، ولقنوا القرآن وأحكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل وضموا الجيد إلى الرديء، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والصوم والزكاة والحج، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية كتداعي الزوجين وأرباب الديون، ونحو ذلك.

واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعهد جنكيز خان والاقتداء بحكم "الياسة" فلذلك نصبوا الحاجب؛ ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوائدهم، والأخذ على يد قويهم، وإنصاف الضعيف منه على مقتضى ما في "الياسة" وجعلوا إليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في أمور الإقطاعات لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب)[(١)].

و"الياسا" هو الكتاب الحكم الذي وضعه لهم جنكيز خان وغالب قواعده مخالفة لما جاءت به الكتب السماوية وفيه يقول ابن كثير بعد أن أورد شيئًا منه: (وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء والمرسلين، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى "الياسا" وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين)[(٢)].

ونظرًا لاختلاف هذا المجتمع، فقد انقسم إلى ثلاث طبقات:

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: (٣/ ١١٩).

(٢) انظر: «خطط المقريزي»: (٢/ ٢٢١).

- **الطبقة الأولى:**

الطبقة الخاصة؛ وهم الوافدية من التتر وأفراد المماليك، الذين منهم الأمراء وعلى رأسهم السلطان، وكان لهذه الطبقة سلطان الحكم والنفوذ والتصرف.

- **الطبقة الثانية:**

طبقة بالعلماء والفقهاء، ولهم الطاعة في شئون الدين ما لم يقفوا أمام مصالح السلطان والأمراء، وبعض أفراد هذه الطبقة يتولون الوظائف الدينية في الدولة كالقضاء والخطابة والإمامة والتدريس ونظر الأوقاف. وكان بعض هذه الطبقة يعيشون عيشة رغيدة بفضل ما يغدقه عليهم السلاطين والأمراء، من وظائف ذات مرتبات عالية رغبة منهم في استمالتهم للدولة، وربما تعرض بعضهم للحبس أو العزل حسب رغبة السلطان ومن ذلك ما يذكره ابن كثير عن ابن بنت الأعز، فيقول: (وأما ابن بنت الأعز فناله من الوزير إخراق ومصادرة وإهانة بالغة، ولم يترك له من مناصبه شيئًا، وكان بيده سبعة عشر منصبًا، منها القضاء والخطابة، ونظر الأحباس ومشيخة الشيوخ، ونظر الخزانة وتداريس كبار)[1].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٣٢٢).

وابن بنت الأعز هو عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلامي، قاضي القضاة، تقي الدين ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، جمع بين القضاء والوزارة، ثم جرت له محنة حبس فيها، ثم أخرج من الحبس وأقام بالقرافة مدة، ثم توجه إلى الحجاز، ثم عاد إلى مصر وأعيد للقضاء، توفي بالقاهرة في سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وستمائة.

انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي: (٥/ ٦٤ ـ ٦٥)، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

وإذا كان هذا حال بعض العلماء في ذلك العصر، فإنه لا ينطبق على شيخ الإسلام ابن تيمية الذي لم يثبت أنه تولى أي منصب في الدولة بل كان لا يخاف في الله لومة لائم، والتاريخ يذكر له المواقف المشهورة، ومنها ما يذكره ابن كثير، لما جاء التتار إلى الشام في سنة ٦٩٩ هجرية قال: (خرج الشيخ تقي الدين ابن تيمية إلى مخيم بولاي فاجتمع به في فكاك من كان معه من أسارى المسلمين، فاستنقذ كثيرًا منهم من أيديهم، وأقام عنده ثلاثة أيام ثم عاد، ثم راح إليه جماعة من أعيان دمشق ثم عادوا من عنده فشلحوا عند باب شرقي، وأخذ ثيابهم وعمائمهم، ورجعوا في شر حالة، ثم بعث في طلبهم فاختفى أكثرهم وتغيبوا عنه)(١) اهـ.

- **الطبقة الثالثة:**

وكانت تشمل العامة من الزراع والصناع وتجارًا في القليل من المال، وغالب هذه الطبقة عليهم الكدح والخدمة وخاصة الزراع منهم الذين يعملون في إقطاعات الأمراء(٢) ونتيجة لطبيعة تكوين هذا المجتمع المتفرق جنسًا وفكرًا ودينًا دب فيه الانحلال الخلقي وشاعت المنكرات وأبيحت المحرمات وظهرت البدع التي كان يتصدى لها بعض الغيورين على الدين من أهل العلم وطلابه، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أمثال ابن تيمية وأصحابه.

منها ما يذكره ابن كثير في حوادث سنة ٦٩٩هـ. قال: (دار الشيخ تقي الدين بن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وأصحابه على الخمارات والحانات فكسروا آنية

---

(١) انظر: «البداية والنهاية»: (١٤/ ١٠).

(٢) انظر الكلام عن هذه الطبقات في كتاب الشيخ محمد أبو زهرة «ابن تيمية، حياته وعصره وآراؤه الفقهية»: (ص١٥٠ ـ ١٥٣).

الخمور، وشققوا الظروف، وأراقوا الخمور وعزروا جماعة من أهل الحانات المتخذة لهذه الفواحش ففرح الناس بذلك)[1] اهـ.

ومن ذلك ـ أيضًا ـ ما يذكره في حوادث سنة ٧٠٤ هجرية فيقول ابن كثير: (وفي رجب أحضر إلى الشيخ تقي الدين بن تيمية شيخ كان يلبس دلقًا كبيرًا، متسعًا جدًّا، يسمى المجاهد إبراهيم القطان، فأمر الشيخ بتقطيع ذلك الدلق، فتناهبه الناس من كل جانب وقطعوه حتى لم يدعوا فيه شيئًا، وأمر بحلق رأسه ـ وكان ذا شعر ـ وقلم أظفاره ـ وكانوا طوالاً جدًّا ـ، وحف شاربه المسبل على فمه المخالف للسنة واستتابه من كلام الفحش، وأكل ما يغير العقل من الحشيشة فاستتابه ـ أيضًا ـ عن أكل المحرمات وغيرها. وبعده استحضر الشيخ محمد الخباز البلاسي فاستتابه ـ أيضًا ـ عن أكل المحرمات ومخالطة أهل الذمة، وكتب عليه مكتوبًا أن لا يتكلم في تعبير المنامات ولا في غيرها بما لا علم له به. وفي هذا الشهر بعينه راح الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى مسجد التاريخ، وأمر أصحابه ومعهم حجارون بقطع صخرة كانت هناك بنهر قلوط تزار وينذر لها، فقطعها وأراح المسلمين منها ومن الشرك بها، فأزاح عن المسلمين شبهة كان أثرها عظيمًا، وبهذا وأمثاله حسدوه وأبرزوا له العداوة)[2] اهـ.

وبهذا يتبين ما كان يشيع في ذلك العصر من الفساد والبدع والمنكر، ونكتفي بهذا عن الكلام في الحالة الاجتماعية ونتكلم عن الحالة العلمية في ذلك العصر.

---

(١) انظر: «البداية والنهاية»: (١٤/ ١١).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: (١٤/ ٣٣ـ ٣٤).

## * ثالثًا: الحالة العلمية:

في هذا العصر انتشرت دور العلم انتشارًا كبيرًا، في كل من بغداد والشام ومصر، فقد وجدت المدارس الكثيرة التي أسسها السلاطين من الأيوبيين والمماليك، وتنافسوا في إقامتها وجلب العلماء لها، وأوقفوا عليها الأوقاف الطائلة، وأجروا عليها الأموال بسخاء، وكان يؤمها الطلاب من أنحاء العالم الإسلامي لتلقي العلوم الدينية وغيرها، وأقاموا بجانب هذه المدارس مكتبات تابعة لها، وربما كانت مستقلة عنها، وقد امتلأت خزائنها بآلاف الكتب في علوم شتى، فامتاز هذا العصر بكثرة العلم، فكانت السبل لطلب العلم وتحصيله ميسرة؛ وذلك لوجود هذه المدارس التي يجمع إليها العلماء، ولتوافر الموسوعات العلمية في مكتباتها، وخصوصًا في مصر والشام، فإن بغداد بعد أن هاجمها التتار، وعاثوا فيها هدمًا وتخريبًا، وأتلفوا المكتبة الإسلامية بما ألقوا في نهر دجلة من الكتب العظيمة فإن ذلك قد اضطر العلماء وغيرهم إلى الفرار إلى الشام ومصر ليجدوا هناك شيئًا من الاستقرار والأمن الذي فقدوه في بغداد.

ويدرس في هذه المدارس: الفقه والتفسير والحديث والتاريخ والنحو والصرف وغيرها من علوم الدين واللغة، وكانت في هذا العصر مدارس خاصة بالطب وحده في مصر والشام، وقد ساعد إنشاء هذه المدارس والمكتبات العامة والخاصة على كثرة التأليف والتحصيل، ولكنها ساهمت ـ أيضًا ـ في ذلك التعصب الفكري المذهبي بين أتباع المذاهب مع الجمود على تلك الآراء والأفكار التي وصلت إليهم في تلك الموسوعات والكتب في مذاهبهم، وربما كان بعضها مخالفًا لما عليه الدليل، وقد كانت بعض هذه المدارس تبنى لأصحاب مذهب بعينه من

المذاهب الأربعة وتسمى باسمه، كالحنبلية أو الشافعية وهكذا.

وقد درس في هذه المدارس علماء كبار، كما أنه تخرج فيها العلماء.

وفي هذا العصر المدرسي عاش ابن تيمية وكان أبوه على رأس إحدى المدارس بدمشق، فقد كانت له مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين، فاستفاد من هذه المدارس، وسهل له الاطلاع على تلك الموسوعات التي جمعت أشتات العلوم، في الحديث والفقه وأصوله والتفسير والتاريخ، سواء كانت في مصر أو الشام، فإنه قد أقام بمصر والشام وقد لقي رَحِمَهُ اللَّهُ كبار العلماء في عصره في الشام ومصر، فأفاد واستفاد[1].

وهكذا نرى عصر ابن تيمية كان زاخرًا بالعلم والعلماء، كثر فيه العلم المدون كثرة سهلت طلبه وتحصيله والاطلاع عليه، وبهذا يتضح ذلك الوسط السياسي والاجتماعي والعلمي الذي عاش فيه ابن تيمية، ورفع فيه لواء الإصلاح والتحديد.

● ● ●

---

(١) انظر الكلام عن الحالة العلمية في هذا العصر للشيخ محمد أبو زهرة في كتابه «ابن تيمية حياته وعصر وآراؤه الفقهية»: (ص١٥٥ ـ ١٥٣)، و«ابن تيمية» للدكتور/ محمد يوسف موسى: (ص٤٥ ـ ٦٤).

## حياة ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ

* **أسرته :**

كان ابن تيمية[1] ـ رحمه الله تعالى ـ سليل أسرة كريمة، اشتغل أبناؤها بالعلم، وكلهم عرفوا به وبرزوا فيه، فقد عنى تاريخ الفقه والعلم بهم، وخلد أسماءهم والكثير من مؤلفاتهم.

فأبوه: شهاب الدين أبو أحمد عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ابن تيمية، نزيل دمشق، وُلد بحرّان[2] سنة ٦٢٧ هجرية، سمع العلم من أبيه وغيره من العلماء، حتى إذا أتقن العلوم والفقه، درَّس وأفتى وصار شيخ البلد وخطيبه. وقد دَرَسَ المذهب الحنبلي على أبيه حتى أتقنه، وكان إمامًا محققًا، دينًا متواضعًا، حسن الأخلاق وكان من أنجم الهدى، وكان من أعيان الحنابلة، باشر بدمشق مشيخة دار الحديث السكرية، وكان له كرسي بالجامع الأموي يتكلم عليه أيام الجمع من حفظه. توفي

---

(١) قيل: إن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء ـ وهي معروفة الآن شمالي المدينة المنورة ـ فرأى هناك طفلة، فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتًا، فقال: يا تيمية، يا تيمية، فلقب بذلك، وقيل: إن جده محمدًا كانت أمه تسمى تيمية، وكانت واعظة، فنسب إليها وعرف بها.

انظر: «العقود الدرية» لابن عبد الهادي: (ص٢)، و«جلاء العينين»: (ص٥).

(٢) حران: بلدة قديمة كانت من أهم المراكز للديانات القديمة، وهي بلد موطن الصابئة بالشام.

انظر: «تفسير ابن كثير»: (١/ ١٠٤)، و«القاموس المحيط»: (٤/ ٢١٥).

ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ٦٨٢ هجرية(١).

وأما جده: فهو شيخ الإسلام مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني الفقيه الحنبلي، الإمام المقرىء، المحدث المفسر الأصولي النحوي أحد الحفاظ. وُلد بحران سنة ٥٩٠ هجرية، وحفظ القرآن الكريم بها وسمع من عمه الخطيب فخر الدين وغيره، ورحل في سبيل طلب العلم إلى بغداد سنة ٦٠٣هـ، وأقام بها ست سنوات يشتغل بأنواع العلوم(٢).

وقد قال عنه حفيده الإمام ابن تيمية: (كان جدنا عجبًا في حفظ الأحاديث وسردها، وحفظ مذاهب الناس بلا كلفة)(٣).

وقال فيه غير حفيده: (أُلين للشيخ المجد الفقه، كما أُلين الحديد لداود)(٤)، وكان الشيخ مجد الدين رأسًا في الفقه وأصوله، صنف التصانيف ومن أشهرها «منتقى الأخبار»، وتوفي مجد الدين بن تيمية سنة ٦٥٢هـ(٥).

وهناك عدد وافر في أسرة ابن تيمية من العلماء الأجلاء وهم معروفون في كتب التاريخ، ومنهم أحد أخوي الشيخ: شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم، وُلد سنة ٦٩٦هـ، وتوفي سنة ٧٢٧هـ، وقد عرف بالورع والتقوى(٦).

---

(١) انظر: «جلاء العينين»: (ص٢٨ ـ ٢٩).

(٢) انظر: «جلاء العينين» لابن الألوسي البغدادي: (ص٢٩)، و«شذرات الذهب»: (٥/ ٣٧٦)، و«البداية والنهاية» لابن كثير: (١٣/ ٣٠٣).

(٣) انظر: «جلاء العينين»: (ص٢٨).

(٤) انظر: المصدر السابقة، و«شذرات الذهب»: (٥/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨).

(٥) انظر: «جلاء العينين»: (ص٢٨).

(٦) المصدر السابق: (ص٢٩).

* مولده، واسمه، وكنيته، ونشأته:

- مولده:

وُلد شيخ الإسلام ابن تيمية بحران يوم الاثنين عاشر، وقيل: ثاني عشر ربيع الأول سنة ٦٦١ هجرية[١].

- اسمه وكنيته ونسبه:

تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحرّاني[٢].

- نشأته:

عاش بحران قرابة سبع سنين، في كنف أبيه وتحت رعايته، ثم انتقل أبوه به وبإخوته إلى دمشق سنة ٦٦٧ هجرية عند قدوم التتار إلى الشام، وكاد هذا البلاء الزاحف يدركهم في سيرهم لولا أن منَّ الله عليهم بالنجاة، وكان هذا خيرًا للإسلام والمسلمين، فقد ساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب، فكاد العدو يلحقهم، ووقفت العجلة، فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به، فنجو وسلموا[٣].

وفي دمشق نشأ ابن تيمية وترعرع ثم درس ونضج، يقول ابن عبد الهادي[٤]: (وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا ـ وقد ذكر نبذة من

---

(١) انظر: «الأعلام العلية»: (ص١٤)، و«العقود الدرية» لابن عبد الهادي: (ص٢).

(٢) انظر: السابق نفسه: (ص١٤).

(٣) انظر: «العقود الدرية»: (ص٢)، و«الأعلام العلية» للبزار: (ص١٨).

(٤) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الحنبلي الفقيه المحدث الحافظ، وُلد في رجب سنة ٧٠٤هـ، لازم=

سيرته ـ أما مبدأ أمره ونشأته من حين نشأ في حجور العلماء، راشفًا كؤوس الفهم، راتعًا في رياض التفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون، لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي الأمور، خصوصًا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمهما، ولم يزل على ذلك خلفًا صالحًا سلفيًا، متألهًا عن الدنيا، صَيِّنًا تقيًا، برًّا بأمه، ورعًا عفيفًا عابدًا ناسكًا صوامًا قوامًا ذاكرًا لله تعالى في كل أمر وعلى كل حال، رجاعًا إلى الله تعالى في سائر الأحوال والقضايا، وقافًا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، لا تكاد نفسه تشبع من العلم، فلا تروى من المطالعة ولا تمل من الاشتغال ولا تكل من البحث، وقل أن يدخل في علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله، مقصوده الكتاب والسنة.

ولقد سمعته في مبادىء أمره يقول: إنه ليقف خاطري في المسألة والشيء، أو الحالة التي تشكل عليَّ فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر وينحل إشكال ما أشكل.

قال: وأكون إذ ذاك في السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبي)[1].

---

= الشيخ تقي الدين ابن تيمية مدة، وصنف تصانيف كثيرة، توفي سنة ٧٤٤هـ.
انظر: «البداية والنهاية»: (١٤/ ٢١٠)، و«الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية»: (ص٥١ ـ ٥٢).

(١) انظر: «العقود الدرية» لابن عبد الهادي: (ص٥ ـ ٦).

- ذكاؤه :

عرفت أسرة ابن تيمية بقوة الذاكرة، وكثرة الحفظ وسرعته، فقد كان أبوه وجده ذَوَيْ ذاكرة قوية، ولكن تقي الدين ابن تيمية سبق أسرته كلها في هذه النعمة، فقد أدهش العلماء وأساتذته والناس بذاكرته القوية النادرة وسرعة حفظه، واشتهر بذلك في دمشق.

يتحدث عن ذلك صاحب «العقود الدرية» فيقول: (اتفق أن بعض المشايخ والعلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال: سمعت في البلاد بصبي يقال له: أحمد بن تيمية وأنه سريع الحفظ، وقد جئت قاصدًا لعلِّي أراه، فقال له خياط: هذه طريق كُتابه، وهو إلى الآن ما جاء، فاقعد عندنا الساعة يجيء يعبر علينا ذاهبًا إلى الكُتاب. فجلس الشيخ الحلبي قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط للحلبي: هو ذاك الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية، فناداه الشيخ فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح فنظر فيه، ثم قال: يا ولدي امسح هذا حتى أملي عليك شيئًا تكتبه، ففعل فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر، أو ثلاثة عشر حديثًا، وقال له: اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إياه، ثم دفعه إليه وقال: اسمعه عليَّ، فقرأه عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع. فقال له: يا ولدي، امسح هذا، ففعل فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها ثم قال: اقرأ هذا فنظر فيه كما فعل أول مرة، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأن عظيم فإن هذا لم ير مثله. أو كما قال)[١] اهـ.

---

(١) انظر: «العقود الدرية» لابن عبد الهادي: (ص٦٥).

- **طلبه العلم وثناء العلماء عليه :**

بدأ ابن تيمية دراسة العلوم باهتمام يتحدث عنه معاصروه ومؤرخوه، أنه رغم صغر سنه كان لا يلوي على شيء غير الاشتغال بالعلم، حفظ القرآن الكريم مبكرًا، ودرس علوم عصره، فاشتغل بحفظ الحديث، وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ، وسمع «مسند الإمام أحمد بن حنبل» مرات، وسمع الكتب الستة، وتعلم الخط والحساب في المكتب، وأقبل على الفقه وأصوله، وقرأ العربية وبرع فيها، وأقبل على التفسير إقبالاً عظيمًا[١].

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم وأقول: يا معلم آدم وإبراهيم علمني، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها وأمرغ وجهي في التراب وأسأل الله تعالى وأقول: يا معلم إبراهيم فهمني)[٢].

وقد اعترف بعلمه وفضله علماء عصره، قال الذهبي[٣] فيه: (كان آية في الذكاء وسرعة الإدراك، ورأسًا في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحرًا في النقليات، هو في زمانه فريد عصره علمًا وزهدًا، وشجاعة وسخاء، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وكثرة تصانيف، وقرأ وحصل، وبرع في الحديث والفقه، وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن

---

(١) انظر: «العقود الدرية» لابن عبد الهادي: (ص٣)، و«الأعلام العلية» للبزار: (ص١٨ ـ ١٩).

(٢) انظر: «العقودية الدرية»: (ص٢٦).

(٣) هو الشيخ الحافظ مؤرخ الإسلام وشيخ المحدثين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي، وُلد سنة ٦٧٣هـ، وتوفي سنة ٧٤٨هـ، وله مصنفات كثيرة مشهورة.
انظر: «انظر البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: (١٤/ ٢٢٥).

سبع عشرة سنة، وتقدم في علم التفسير والأصول، وجمع علوم الإسلام أصولها وفروعها، ودقها وجلها سوى علم القراءات، فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه، وإن عد الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سمي المتكلمون فهو فردهم وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا يقدم الفلاسفة فلهم وتيسهم، وهتك أستارهم وكشف عوارهم، وله يد طولى في معرفة العربية والصرف واللغة، وهو أعظم من أن يصفه كلمي أو ينبه على شأوه قلمي، فإن سيرته وعلومه ومعارفه ومحنته وتنقلاته تحتمل أن ترصع في مجلدين)[1] اهـ.

وأثنى على علمه الحافظ ابن سيد الناس[2] فقال: (ألفيته ممن أدرك العلوم حظًّا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظًا، إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته، وإن أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالملل والنحل لم ير أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته، بَرَز في كل علم على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه)[3] اهـ.

---

(١) انظر: «العقود الدرية»: (ص٢٣ ـ ٢٤).

(٢) هو الحافظ فتح الدين بن أبي الفتح محمد بن سيد الناس الأندلسي، الإشبيلي ثم المصري، وُلد سنة ٦٧١هـ، برع في الحديث والفقه والنحو وعلم السير، وصنف الكتب، وكان شيخ دار الظاهرية بمصر، توفي فجأة يوم السبت حادي عشر شعبان سنة ٧٣٤هـ رحمه الله تعالى.
انظر: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: (١٤/ ١٦٩).

(٣) انظر: «العقود الدرية»: (ص١٠).

وشهد له بالعلم والتقوى الحافظُ أبو الحجاج المزي[١] فقال: (ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه)[٢] اهـ.

وقال فيه الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد[٣] وقد سئل عنه: (قال رأيت رجلاً سائر العلوم بين عينيه يأخذ ما شاء منها، ويترك ما شاء)[٤].

وهكذا اعترف بعلمه وفضله الكثير من العلماء والمؤرخين الذين عاصروه.

**- توليه التدريس:**

كان لوالده - كما أسلفت - كُرسيٌّ بالجامع الأموي يتكلم عليه أيام الجمع من حفظه، وكانت له مشيخة دار الحديث بالسكرية بالقصاعين، فلما توفي والده سنة ٦٨٢ هجرية، تولى التدريس بها شيخ الإسلام ابن تيمية[٥]، وألقى درسه الأول في الثاني من محرم سنة ٦٨٣ هجرية، وقد حضر هذا الدرس كبار علماء دمشق وفضلاؤها، من مختلف المذاهب.

---

(١) هو الإمام الحافظ أبو الحجاج يوسف المزي، وُلد سنة ٦٥٤هـ بالمزة، وتوفي سنة ٧٤٢هـ. انظر: «البداية والنهاية»: (١٤/ ١٩١ - ١٩٢).

(٢) انظر: «العقود الدرية»: (ص٧).

(٣) هو الشيخ الإمام العالم الحافظ، تقي الدين ابن دقيق العيد، القشيري المصري، وُلد سنة ٦٢٥هـ بينبع من أرض الحجاز سمع الكثير ورحل في طلب الحديث وصنف فيه وانتهت إليه رياسة العلم في زمانه ولي قضاء الديار المصرية في سنة ٦٩٥هـ، توفي سنة ٧٠١هـ ودُفن بالقرافة الصفرى رحمه الله تعالى.
انظر: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: (١٤/ ٢٧).

(٤) انظر: «جلاء العينين»: (ص١١).

(٥) انظر: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: (١٣/ ٣٠٣).

يتحدث الحافظ ابن كثير[1] تلميذ ابن تيمية ضمن أحداث سنة ٦٨٣ هجرية عن درسه هذا فيقول: (وكان درسًا هائلاً، وقد كتبه الشيخ تاج الدين الفزاري[2] بخطه لكثرة فوائده وكثرة ما استحسنه الحاضرون، وقد أطنب الحاضرون في شكره على حداثة سنه وصغره، فإنه كان عمره إذ ذاك عشرين سنة وسنتين)[3].

ثم يصف درسه الثاني الذي ألقاه في الجامع الأموي فيقول: (ثم جلس الشيخ تقي الدين المذكور أيضًا يوم الجمعة عاشر صفر بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة على منبر قد هيىء له لتفسير القرآن العزيز، فابتدأ من أوله في تفسيره، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير، من كثرة ما كان يورد من العلوم المتنوعة المحررة، مع الديانة والزهادة والعبادة، سارت بذلك الركبان في سائر الأقاليم والبلدان، واستمر على ذلك مدة سنين طويلة)[4] اهـ.

---

(١) هو الحافظ الشيخ المؤرخ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي وُلد سنة ٧٠٠هـ، ومن تصانيفه «البداية والنهاية»، وتوفي سنة ٧٧٤هـ، ودُفن بمقبرة الصوفية رحمه الله.
انظر: «جلاء العينين»: (ص٣٤).

(٢) هو الشيخ عبد الرحمن بن سباع بن ضياء الدين أبو محمد الفزاري شيخ الشافعية في زمانه، وُلد في سنة ٦٣٠هـ، وله مصنفات، وتوفي سنة ٦٩٠هـ، ودُفن بباب الصغير رحمه الله تعالى.
انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٣٢٥).

(٣) انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٣٠٣).

(٤) انظر: السابق: نفسه.

ويقول صاحب «الأعلام العلية»[1] في وصفه لدروس ابن تيمية التي كان يحضرها بنفسه: (وأما ذكر دروسه؛ فقد كنت في حال إقامتي بدمشق لا أفوتها، وكان لا يهيىء شيئًا من العلم ليُلقيه ويورده، بل يجلس بعد أن يصلي ركعتين فيحمد الله ويثني عليه ويصلي على رسوله ﷺ على صفة مستحسنة مستعذبة لم أسمعها من غيره ثم يشرع، فيفتح الله عليه إيراد علوم، وغوامض ولطائف ودقائق وفنون، ونقول واستدلالات بآيات وأحاديث وأقوال العلماء، ونصر بعضها وتبيين صحته أو تزييف بعضها، وإيضاح حجته، واستشهاد بأشعار العرب وربما ذكر اسم ناظمها، وهو مع ذلك يجري كما يجري السيل ويفيض كما يفيض البحر، ويصير منذ يتكلم إلى أن يفرغ كالغائب عن الحاضرين مغمضًا عينيه وذلك كله مع عدم فكر فيه أو روِّية، من غير تعجرف ولا لحن، بل فيض إلٰهي، حتى يبهر كل سامع وناظر، فلا يزال كذلك إلى أن يصمت، وكنت أراه حينئذ كأنه قد صار بحضرة من يشغله عن غيره، ويقع عليه إذ ذاك من المهابة ما يرعد القلوب، ويحيِّر الأبصار والعقول)[2].

إلى أن يقول في وصفه: (وكان إذا فرغ من درسه يفتح عينيه ويقبل على الناس بوجه طلق بشيش، وخلق دمث كأنه قد لقيهم حينئذ، وربما اعتذر إلى بعضهم من التقصير في المقام مع ذلك الحال، ولقد كان في

---

(١) هو الشيخ الفقيه المحدث الحافظ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن موسى البغدادي الحنبلي البزار، وُلد سنة ٦٨٨هـ تقريبًا في بغداد، ورحل إلى دمشق، وكانت وفاته عند توجهه إلى الحج سنة ٧٤٩هـ بالطاعون رحمه الله.
انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: (٢/ ٤٤٤).

(٢) انظر: «الأعلام العلية» للبزار: (ص٢٩ ـ ٣١).

درسه الذي يورده عندئذ قدر عدة كراريس، وهذا الذي ذكرته من أحواله ودروسه أمر مشهود يوافقني عليه كل حاضر بها، وهم بحمد الله خلق كثير، لم يحصر عددهم، علماء ورؤساء وفضلاء من القراء والمحدثين والفقهاء والأدباء، وغيرهم من عوام المسلمين)[1] اهـ.

- **رحلاته ومحنه:**

كانت رحلته الأولى مع والده من حرّان إلى دمشق، خوفًا من التتار، وعمره قرابة سبع سنوات، وذلك في سنة ٦٦٧هـ[2]. ثم رحل للحج سنة ٦٩٢هـ برفقة ركب الحجيج من بلاد الشام[3]. ثم كانت رحلته إلى مصر في سنة ٧٠٠هـ، وذلك لحث السلطان وأعيان الدولة في مصر على الخروج إلى الشام، وكانوا قد رجعوا إلى مصر من الطريق بعد خروجهم من أجل جهاد التتار الذين أهلكوا العباد والبلاد فأجابوه إلى الخروج إلى الشام من أجل الجهاد. ثم عاد قبلهم إلى الشام لإخبار الناس بذلك[4].
وفي خامس رمضان سنة ٧٠٥هـ، وصل كتاب السلطان إلى ابن تيمية يطلب فيه حضوره إلى مصر، وقد أقلق ذلك أصحابه وتلاميذه، وأشار عليه نائب السلطنة في دمشق بترك الذهاب إلى مصر حتى يكاتب السلطان في مصر، ولكن الشيخ ابن تيمية امتنع من ذلك، وذكر له أن في توجهه لمصر مصلحة كبيرة ومصالح كثيرة.

---

(١) انظر: «الأعلام العلية» للبزار: (ص٢٩ ـ ٣١).
(٢) انظر: «جلاء العينين»: (ص٥).
(٣) انظر: «البداية والنهاية»: (١٣/ ٣٣٣).
(٤) المصدر السابق: (١٤/ ١٥ ـ ١٦).

ثم لما وصل إلى القاهرة أقيم له مجلس بالقلعة ثم حبس رَحِمَهُ اللَّهُ في الحبس المعروف بالجب هو وأخوه شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن ظلمًا[1].

ثم لما كان يوم الجمعة ٢٣ في ربيع الأول سنة ٧٠٧ هجرية أفرج عنه، واشتغل شيخ الإسلام ابن تيمية بعد خروجه من السجن بالتدريس ثم أعيد حبسه في شوال ٧٠٧هـ. واستمر في الحبس يستفتى، ويقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة، فيكتب عليها بما يحير العقول من الكتاب والسنة. ثم عقد للشيخ مجلس بالصالحية فأفرج عنه وأكب الناس على الاجتماع به ليلاً ونهارًا[2].

ثم نفي ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الإسكندرية في صفر من سنة ٧٠٩هـ بإشارة من أعدائه لعل أحدًا من أهلها يتجاسر عليه فيقتله غيلة، فما زاد ذلك الناس إلا محبة فيه وقربًا منه وانتفاعًا به، واشتغالاً عليه، وحنوًا وكرامةً له. وأقام بها ثمانية أشهر يدخل عليه من شاء ويتردد إليه الأكابر والأعيان والفقهاء، يقرؤن عليه ويستفيدون منه وهو في أطيب عيش وأشرح صدر[3].

ثم طلب السلطان الشيخ ابن تيمية من الإسكندرية إلى القاهرة وأكرمه إكرامًا عظيمًا وسكن بالقرب من مشهد الحسين وعاد إلى بث العلم ونشره والناس يترددون عليه[4].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية»: (١٤/ ٣٧ ـ ٣٨).

(٢) انظر: السابق: (١٤/ ٤٦ ـ ٤٧).

(٣) انظر: السابق: (١٤/ ٤٩ ـ ٥٠).

(٤) انظر: السابق: (١٤/ ٥٣ ـ ٥٤).

ثم عاد شيخ الإسلام ابن تيمية إلى دمشق بصحبة السلطان في ذي القعدة سنة ٧١٢ هجرية لما تواردت الأخبار عن عزم التتر على الهجوم على الشام وكانت غيبته عنها سبع سنين. ومر في طريقه على القدس وأقام بها أيامًا، ثم جعل طريقه من الساحل بعد أن انفصل عن السلطان، فلما وصل دمشق خرج لقيه خلق كثير وسروا بقدومه[١].

ثم في رجب من سنة ٧٢٠ هجرية عقد مجلس بدار السعادة لشيخ الإسلام ابن تيمية وعاتبوه في الإفتاء بمسألة الطلاق، وكانوا قد منعوه من ذلك ثم حبس في القلعة بدمشق فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يومًا، ثم ورد مرسوم من السلطان بإخراجه يوم الاثنين يوم عاشوراء من سنة ٧٢١ هجرية.

ثم اشتغل ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد الإفراج عنه بالتدريس والإفتاء والتأليف والوعظ، ثم اعتقل أخيرًا في يوم الاثنين، عند العصر سادس عشر شعبان سنة ٧٢٦ هجرية وذلك بسبب فتواه في مسألة شد الرحال، والزيارة الشرعية والزيارة البدعية، فحبس في القلعة[٢].

وظل في هذه المدة مكبًّا على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين، وكان مكرمًا من قبل نقيب القلعة ونائبها إكرامًا كثيرًا، ويتردد الناس عليه زيارة له، وتأتيه الفتاوى فيكتب عليها، ويتلقف تلاميذه وأصحابه كتبه فينشرونها بين الناس، فزاد ذلك أعداءه غيظًا، فلما كان قبل وفاته بأشهر ورد مرسوم من السلطان بمصر بإخراج ما عنده كله، فلم يبق عنده كتاب ولا ورقة ولا دواة ولا قلم، وكان بعد ذلك إذا كتب

---

(١) انظر: «البداية والنهاية»: (١٤/ ٦٧).

(٢) المصدر السابق: (١٤/ ٩٧).

ورقة إلى بعض أصحابه يكتبها بفحم، وأقبل الشيخ بعد إخراج الكتب من عنده على العبادة والتلاوة والتهجد حتى أتاه اليقين[1].

**ـ وفاته :**

وأخيرًا بعد هذا الكفاح والجهاد؛ آن لابن تيمية شيخ الإسلام العالم العابد المجاهد في سبيل الله؛ أن يلقى ربه، وكانت وفاته في ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ هجرية، وهو لايزال في سجنه بقلعة دمشق، وحصل للناس بمصابه أمر شغلهم عن غالب أمورهم وأسبابهم، وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء والرجال والنساء، ولم يتخلف عن الحضور إلا من لم يستطع إلى ذلك سبيلاً. ودُفن بمقبرة الصوفية بجوار أخيه شرف الدين عبد الله رحمه الله تعالى[2]، ورحم الله تعالى شيخ الإسلام ابن تيمية وأجزل ثوابه جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين.

**ـ آثاره العلمية :**

اشتغل شيخ الإسلام ابن تيمية، رغم انشغاله بالتدريس والإفتاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكيد الخصوم له ـ مع هذا وغيره ـ اشتغل رحمه الله تعالى بالتأليف في أصول الدين والفقه والفتاوى، والرد على المخالفين لشرع الله تعالى وبيان زيفهم وباطلهم، فترك تراثًا علميًا ضخمًا سلفيًا استفادت منه أجيال الأمة الإسلامية المتعاقبة رغم الكيد الباطل لهذه المصنفات، الذي تعرضت له منذ عصر شيخ الإسلام ابن تيمية حتى عصرنا هذا، ولكن الله جل وعلا قد حفظ الكثير منها.

---

(١) انظر: «العقود الدرية»: (ص٣٦١ـ٣٦٨).

(٢) انظر: السابق: (ص٣٦٩)، و«الأعلام العلية» للبزار: (ص٨٤ ـ ٨٥)، و«البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: (١٤/ ١٣٥).

يقول ابن عبد الهادي ـ وهو يتحدث عن مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ـ:

(وللشيخ رَحِمَهُ اللهُ من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضبط، ولا أعلم أحدًا من متقدمي الأمة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع ولا صنف نحو ما صنف ولا قريبًا من ذلك، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه، وكثير منها صنفه في الحبس، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب)[1] اهـ.

ثم ذكر بعد ذلك بعض مصنفاته.

ويقول صاحب «الأعلام العلية» عند ذكره لمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية:

(وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها أو يحضرني جملة أسمائها، بل هذا لا يقدر عليه غالبًا أحد لأنها كثيرة جدًا، كبارًا وصغارًا، وهي منشورة في البلدان، فقل بلد نزلته إلا وقد رأيت فيه من تصانيفه، فمنها ما يبلغ اثني عشر مجلدًا كـ «تلخيص التلبيس على أساس التقديس» وغيره، ومنها ما يبلغ سبع مجلدات كـ «الجمع بين العقل والنقل»، ومنها ما يبلغ خمس مجلدات، ومنها «منهاج الاستقامة والاعتدال» ونحوه، ومنها ما يبلغ ثلاث مجلدات كـ «الرد على النصارى» وشبهه، ومنها مجلدان كـ «نكاح المحلل»، و«إبطال الحيل»، و«شرح العقيدة الأصبهانية».

---

(١) انظر: «العقود الدرية» لابن عبد الهادي: (ص٢٦).

ومنها مجلد ودون ذلك، وهذان القسمان من مؤلفاته، فهي كثيرة جدًّا، لا يمكنني استقصاؤها، لكن أذكر بعضها استئناسًا)[١].

إلى أن يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ولا يليق هذا المختصر بأكثر من هذا القدر من مؤلفاته، فيمكن تعداد ما ينيف على المائتين، لكن لم نر الإطالة بذكره، وأما فتاويه ونصوصه وأجوبته على المسائل فهي أكثر من أن أقدر على إحصائها، لكن دوّن بمصر منها على أبواب الفقه سبعة عشر مجلدًا وهذا ظاهر مشهور، وجمع أصحابه أكثر من أربعين ألف مسألة، وقل أن وقعت واقعة وسئل عنها إلا وأجاب فيها بديهة، فأبهر واشتهر وصار ذلك الجواب كالمصنف الذي يحتاج فيه غيره إلى زمن طويل ومطالعة كتب وقد لا يقدر مع ذلك على إيراد مثله)[٢] اهـ.

ومن أراد الوقوف على بيان أسماء مصنفاته فليراجع «العقود الدرية» لابن عبد الهادي، و«الأعلام العلية» للبزار، وغيرهما ممن ترجم لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى وغفر ذنبه وأسكنه فسيح جناته جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين.

والله تعالى أعلم.

• • •

(١) انظر: «العقود الدرية» لابن عبد الهادي: (ص٢٦).

(٢) انظر: «الأعلام العلية» للبزار: (ص٢٥ ـ ٢٨).

# الباب الثاني

# في الحديث عن كتاب

# «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»

وفيه فصلان :

الفصل الأول : التعريف بالكتاب.

الفصل الثاني : بيان ودراسة لأهم الأعمال القلبية عند أهل السنة، والرد على المنحرفين فيها من الصوفية وغيرهم.

## التعريف بالكتاب

* أولاً: اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه وسبب تأليفه:

أجمعت النسخ المخطوطة والمطبوعة التي بين يدي لهذا الكتاب على تسميته: «التحفة العراقية في الأعمال القلبية»، وعلى نسبته إلى مؤلفه شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ، ولم أجد لها مخالفًا، بل قد ذكر هذا الكتاب تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية، الشيخ المحقق ابن عبد الهادي في كتابه «العقود الدرية» باسمه المذكور ضمن مصنفاته رحمه الله تعالى(١).

وهذا يدل دلالة قاطعة على صحة اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية رحمه الله تعالى. أما سبب تسميته بهذا الاسم، فلم أعثر على ذكر له فيما بين يدي من المصادر والمراجع، ولكن لعله سائل أو سؤال جاء إلى الشيخ رحمه الله تعالى من بلاد العراق، كما جاءه سؤال من واسط فسمى جوابه: «العقيدة الواسطية»، وسؤال من حماه فسمى جوابه: «العقيدة الحموية»، وكـ «الرسالة التدمرية»، و«الرسالة القبرصية»، وأمثال هذا كثير من مصنفات الشيخ رحمه الله تعالى.

وقد أشار المؤلف في أول الكتاب إلى سبب تأليفه لهذا الكتاب؛ أن بعض الناس سأله أن يكتب له شيئًا في أعمال القلوب، فأملى هذا الكتاب، ونص العبارة التي قالها شيخ الإسلام ابن تيمية هي قوله: (اقتضى ذلك بعض من أوجب الله حقه من أهل الإيمان واستكتبها وكل منا

---

(١) انظر: «العقود الدرية» لابن عبد الهادي: (ص٣٥).

عجلان)[1]. فلعل هذا السائل الذي أوجب الله حقه من أهل العراق فسمي هذا الجواب بهذا الاسم، والله تعالى أعلم.

* **ثانيًا: موضوع الكتاب ومنهجه في تأليفه:**

يدل اسم الكتاب دلالة واضحة على موضوعه، فموضوع هذا الكتاب هو الأعمال القلبية التي أمر الله تعالى بها عباده، وقد نص على ذلك المؤلف في أول الكتاب فقال رحمه الله تعالى: (أما بعد فهذه كلمات مختصرات في أعمال القلوب التي قد تسمى المقامات أو الأحوال وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين: مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله، وإخلاص الدين له، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه والرجاء له، وما يتبع ذلك)[2].

ولابد من الإشارة هنا إلى أن شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ لم يتكلم في كل الأعمال القلبية التي أمر بها عباده، وإنما تكلم عن بعضها، وقد يكتفي أحيانًا بالإشارة إلى بعضها دون تفصيل للكلام فيها، وشيخ الإسلام ابن تيمية له عذره في ذلك، فهو لم يقصد جمع الأعمال القلبية التي أمر الله بها عباده في كتابه، وإنما بعض الناس سأله أن يكتب له شيئًا في أعمال القلوب، فكتب له هذه التحفة.

وقد ذكر رحمه الله تعالى أنها كلمات مختصرات في أعمال القلوب، وأنه كان مشغولاً عند كتابتها، هو والسائل أو الكاتب حيث قال رحمه الله تعالى: (استكتبها وكل منا عجلان)[3].

---

(١) انظر من هذه الرسالة: (ص٢٨٩).

(٢) انظر: السابق: نفسه.

(٣) انظر: السابق: نفسه.

ولما نظرت اختصاره الكلام في هذا الموضوع المهم؛ الذي هو من أصول الإيمان وقواعد الدين للأسباب التي ذكرناها، رأيت أنه لابد لي أن أقوم بدراسة وبيان لأهم الأعمال القلبية التي أمر الله بها عباده على هدي الكتاب والسنة، وسيأتي هذا البيان والدراسة لأعمال القلوب في الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله تعالى.

وأما منهج المؤلف في هذا الكتاب، فلم يشر المؤلف رحمه الله تعالى إلى المنهج الذي سيسير عليه فيه، وبالتأمل تبين لي أن منهجه الذي سار عليه في هذا الكتاب يتلخص فيما يأتي:

١ ـ اعتماده على كتاب الله العزيز، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فهو يستدل بالآيات القرآنية لما يورده من الكلام في الأعمال القلبية التي تكلم عليها في هذا الكتاب.

٢ ـ اعتماده بعد ذلك على السنة النبوية الصحيحة؛ فهو يستدل بالأحاديث النبوية ويحتج بها، وقد كان رحمه الله تعالى يقول: (كل قائل إنما يحتج لقوله لا به إلا الله ورسوله)[(١)].

٣ ـ يستدل بعد ذلك بالآثار الواردة عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان رحمهم الله تعالى ورضي الله عنهم، فهم أعلم الناس بعد نبيهم ﷺ بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٤ ـ يستأنس أحيانًا بأقوال مشايخ الصوفية كالجنيد وغيره، الموافقة للكتاب والسنة.

٥ ـ يستدل بالأدلة العقلية في رده على شُبَهِ المخالفين، وجوابه عليها.

---

(١) انظر: «الأعلام العلية» للبزار: (ص٣٠).

٦ - يستشهد في بعض الأحيان لكلامه بأبيات من الشعر ولا ينسبها إلى قائليها.

هذه أهم معالم المنهج الذي سار عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه هذا، والله تعالى أعلم.

* **ثالثًا: مخطوطات الكتاب:**

عندما أردت تحقيق هذا الكتاب، تبين لي أنه يوجد له خمس نسخ مخطوطة كاملة، كما أنه يوجد له أربع نسخ مطبوعة:

**الأولى**: طبعت في مطبعة القرآن والسنة في الهند، وهي ضمن مكتبة الشيخ عمر بن حسن، المهداة لمكتبة جامعة الملك سعود بالرياض، وطباعتها رديئة، ناقصة من آخرها، وعدد صفحاتها (١٥٨)، ورقم تصنيفها بالمكتبة (٢١٤س س م) نسخة واحدة.

**والثانية**: طبعت بالمطبعة المنيرية بمصر، ولم يكتب تاريخ طبعها وعدد صفحاتها (٦٨) صفحة، وتوجد في مكتبة جامعة الملك سعود برقم (٢١٨/ت ت ت).

**والثالثة**: طبعت مع رسالة لشيخ الإسلام ابن تيمية في «أمراض القلوب وشفاؤها»، طبع المكتبة السلفية بالقاهرة، نشرها قصي محب الدين الخطيب، وتوجد نسخة منها في مكتبة جامعة الملك سعود برقم (٢١٨/ت ت م)، وعدد صفحاتها (٨٠)، ولم يكتب تاريخ طبعها.

**والنسخة الرابعة**: مطبوعة ضمن «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم النجدي، وابنه: محمد، في أول المجلد العاشر (السلوك)، الطبعة الأولى منها سنة ١٣٩٨هـ، وهذه الطبعات المذكورة غير محققة.

* **وصف النسخ المخطوطة :**

وهي خمس نسخ مخطوطة :

١ ـ نسخة مصورة عن المكتبة السعودية بالرياض التابعة الآن للرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورقمها في المكتبة السعودية (٨٦/٥٢٠) ضمن مجموع من (ص١٢٨ ـ ١٧٧)، ومصورتها في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض برقم (٢١٨/ت ت) تصوف. فيلم رقم (١٦/٥٤) (س) وخطها معتاد، ولم يذكر اسم الناسخ، وعلى هذه النسخة تملك باسم (هادي بن إسماعيل بن محمد بن هادي)، ووقفية باسم الشيخ (محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ)، وبها سقط كبير أشرت إليه في حاشية الكتاب، في (٢٥) ورقة (٥٠) صفحة، في بعض الصفحات (٢١) سطرًا، وفي البعض الآخر (٢٢) سطرًا، وقياس الصفحة (١٤ × ٢١,٥سم).

وقد رمزت لها بالحرف «ش».

٢ ـ نسخة أخرى مصورة عن المكتبة السعودية بالرياض والتابعة الآن للرئاسة العامة لإدارات البحوث والعلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وهي في المكتبة السعودية برقم (٨٦/٣٠٧) ضمن مجموع من (ص٣٠٤ ـ ٣٥٣)، وهي في قسم المخطوطات بجامعة الملك سعود بالرياض برقم (٢١٨/ت ت) تصوف، فيلم رقم (١١/٥٥) (س) في (٢٥) ورقة (٤٩) صفحة، في كل صفحة (٢٥) سطرًا، وقياس الصفحة (١٦ × ٢٢,٥سم)، وخطها معتاد، ولم

يذكر اسم الناسخ، وقال ناسخها: (وكان الفراغ منها في سنة ١٢٢١ هجرية).

وقد رمزت لها بالحرق «س».

٣ ـ نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق، المصورة بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، برقم (١٥٤٣) في (٣٢) ورقة وصفحة واحدة، وعدد صفحاتها (٦٥) صفحة، وفي كل صفحة (٢١) سطرًا، وقياس الصفحة (١٥ × ٢١,٥سم)، وخطها معتاد، ولم يذكر الناسخ، ولا تاريخ النسخ.

وقد رمزت لها بالحرق «د».

٤ ـ نسخة مخطوطة بدار الكتب القومية المصرية بالقاهرة تحت رقم (٢٧١) تصوف تيمور، فيها (٣٧) صفحة، وفي كل صفحة (٢٩) سطرًا، خطها معتاد، وعليها وقفية باسم (أحمد بن علي بن محمد تيمور)، وبآخرها قول الناسخ: (علقها لنفسه ولمن شاء الله من بعده العبد الفقير عثمان بن أحمد بن عثمان بن سعيد النجدي الحنبلي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ونفعه الله تعالى بالعلم النافع والعمل الصالح وسائر المسلمين. ووافق الفراغ منها نهار الأحد المبارك عاشر رجب المحرم سنة أربع وثمانين، ختمت بخير).

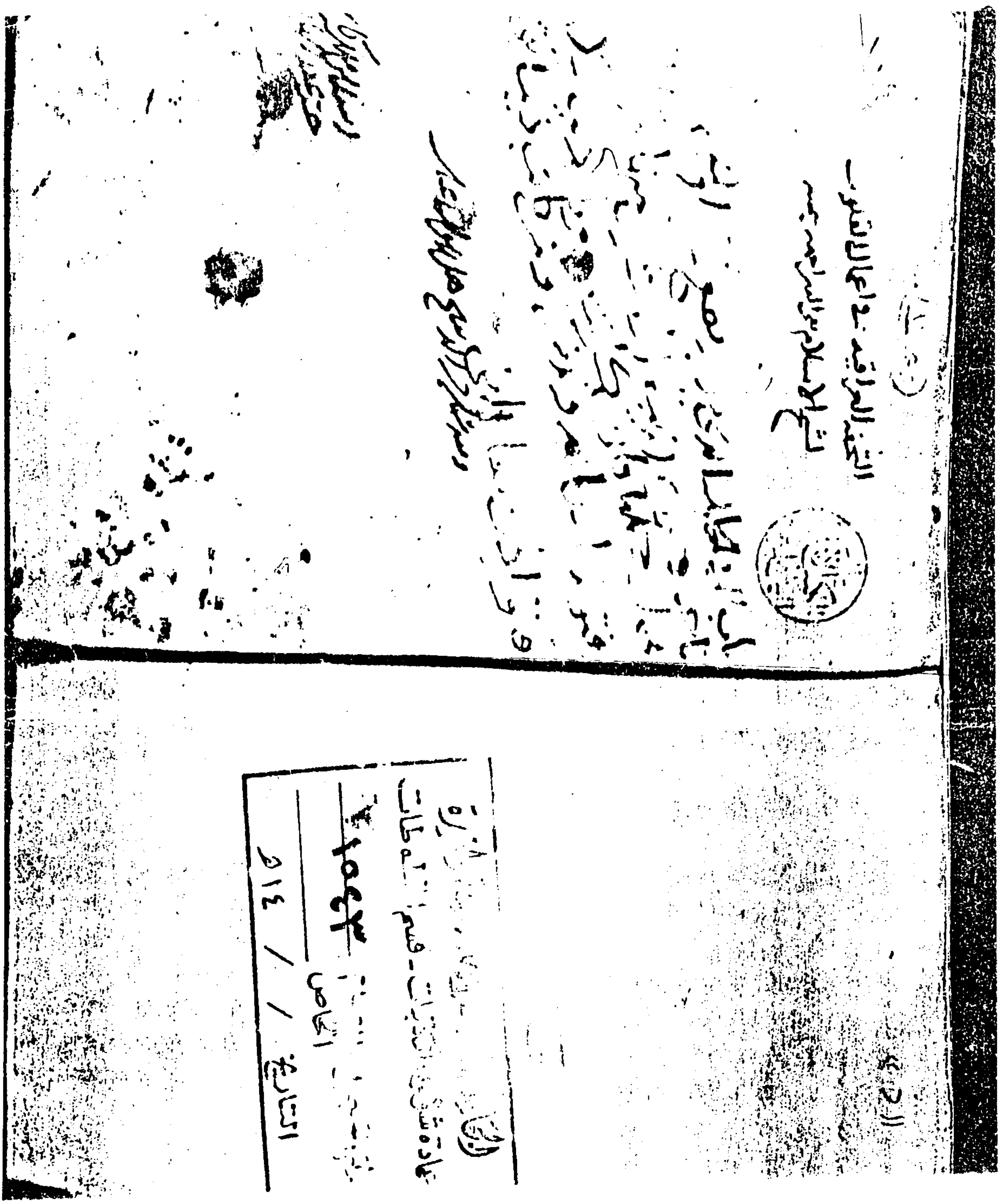
وقد رمزت لها بالحرق «ص».

٥ ـ نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، ضمن مجموع (٣٢/ ٤٧٦٧) مجاميع، في (١٠) ورقات قطع كبير، وهي (٢٠) صفحة، في كل صفحة (٣٣) سطرًا، وخطها معتاد، ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وعليها وقفية باسم: (علي بن إبراهيم فصيح الحيدري) على

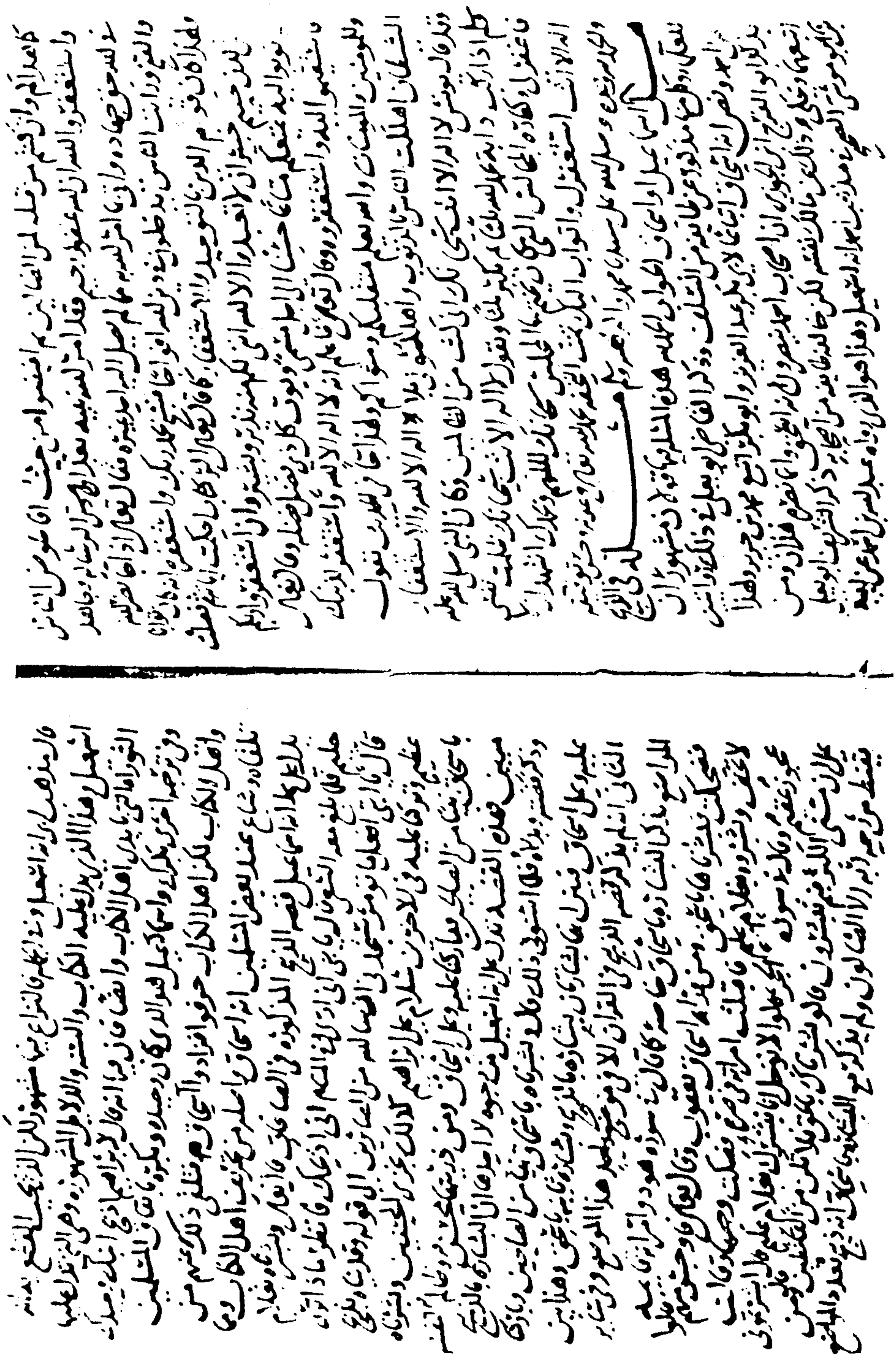
مكتبة الخالدية سنة ١٣٠١هـ، وقد استغنيت عن هذه النسخة بالنسخ الأربع التي قبلها والمطبوعتين؛ وذلك لأن النص فيها يوافق النص في النسخ الأربع التي اعتمدتها، ومطبوعة الفتاوى، ومطبوعة الخطيب إلا في موضع واحد خرج عنها كلها، وترجح لي ما فيها فأثبته في نص الكتاب وأشرت إلى ذلك في الحاشية، بأنه من نسخة العراق.

وفيما يلي نماذج لهذه المخطوطات.

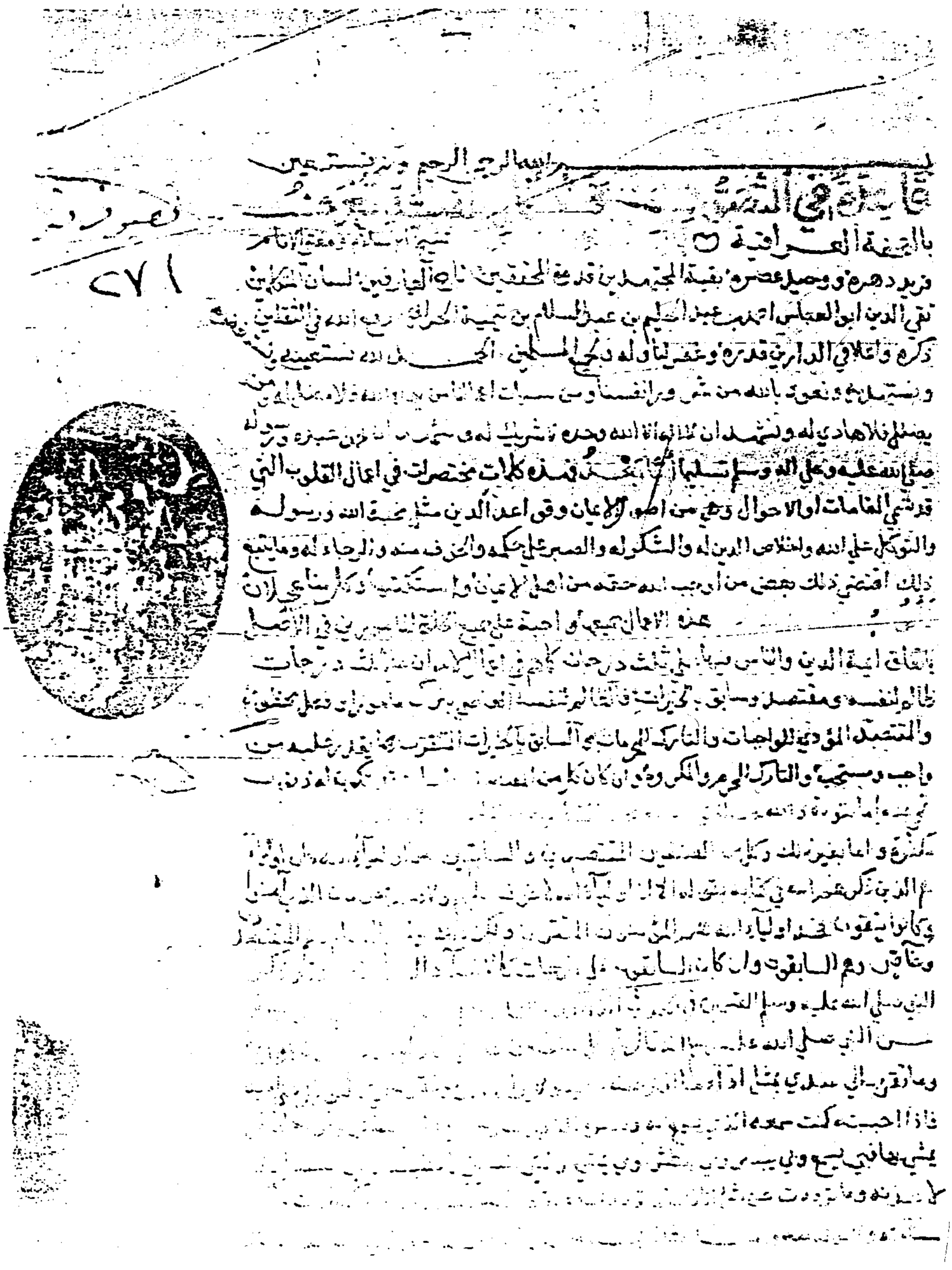
● ● ●



صورة الورقة الأولى من نسخة «د»



صورة الورقة الأخيرة من نسخة «د»



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

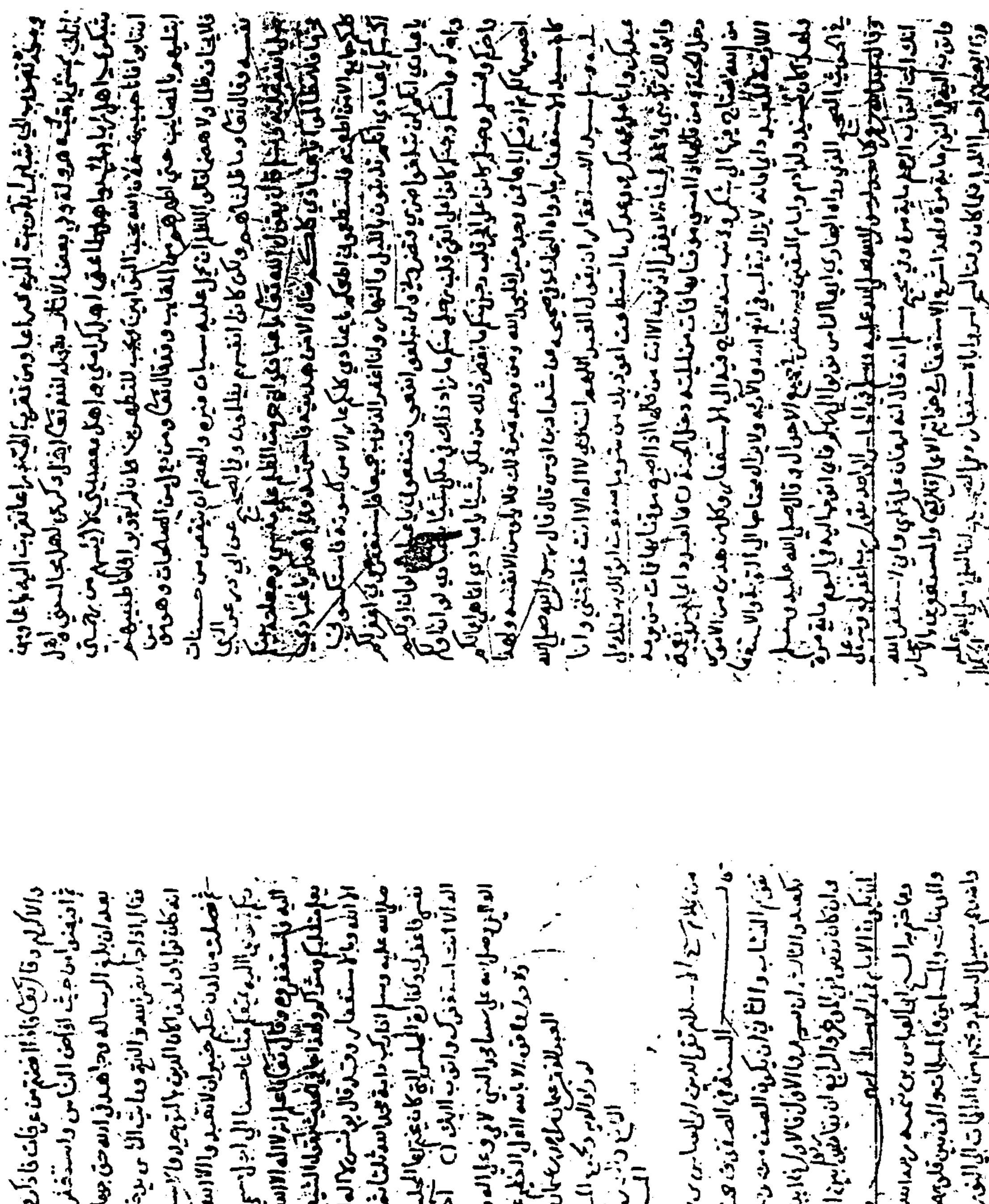
تقي الدين ابو العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني رضي الله عنه

صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما أما بعد فهذه كلمات مختصرات في أعمال القلوب التي

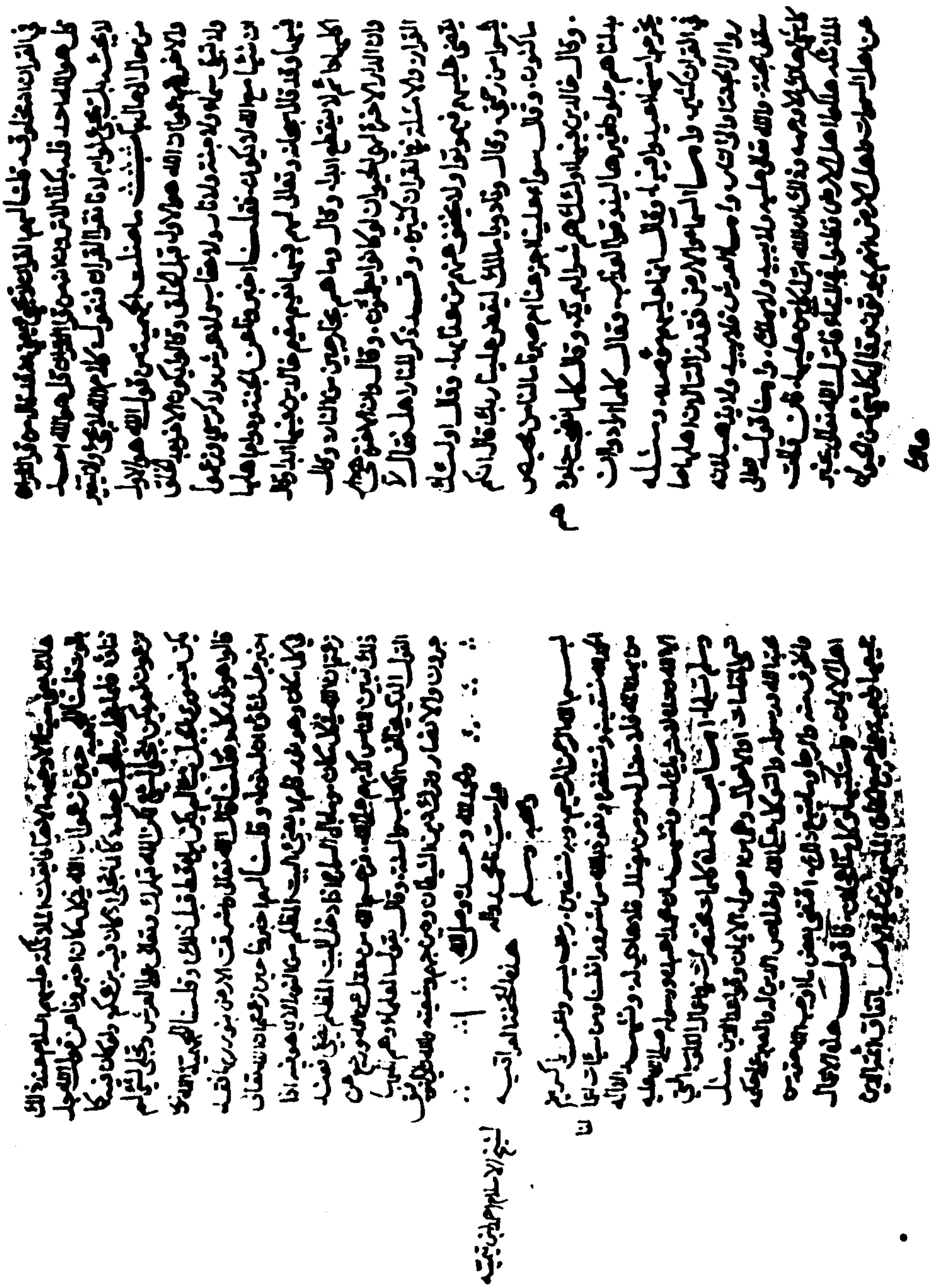
قد تسمى المقامات والأحوال وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين مثل محبة الله ورسوله

والتوكل على الله وإخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع

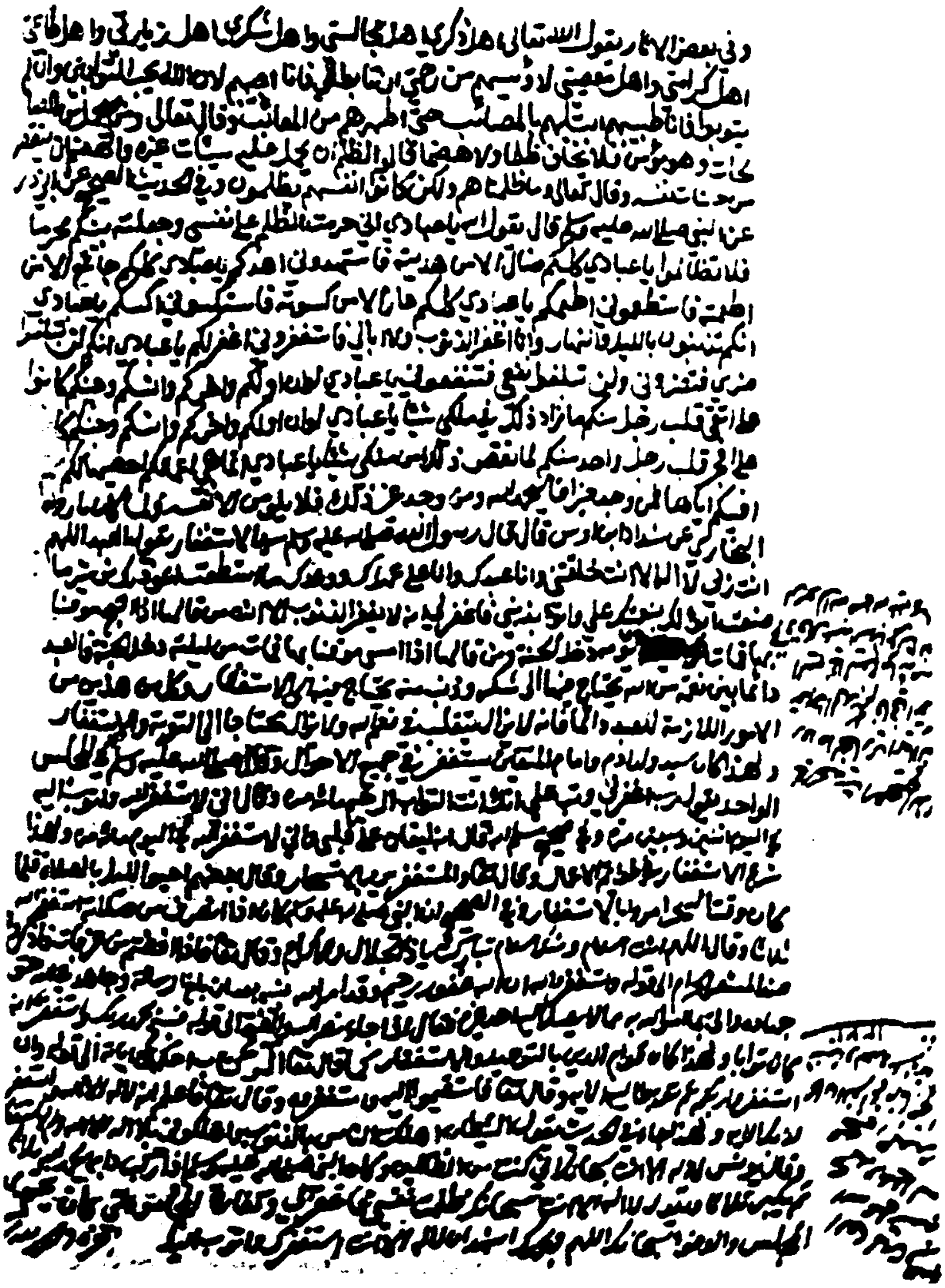
صورة الورقة الأولى من نسخة «ص»



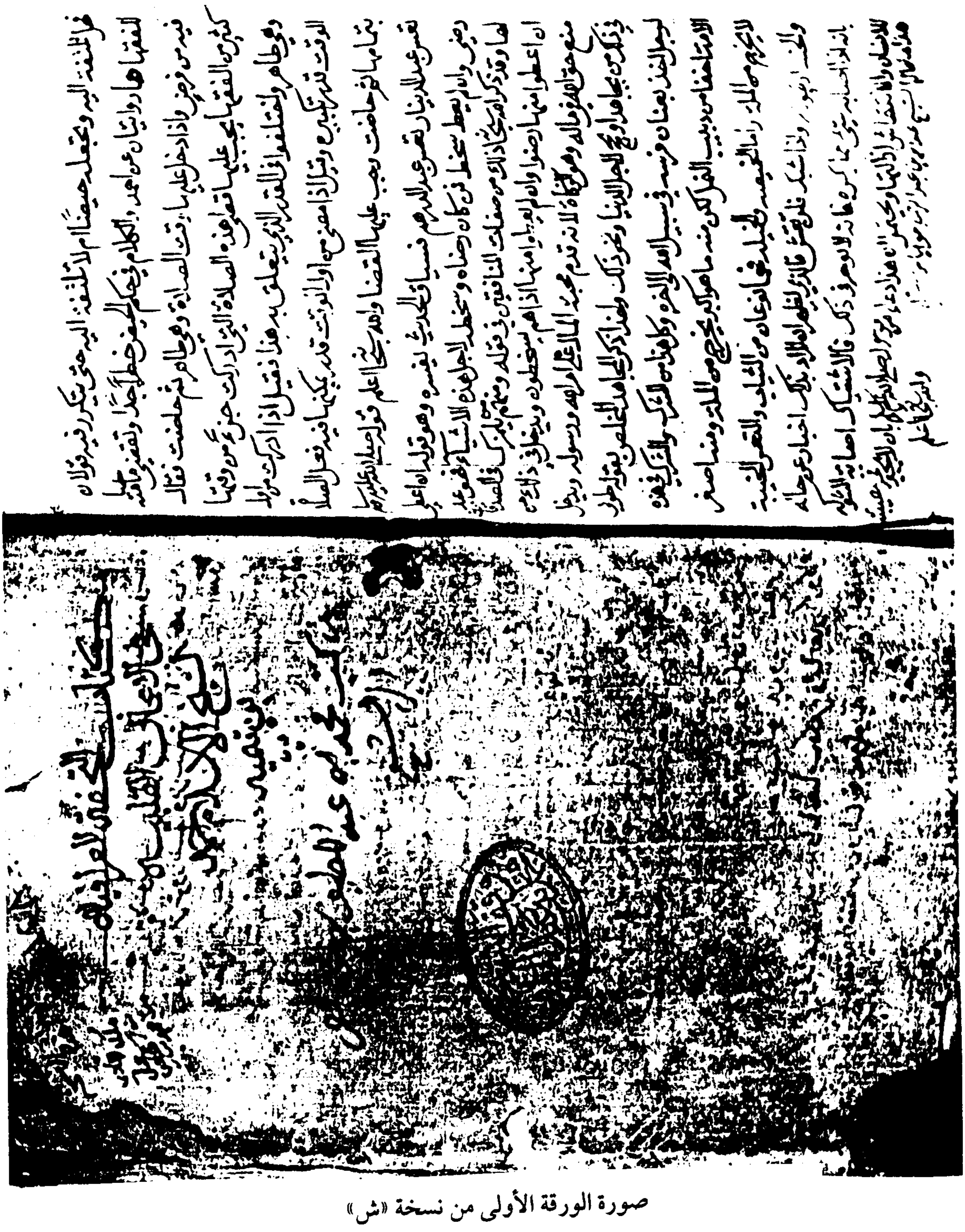
صورة الصفحة الأخيرة من نسخة «ص»



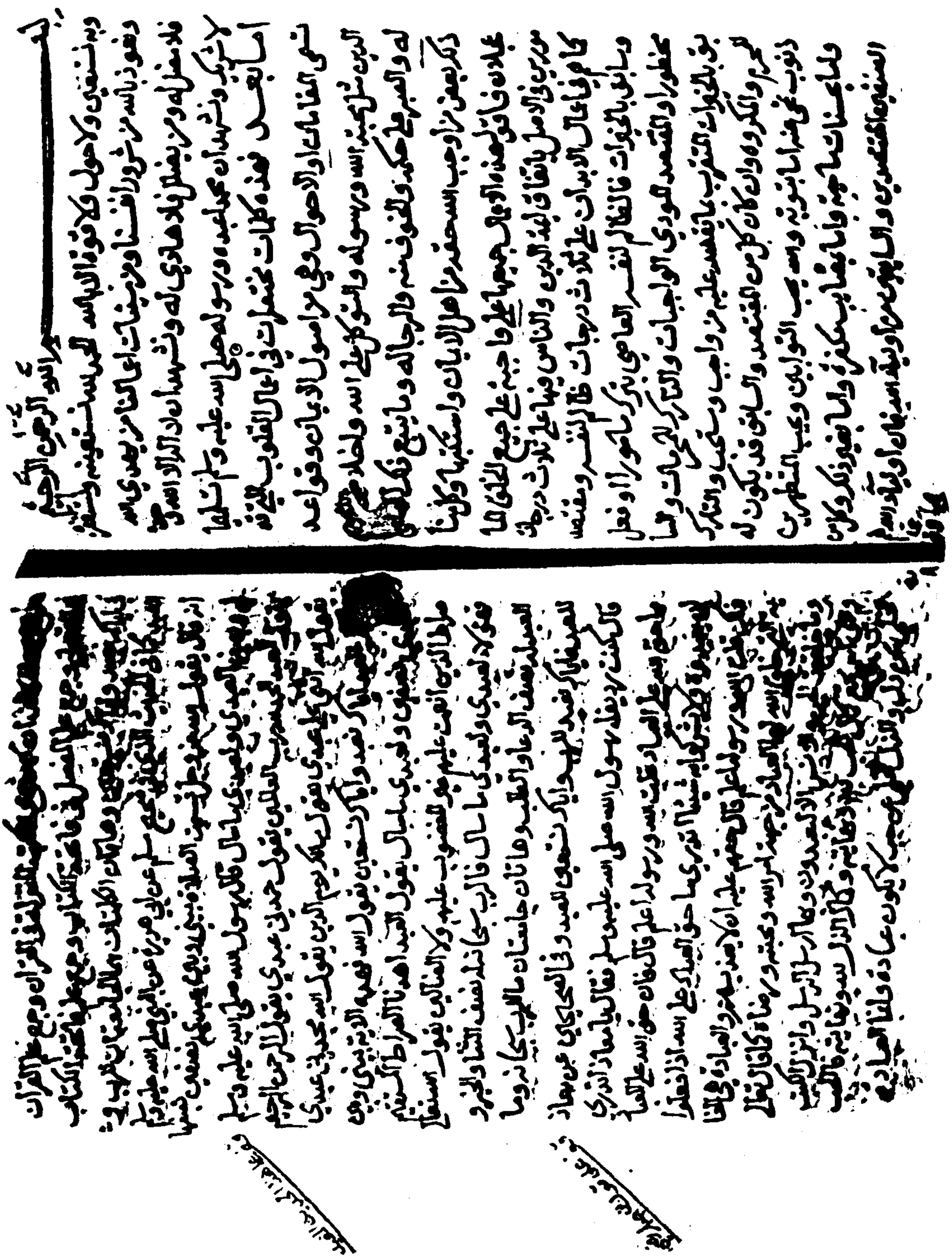
صورة الورقة الأولى من نسخة «س»



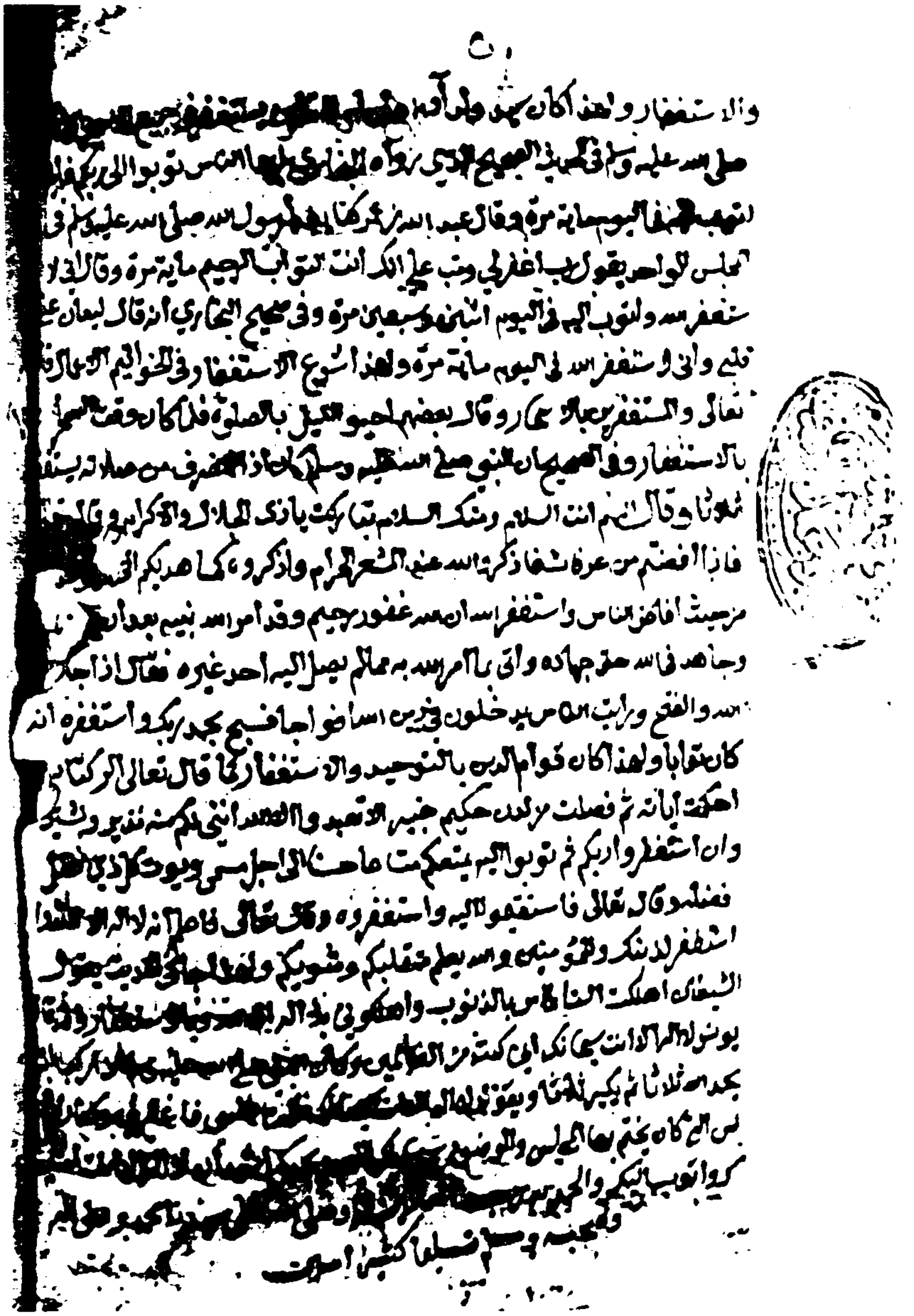
صورة الورقة الأخيرة من نسخة «س»



صورة الورقة الأولى من نسخة «ش»



صورة الورقة الثانية من «ش»



والاستغفار ولهذا كان [illegible] ويستغفر في جميع [illegible]
صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني
أتوب إليه في اليوم مائة مرة وقال عبد الله بن عمر كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في
المجلس الواحد يقول رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة وقال إني لأ
ستغفر الله وأتوب إليه في اليوم [illegible] وسبعين مرة وفي صحيح البخاري أنه قال إنه ليغان على
قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال قال
تعالى والمستغفرين بالأسحار وقال بعضهم أحيوا الليل بالصلاة فلما كان وقت السحر
بالاستغفار وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا انصرف من صلاته يستغفر
ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام وقال تعالى
فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم [illegible]
من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور رحيم وقد أمر الله نبيه بعد أن [illegible]
وجاهد في الله حق جهاده وأتى بما أمره به مما لم يصل إليه أحد غيره فقال إذا جاء نصر
الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه
كان توابا ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال تعالى الر كتاب
أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير
وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل
فضله وقال تعالى فاستقيموا إليه واستغفروه وقال تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ولهذا جاء في الحديث يقول
الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار [illegible]
يونس لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين [illegible]
[illegible]

صورة الورقة الأخيرة من نسخة «ش»

في الاستغفار لامه فلم يؤذن له في ذلك ومنع صلى على المنافقين قبل ان ينهى عن ذلك وكان يرجو لهم المغفرة حتى انزل الله عز وجل ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الى قوله ان ابرهيم لاواه حليم وقال عن المنافقين ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية وقال
سواء استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فاذا كان نصح على المنافقين واستغفر لهم رجاء ان يغفر لهم لكل ذلك ولهذا سوغ
العلماء ان يروى في باب الوعد والوعيد ما لا يعلم انه كذب وان كان ضعيف الاسناد بخلاف باب الامر والنهي فانه لا يؤخذ فيه الا بما يثبت
انه صدق لان باب الوعد والوعيد اذا امكن ان يكون الخبر صدقا وامكن ان يوجد الخبر كذبا لم يجز نفيه لا سيما بلا علم كما لم يجز الجزم بثبوته
بلا علم اذ المحذور نفيه الناس معاينة اللفظ نعيين الوعد والوعيد فلا يجوز منع ذلك منع الحديث اذ امكن ان يكون صدقا لان في ذلك
ابطال ما هو حق وذلك لا يجوز ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج وهذا الباب وهو باب الوعد والوعيد
في كتاب الله باسماء مطلقة للمؤمنين والصابرين والمجاهدين والمحسنين فاكثر من يظن من الناس انه من اهل الوعد ويكون اللفظ في
ظنه انه متصف بما يدخل في الوعد لا في اعتقاد صدق الوعد في نفسه وهذا كقوله وهذا كقوله انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة
الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فقد يظن الانسان
في نفسه او غيره كمال الايمان المستحق للنصر وانه من جند الله الغالبون ويكون الامر بخلاف ذلك وقد يقع من النصر الموعود به ما لا يظن
انه من الموعود به فالظن المخطئ في ذلك كثير جدا اكثر منه في باب الامر والنهي مع كثرة ما وقع من الغلط في ذلك وهذا انما لا يحصر الغلط فيه
الا الله تعالى وهذا عام لجميع الادميين لكن الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يقرون بل يتبين لهم وغير الانبياء لا يتبين ذلك لهم في الوقت
ولهذا كثر في القران ما يامر نبيه صلى الله عليه وسلم بتصديق الوعد والايمان وما يحتاج اليه ذلك من الصبر الى ان يجيء الوقت ومن الاستغفار
لزوال الذنوب التي لها يتخلف اتصافه بصفة الوعد كما قال تعالى فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقال فاصبر ان
وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون والايات في هذا الباب كثيرة معلومة والله اعلم وصلى الله على محمد
تم كتاب التحفة العراقية في الاعمال القلبية لشيخ الاسلام ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا
من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ونشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله
عليه وسلم تسليما اما بعد فهذه كلمات مختصرة في اعمال القلوب التي تسمى المقامات والاحوال وهي من اصول الايمان وقواعد
الدين مثل محبة الله ورسوله والتوكل على الله واخلاص الدين له والشكر له والصبر على حكمه والخوف منه والرجاء له وما يتبع ذلك
اقتضى ذلك بعض من اوجب الله حقه من اهل الايمان واستكتبها وكل منا عجلان ... هذه الاعمال جميعها واجبة على جميع الخلق
المامورين في الاصل باتفاق ائمة الدين والناس في هذا على ثلاث درجات كما هم في اعمال الابدان على ثلاث درجات ظالم لنفسه ومقتصد
وسابق بالخيرات فالظالم لنفسه العاصي بترك مامور او فعل محظور والمقتصد المؤدي الواجبات والتارك المحرمات والسابق بالخيرات
المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومسنون والتارك للمحرم والمكروه وان كان كل من المقتصد والسابق قد يكون له ذنوب تمحى عنه بتوبة
والله يحب التوابين ويحب المتطهرين واما بحسنات ماحية واما بمصائب مكفرة واما بغير ذلك وكل من الصنفين المقتصدين و
السابقين من اولياء الله الذين ذكرهم الله في كتابه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون فاولياء الله
هم المؤمنون المتقون ولكن ذلك ينقسم الى عام وهم المقتصدون وخاص وهم السابقون وان كان السابقون هم اعلى درجات كالانبياء
والصديقين وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يقول الله من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل
حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش
وبي يمشي ولئن سالني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت
واكره مساءته ولا بد له منه واما الظالم لنفسه من اهل الايمان ففيه من ولاية الله بقدر ايمانه وتقواه كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره

صورة الورقة الأولى من نسخة العزّاق

وفي صحيح مسلم أنه قال إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال قال تعالى و
المستغفرين بالأسحار وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام و
منك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام وقال تعالى فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام إلى قوله واستغفروا الله
إن الله غفور رحيم وقد أمر الله نبيه بعد أن بلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده وأتى بما أمر الله به مما لم يصل إليه غيره فقال
إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ولهذا كان قوام الدين
الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال تعالى الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير
وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا الآية وقال تعالى فاستقيموا إليه واستغفروه وقال تعالى فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ولهذا جاء في الحديث يقول الشيطان أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني
بلا إله إلا الله والاستغفار وقال يونس لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ركب دابته حمد الله
ثم يكبر ثلاثا ويقول لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس والوضوء سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن
لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك والله أعلم آخره والحمد لله وصلى الله على محمد وسلم

مسألة في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه هل كان بعيني رأسه أم بقلبه بينوا توجروا الحمد لله أما رؤية النبي صلى الله عليه وسلم
ربه بعيني رأسه في الدنيا فهذا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة ولا عن أحد من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره
لكن الذي ثبت عن الصحابة كأبي ذر وابن عباس وغيرهما والأئمة كأحمد بن حنبل وغيره أنه يقال رآه بفؤاده كما ثبت في صحيح مسلم
عن ابن عباس أنه قال رأى محمد ربه بفؤاده مرتين وقد ثبت عن عائشة أنها قالت من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية
ولم ترو عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شيئا ولا روى أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك شيئا وأما الحديث
الذي يذكره بعض الجهال أنه قال لعائشة لم أره وقال لأبي بكر رأيته وأنه أجاب كل واحد على قدر عقله فهذا كذب ولم يرو هذا الحديث
أحد من علماء المسلمين ولا يوجد في شيء من كتب الحديث المعروفة ثم من العلماء من جمع بين قول عائشة وقول ابن عباس وقال إن
عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس ذكر رؤية الفؤاد ولا منافاة بينهما ومنهم من جعلها قولين مختلفين وأكثر أهل السنة يرجحون
قول ابن عباس لما فيه من الإثبات ولما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت ربي وليس في شيء من الحديث الثابت أنه قال رأيته
بعيني بل قد روى بعضهم هذه الأحاديث التي فيها رؤية العين كأبي بكر الخلال ونصر هذا القول طائفة منهم القاضي أبو يعلى وذكر
عن أحمد في الرؤية ثلاث روايات رواية أنه رآه بعيني رأسه ورواية بعيني قلبه ورواية أنه يقول رآه ولا يقول بعيني رأسه ولا
بعيني قلبه ونصر هذا طائفة من أهل الكلام من أتباع ابن كلاب لكن رؤية العين عند هؤلاء إنما هي زوال مانع في العين ليست الرؤية
المعروفة عند سلف الأمة وأئمتها وهؤلاء إنما وافقوا ابن كلاب في مسألة الكلام فقط وأما مسألة الرؤية المناسبة فقد نفوه فيها وخالفوا
أيضا فيما يشبه من الصفات الخبرية كالرؤية والعلو وغيرهما وإن كانوا ينتسبون إلى مذهبه لموافقتهم له في أكثر أقواله وأكثر هؤلاء
يجعلون تكليم الله لموسى إنما هو الكلام القائم بالذات ويجعلون رؤيته إنما هي خلق الإدراك في العين فقط فسلك طريق هؤلاء
الجهمية الاتحادية حتى يقولون إنهم يرون الله في كل صورة في الدنيا والآخرة واتفق هؤلاء غلاة المعطلة وغلاة المجسمة على أنه يرى
في الدنيا بالعيان وحتى يزعموا أنهم يواكلونه ويجالسونه في الدنيا وأمثال هذه الترهات وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن غير
النبي صلى الله عليه وسلم لا يرى الله في الدنيا وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال واعلموا أن أحدا منكم لن يرى ربه حتى يموت و
كذلك اتفق الصحابة وسلف الأمة وأئمتها على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عيانا كما ترى الشمس والقمر كما تواترت بذلك الأحاديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم فمن قال إنه لا يرى في الآخرة فهو جهمي ضال ومن قال إن غير النبي صلى الله عليه وسلم يراه في الدنيا بالفؤاد فهو أيضا
مبتدع ضال كاذب والحلولية والاتحادية يجمعون بين النفي والإثبات ومن قال إن النبي صلى الله عليه وسلم رآه بعينه في الدنيا فهو
أيضا غالط فإن هذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا الأئمة والمنقول في رؤية العين في الدنيا عن النبي صلى الله عليه وسلم كله كذب

صورة الورقة الأخيرة من نسخة العراق

## الأعمال القلبية عند أهل السنة والرد على المنحرفين فيها

لقد بينت فيما سبق أن موضوع هذا الكتاب الذي أنا بصدد دراسته وتحقيقه هو الأعمال القلبية، وقد تكلم المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه هذا عن أهم الأعمال القلبية، كالصدق، والإخلاص، والتوكل، والرضا، والمحبة، وغير ذلك، وذكر بعض المنحرفين فيها ورد عليهم بإيجاز.

ولم يتعرض - رحمه الله تعالى - إلى كل أعمال القلوب بالشرح والتفصيل، نظرًا لضيق وقته وانشغاله كما أشار إلى ذلك في أول الكتاب. ولأهمية موضوع الكتاب، لكونه يتكلم عن أعمال القلوب، التي بصلاحها يصلح الجسد كله، وبفسادها يفسد الجسد كله، كما في الحديث عن رسول الله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد كله، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد كله، ألا وهي القلب»[(١)]. والتي هي موضع نظر الرب سبحانه وتعالى كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[(٢)]. رأيت أنه من اللازم أن أقوم بدراسة للأعمال القلبية عند أهل السنة مع الرد على المخالفين لهم والمنحرفين في أعمال القلوب من الصوفية وغيرهم وذلك حسب جهدي

---

(١) «فتح الباري شرح صحيح البخاري»: ج١، كتاب الإيمان، باب (٣٩)، ح٥٣، عن النعمان بن بشير - رضي الله عنه - بلفظ نحوه.

(٢) «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب (١٠)، ح٢٥٦٤/٣٤، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظه.

وطاقتي، وتيسير الله لي معتمدًا في ذلك على كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم، ثم ما يتوافر لي من المصادر والمراجع في هذا الموضع.

**(أ) تمهيد:**

وأقدم لدراستي لأعمال القلوب عند أهل السنة بتمهيد يتمثل في الكلام على الموضوعات التالية:

أولاً: نبذة تاريخية مختصرة عما كتب في هذا الموضوع.

ثانيًا: التعريف بالمصطلحات التي ذكرها المؤلف في كتابه، التي لا يخلو منها أي كتاب يتكلم عن أعمال القلوب وذلك حسب الترتيب التالي:

١ ـ الحال.

٢ ـ المقام.

٣ ـ الوجد.

٤ ـ الذوق.

٥ ـ السكر.

٦ ـ الفناء.

٧ ـ الاصطلام.

ثالثًا: التعريف بالقلب وقوله وعمله.

رابعًا: درجات الناس في أعمال القلوب.

ثم بعد هذا التمهيد أقوم بعرض ودراسة لأهم أعمال القلوب عند أهل السنة، مع ذكر المخالفين لهم والمنحرفين في هذه الأعمال القلبية، كلما وجد هذا الانحراف أو المخالفة والرد عليهم مستمدًا هذه الدراسة من الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة وأقوال الصحابة رضوان الله عنهم والتابعين وعلماء الإسلام رحمهم الله تعالى.

وأسأل الله المعونة والسداد والتوفيق إنه سميع مجيب . . .

* **أولاً: نبذة مختصرة عما كتب في هذا الموضوع:**

إن البحث عن تاريخ التأليف والتدوين في أعمال القلوب الذي هو من أشرف العلوم لا يختلف عن أي علم آخر من العلوم الشرعية، فعند نزول الوحي على رسول الله ﷺ، المتمثل في القرآن الكريم، والسنة النبوية، الذي قال الله فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[(١)] بيَّن الله في آيات كثيرة من القرآن الكريم القلوب وأعمالها، كالصدق والإخلاص والتوكل والصبر والرضا وغير ذلك، وكذلك السنة النبوية بينت هذه الأعمال القلبية بيانًا شافيًا، ويتضح هذا كثيرًا فيما يأتي عند الكلام عن أعمال القلوب وبيانها من الكتاب والسنة.

ثم بعد عصر الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين دونت السنة النبوية، ثم بعد ذلك بدأ التأليف والتدوين في بعض العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه . . . إلخ.

وكان المفسرون والمحدثون قد تكلموا عن هذه الآيات والأحاديث التي تبين هذه الأعمال القلبية في كتب التفسير والحديث.

بل إن أهل الحديث قد بوبوا لهذه الأعمال القلبية في مصنفاتهم، كما فعل البخاري ومسلم[(٢)] رحمهما الله تعالى.

---

(١) سورة النجم، الآيتان: ٣ ـ ٤.

(٢) انظر على سبيل المثال: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب الرجاء مع الخوف (١٩)، وكذلك باب الصبر عن محارم الله نفس الكتاب، باب (٢٠)، وباب من يتوكل على الله فهو حسبه.
وانظر أيضًا على سبيل المثال: «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (٢٩)، وكذلك كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤٨).

ثم تكلم عن أعمال القلوب الذين كتبوا في الزهد، كابن المبارك والإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى.

ولكن كان الكلام عن القلوب وأعمالها غير مستقل بالتصنيف والتدوين كسائر العلوم الشرعية التي استقلت بالتأليف والتصنيف فيما بعد. وهذا يعرفه من له اطلاع على تاريخ تدوين العلوم الشرعية، وعندما استقلت العلوم بالتأليف والتدوين كان من أوائل ما ظهر من المؤلفات التي وصلت إلينا في أعمال القلوب هي كتب "الحارث المحاسبي" كتابه: «الرعاية لحقوق الله» نشرته "مارجريت سميث" سنة ١٩٤٠م. وكتب "ريتر" عنه سنة ١٩٤٨م، وحققه "عبد الحليم محمود، وعبد الباقي سرور" سنة ١٩٥٨م. وله مختصر بعنوان «مقاصد الرعاية» لعبد العزيز بن عبد السلام السلمي[(١)]، المتوفى سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م. انظر بروكلمان: (١/ ٤٣٠)، ولازال مخطوطًا. وكذلك كتابه المسمى: «التنبيه على أعمال القلوب في الدلالة على الوحدانية» لازال مخطوطًا في مكتبة "جار الله" بتركيا (١١٠١/ ٥٥)، وكذلك كتابه المسمى «المسائل في أعمال القلوب والجوارح» لازال مخطوطًا في مكتبة "جار الله" (١١٠١/ ١٠) وفي الأزهر (٣/ ٦٣٠) تصوف، وكذلك كتابه المسمى «كتاب الصبر والرضا» حققه "شبيس" سنة ١٩٣٤م[(٢)].

وعاش المحاسبي إلى حوالى منتصف القرن الثالث سنة ٢٤٣هـ[(٣)].

---

(١) انظر: «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين: (٤/ ١١٥)، العقائد والتصوف، طبعة جامعة الإمام.

(٢) انظر: «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين: (١/ ٤/ ١١٦ ـ ١١٧).

(٣) هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي العنزي، وُلد على الأرجح حوالي سنة =

ثم ظهر في القرن الرابع "للكلاباذي"[(١)] كتاب: «التعرف لمذهب أهل التصوف» تكلم في بعض أبوابه عن أعمال القلوب، على طريقة الصوفية، حققه "آبري" بالقاهرة سنة ١٩٣٣م، وترجمه إلى الانجليزية وحققه: عبد الحليم محمود وطه سرور بالقاهرة سنة ١٩٦٠م، وظهر - أيضًا - في هذا القرن كتاب «قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد» لـ "أبي طالب المكي"[(٢)] تكلم في بعض أبوابه عن المقامات والأحوال، وأعمال القلوب بأسلوب طويل مسهب، وهو أحد المصادر الأساسية لـ "الغزالي" في كتابه «إحياء علوم الدين»، وقد طبع هذا الكتاب بالقاهرة سنة ١٣١٠هـ في مجلدين، وهذبه أبو عبد الله الطبرسي بن عبد الله المهتدي بنور الله، ويوجد «التهذيب» مخطوطًا في مكتبة "فاتح" ٣٧٦٥ (٣٤٤ ورقة) ٥٧٥هـ[(٣)]، وله عدة مختصرات.

ثم ظهر في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري كتاب «الرسالة»

---

= ١٧٠هـ في البصرة، ورحل إلى بغداد، ألف في التصوف، توفي سنة ٢٤٣هـ.
انظر: «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين: (١/ ٤/ ١٤).

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن إبراهيم الكلاباذي الحنفي المتوفى سنة ٣٨٠هـ.
انظر: «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين: (١/ ٤/ ١٧٣).
وانظر كلامه في أعمال القلوب في كتاب «التعرف لمذهب أهل التصوف»: (ص١١١، وما بعدها).

(٢) هو أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي الواعظ المكي شب في مكة ورحل إلى البصرة ثم رحل إلى بغداد وتوفي بها سنة ٣٨٦هـ.
انظر: «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين: (١/ ٤/ ١٦٨)، وانظر كلامه في أعمال القلوب في «قوت القلوب»: (١/ ١٧٨، وما بعدها)، و(٢/ ٢ - ٥٨).

(٣) انظر: «تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين: (١/ ٤/ ١٧٩ - ١٨٠).

للقشيري(١)، تكلم فيها عن أعمال القلوب على طريقة من قبله من شيوخ الصوفية، ثم جاء أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي الحنبلي(٢) فألف كتابه «منازل السائرين» وكذلك كتابه «علل المقامات» على طريقة شيوخ الصوفية، ثم ظهر كتاب «محاسن المجالس» لأبي العباس بن العريف(٣) في أعمال القلوب والتصوف على طريقة من سبق من شيوخ التصوف.

ثم جاء الغزالي(٤) في نهاية القرن الخامس فكتب كتابه «إحياء علوم الدين»، وتكلم في ربع المنجيات عن أعمال القلوب ونقل واستفاد كثيرًا ممن تقدمه.

ثم جاء في أوائل القرن السادس أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي(٥)

---

(١) هو أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد النيسابوري القشيري، وُلد سنة ٣٧٦هـ، وتوفي بنيسابور سنة ٤٦٥هـ، من تصانيفه «الرسالة القشيرية».
انظر: «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي: (١١/ ٨٣)، وانظر كلامه في أعمال القلوب في كتابه «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢٧٥، وما بعدها)، و(٢/ ٤٢١، وما بعدها).

(٢) ترجمته في (ص٣٤٦).

(٣) انظر ترجمته في (ص٣٤٦).

(٤) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي الملقب بحجة الإسلام من أئمة الصوفية، وُلد سنة خمسين وأربعمائة، وتوفي سنة خمس وخمسمائة بالطابران، رحل إلى بغداد ونيسابور ودمشق والحجاز ثم قصد مصر وله مصنفات مشهورة.
انظر: «طبقات الشافعية»: (٦/ ١٩١)، و«جلاء العينين في محاكمة الأحمدين»: (ص١١٨).

(٥) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد البكري البغدادي أبو الفرج المعروف بابن الجوزي شيخ وقته، وإمام عصره وُلد سنة ٥٠٨هـ ببغداد، وتوفي سنة ٥٩٧هـ، وله مصنفات كثيرة مشهورة. =

فألف كتابه المسمى بـ «تلبيس إبليس» تكلم في بعضه عن المنحرفين من الصوفية في أعمال القلوب وغيرها ورد عليهم ردًّا بليغًا، ثم جاء في أواخر القرن السابع شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فألف كتابه هذا المسمى بـ «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» إلا أنه لم يسلك طريق من قبله ممن كتب في أعمال القلوب الذي غلب عليهم التصوف فسلكوا طريقه، بل اعتمد منهجًا مستقلاً، بناه على هدي من كتاب الله العزيز وسنة نبيه ﷺ فأوضح الطريق لمن بعده ممن أراد السير على المنهج السليم، فرد رَحِمَهُ اللَّهُ على المنحرفين في أعمال القلوب من الصوفية وغيرهم وأشار إلى بعض أخطاء من سبقه من الذين كتبوا في أعمال القلوب كالهروي وابن العريف[1]. وعلى الرغم من صغر هذا الكتاب واختصاره، فإن المكتبة الإسلامية بحاجة إليه وإلى أمثاله، خاصة وقد انفرد الصوفية بالكتابة كثيرًا في أعمال القلوب وكتبهم غالبًا لا تخلو من الاعوجاج والانحراف عن هدي الكتاب والسنة وهذا واضح لمن تدبرها، ولم يتقدم هذا الكتاب فيما أعلم كتاب مثله، فقد بحث موضوع أعمال القلوب ودرسها على منهج سليم قويم.

فالمكتبة الإسلامية تعاني من فراغ في هذا الجانب المهم، فرحم الله شيخ الإسلام جزاء ما قدم للإسلام والمسلمين.

---

= انظر: «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب: (١/ ٣٩٩ ـ ٤٣٣)، وانظر كلامه في الرد على المنحرفين من الصوفية في كتابه «تلبيس إبليس» على سبيل المثال (ص١٥٠، ١٦٠، ٢٢٢، ٢٥٠).

(١) انظر على سبيل المثال من هذه الرسالة (ص٣٤٦).

وجاء بعد شيخ الإسلام ابن تيمية تلميذه ابن القيم[1] فألف كتابه «مدارج السالكين» شرحًا لـ «منازل السائرين» الذي ألفه الهروي وحاول تنقيته من غلو الصوفية وانحرافهم، وكذلك ألف كتابه «طريق الهجرتين» استدرك فيه أخطاء في كتاب «علل المقامات» للهروي، وكتاب «محاسن المجالس» لأبي العباس بن العريف. فحاول في كتابه هذا بيان وجه الصواب[2] فجزاه الله خيرًا، فقد كان حريصًا على تصفية عقيدة المسلمين من كل شائبة أو انحراف، شديد التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

وبهذا تنتهي هذه النبذة التاريخية المختصرة عما كتب في هذا الموضوع وبالله التوفيق. والله أعلم.

## * ثانيًا: التعريف بالمصطلحات التي ذكرها المؤلف في الكتاب:

ذكر ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه هذا بعض المصطلحات، التي يكثر ذكرها في كتب التصوف عند الحديث عن أعمال القلوب، وتسمى «المقامات والأحوال» هذه المصطلحات قد يكون لها شاهد من

---

(١) هو الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي إمام الجوزية وابن قيمها، وُلد في سنة ٦٩١هـ، برع في علوم متعددة لاسيما التفسير والحديث والأصلين، ولما عاد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من البلاد المصرية في سنة ٧١٢هـ لازمه إلى أن مات الشيخ وأخذ عنه علمًا جمًّا، وكان ابن القيم كثير العبادة، وله من التصانيف شيء كثير، توفي سنة ٧٥١هـ، وله من العمر ستون سنة رحمه الله تعالى.
انظر: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير: (١٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، و«جلاء العينين في محاكمة الأحمدين»: (ص٣٠ ـ ٣٢).

(٢) انظر على سبيل المثال من كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن القيم: (ص٢٨٦ ، ٣٢٠ ، ٣٢٥ ، ٢٣٠، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٨٠، ٣٨٤، ٤٤٦).

اللغة والشرع، وقد لا تخلو من التكلف والتحكم، ولكن هو مجرد اصطلاح، ولا مشاحة في الاصطلاح كما قيل. ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (لابد من مخاطبة أهل الزمان باصطلاحهم)[١].

وسوف نتكلم عن هذه المصطلحات ونبين ورودها في اللغة والشرع فنقول ومن الله السداد:

## ١ ـ الحـــال:

الحال في اللغة: نهاية الماضي وبداية المستقبل. وفي اصطلاح النحويين: ما يبين هيئة الفاعل أو المفعول به، لفظًا نحو: ضربت زيدًا قائمًا، أو معنى نحو: زيد في الدار قائمًا[٢].

والحال عند أهل التصوف: معنى يرد على القلب من غير تعمد، ولا اجتلاب ولا اكتساب، من طرب أو حزن أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج أو هبة أو احتياج، ويزول بظهور صفات النفس سواء يعقبه المثل أو لا، فإذا دام وصار ملكًا يسمى مقامًا[٣].

وقيل: الحال هو ما يتحول فيه العبد ويتغير مما يرد على قلبه، فإذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له: حال[٤].

والأحوال مواهب لا تكتسب فهي من الله، وقالوا: الأحوال كاسمها، يعني: أنها كما تحل بالقلب تزول[٥]. فالوصف في القلب إذا كان عارضًا

---

(١) انظر: «مدارج السالكين»: (١/ ١٣٩).

(٢) انظر: «التعريفات» للجرجاني: (ص٨٥).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢٠٦)، وكذلك «التعريفات» للجرجاني: (ص٨٥).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٥/ ١٦)

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢٠٦).

سريع الزوال سمي حالاً. وقيل: سمي الحال حالاً لتحوله[1].

وقال قوم: ببقاء الأحوال ودوامها، فإذا زالت لم تكن أحوالاً إنما هي لوائح من لاح المعنى إذا ظهر، وبواده: من بدهه إذا فجأه وبغته[2].

والحال مقدمة المقام، فلا مقام إلا بعد سابقة حال، ولا تفرد للمقامات دون سابقة الأحوال[3].

ووردت هذه الكلمة في قوله تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[4]، أي: أن الموج قد حال بين نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وبين ابنه[5]. وذكرت أيضًا في قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾[6]، وهي هنا من الحيلولة (وذلك أن الحول بين الشيء والشيء إنما هو الحجز بينهما)[7].

فمعنى الحال التي ترد على القلب غير الحال المذكورة في الآية، فحال القلب مأخوذة من الحلول، وهو النزول، ولهذا أنشدوا[8]:

لو لم تَحُلْ ما سميت حالاً ... وكل ما حَالَ فقد زالا

والحال التي في الآية من الحيلولة، وهي: الحجز بين الشيئين.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ١٣٣)، و(٥/ ٢٢٧).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢٠٧).

(٣) انظر: «عوارف المعارف الملحق بإحياء علوم الدين»: (٥/ ٢٢٨).

(٤) سورة هود، الآية: ٤٣.

(٥) انظر: «تفسير القرطبي»: (٩/ ٤٠).

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» لابن جرير: (٥/ ٩/ ص١٤٣).

(٨) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢٠٦).

وأرى: أن الحال التي تحل بالقلب من الصبر والرضا والتوبة والحب والخوف والرجاء وغيرها من أحوال القلب تحول بين العبد وبين ما يخالفها من الأمور المكروهة، فالصبر يحول بين العبد والجزع، والتوبة تحول بين العبد والمعصية، والرضى يحول بين العبد والسخط، وهكذا؛ لأن القلب لابد له من حال إما محمودة أو مذمومة، ولا يمكن أن يكون فارغًا عن واحدة منها، فبهذا يحصل توافق بين المعنى الاصطلاحي وبين ما ورد في الشرع. وبالله التوفيق.

٢ ـ المقـــــام:

هو الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات، (أي: أحوال القلب) وصنوف المجاهدات، فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينقل منه إلى غيره[(١)].

وقيل المقام: ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب (أي: بنزوله فيه وبما اكتسب له) مما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف[(٢)]. وسمي المقام مقامًا لثبوته واستقراره، فهو مجرد وصف إذا ثبت وأقام بالقلب سمي مقامًا[(٣)].

والمقامات كسبية تكون بفعل العبد، والحال مقدمة المقام. والمقام أثبت ولا مقام إلا بعد سابقة حال، وقد يكون الشيء بعينه حالاً ثم يصير مقامًا، مثل: أن ينبعث من باطن العبد داعية المحاسبة، ثم تزول الداعية

---

(١) «إحياء علوم الدين»: (٥/ ١٦).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢٠٤)، و«التعريفات» للجرجاني: (ص٢٤٤).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ١٣٣).

بغلبة صفات النفس ثم تعود، ثم تزول، فلا يزال العبد حال المحاسبة يتعاهد الحال، ثم يُحول الحال (أي: يزول) بظهور صفات النفس إلى أن تتداركه المعونة من الله الكريم ويغلب حال المحاسبة، وتنقهر النفس، وتنضبط وتتملكها المحاسبة فتصير المحاسبة وطنه ومستقره ومقامه، فيصير في مقام المحاسبة بعد أن كان له حال المحاسبة. ثم ينازله حال المراقبة. فمن كانت المحاسبة مقامه يصير له من المراقبة حال، ثم يتدارك الله عبده بالمعونة فيصير مراقبته مقامًا بعد أن كانت حالاً، وهكذا في جميع الأحوال والمقامات القلبية[1].

ووردت كلمة «مقام» في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[2]، وفي قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾[3].

(فمقام: مصدر بمعنى القيام، والمعنى: خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية)[4].

وقد اعترف ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ بالمقامات والأحوال، فقال: (فهذه كلمات مختصرات في أعمال القلوب التي قد تسمى: المقامات والأحوال)[5]. وهكذا يذكرها أثناء الكلام عن أعمال القلوب في كتابه هذا «التحفة العراقية في الأعمال القلبية».

---

(١) انظر هذا الكلام في: «عوارف المعارف الملحق بإحياء علوم الدين» للغزالي: (٥/ ٢٢٧ ـ ٢٢٩).

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

(٣) سورة النازعات، الآية: ٤٠.

(٤) انظر: «تفسير القرطبي»: (١٧/ ١٧٦)، و(١٩/ ٢٠٧).

(٥) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٥).

وأيضًا اعترف تلميذه ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ بالمقات والأحوال فقال: (والصحيح في هذا ـ أي: المقامات والأحوال ـ أن الواردات والمنازلات لها أسماء باعتبار أحوالها فتكون لوامع وبوارق ولوائح عند أول ظهورها وبدوها، كما يلمع البارق ويلوح عن بعد، فإذا نازلته ـ أي: القلب ـ وباشرها فهي أحوال، فإذا تمكنت منه وثبتت له من غير انتقال فهي مقامات، وهي لوامع ولوائح في أولها، وأحوال في أوسطها، ومقامات في نهايتها، فالذي كان بارقًا هو بعينه الحال، والذي كان حالاً هو بعينه المقام.

وقد ينسلخ السالك من مقامه كما ينسلخ من الثوب، وينزل إلى ما دونه ثم قد يعود إليه وقد لا يعود، ومن المقامات: ما يكون جامعًا لمقامين، ومنها ما يكون جامعًا لأكثر من ذلك، ومنها ما يندرج فيه جميع المقامات فلا يستحق صاحبه اسمه إلا عند استجماع جميع المقامات فيه، فالتوبة جامعة لمقام المحاسبة ومقام الخوف، لا يتصور وجوده بدونها) إلى أن يقول ـ رحمه الله تعالى ـ: (ومقام الشكر جامع لجميع مقامات الإيمان، ولذلك كان أرفعها وأعلاها)[1].

قلت: وبهذا يتبين أن الأحوال والمقامات أوصاف تقوم بالقلب ولها تعلق به وأنها باعتبار هذا التعلق تنقسم إلى لوامع وبوارق ولوائح، ثم تكون أحوالاً، ثم تكون مقامًا بثبوتها في القلب واستقرارها فيه.

ولا ينكر عاقل قيام المحبة والصبر والرضا والخوف والرجاء بالقلب،

---

(١) انظر: «مدارج السالكين»: (١/ ١٣٥ ـ ١٣٧)، وما بين القوسين الكبيرين زيادة منا لتوضيح المراد.

وغيرها من الأحوال. وهذه المصطلحات لا تناقض نصًّا شرعيًّا، بل النصوص الشرعية تدل على قيام هذه الأوصاف بالقلب من الصبر والرضا والمحبة والخوف والرجاء والإنابة والخشية وغيرها، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

ثم إنه قد اعترف بها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ وهما من أعلم الناس بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله ﷺ، ومن أشد الناس تمسكًا بهما ـ وغيرهما من مشايخ الإسلام المعتبرين، فلا يسعنا إلا قبولها؛ إذ لم يقم الدليل على إنكارها، بل إنكارها مخالف للشرع والعقل، والله أعلم.

**٣ ـ الوجـــــد:**

في اللغة (وَجَدَ) مطلوبة يَجِدُه بالكسر (وُجُودًا) ويَجُد بالضم لغة عامرية لا نظير لها في باب المثال و(وَجَد) ضالته (وِجْدَانًا) و(وَجَد) عليه في الغضب (مَوْجِدَة) بكسر الجيم و(وِجْدَانًا) أيضًا بكسر الواو، و(وَجَد) في الحزن (وَجْدًا) بالفتح، و(وَجَد) في المال (وَجْدًا) بضم الواو وفتحها وكسرها.

و(جِدَة) أيضًا بالكسر، أي: استغنى. و(أَوْجَدَه) اللهُ مَطْلُوبَه أظفَرَه به وأَوْجَدَه أغناه[(١)].

وفي الاصطلاح الوجد: هو ما صادف القلب، من فزع أو غم، أو رؤية معنى من أحوال الآخرة[(٢)].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (١/٣٥٦)، مادة: «وجد»، وكذلك «مختار الصحاح» للرازي: (ص٧٠٩ ـ ٧١٠).

(٢) انظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي: (ص١٣٤).

وقيل الوجد: ما يصادف قلبك، ويرد عليك بلا تعمد وتكلف[١].

وقيل: هو مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقده[٢]. وقيل: هو ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع[٣].

أما التواجد: فهو ظهور ما يجد في باطنه على ظاهره، ومن قوي تمكن فسكن[٤].

وقيل: التواجد استدعاء الوجد بضرب اختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد[٥].

وقيل: هو استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد[٦].

وقيل: هو إظهار الوجد من غير وجد[٧].

وإذا بحثنا عن كلمة (وَجَد) في القرآن الكريم، نرى أنها قد وردت في أكثر من مائة موضع[٨]، منها قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾[٩]، وقوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾[١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾[١١]،

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢١٧).
(٢) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٥/ ١٨).
(٣) انظر: «التعريفات» للجرجاني: (٢٧٠).
(٤) انظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف»: (ص١٣٤).
(٥) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢١٥).
(٦) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي: (٥/ ١٨).
(٧) انظر: «التعريفات» للجرجاني: (ص٢٨٧).
(٨) انظر: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»: (ص٧٤٢).
(٩) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(١٠) سورة الكهف، الآية: ٨٦.
(١١) سورة الكهف، الآية: ٩٣.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾[1].

ووردت كلمة (وجد) أيضًا في السنة النبوية في أحاديث كثيرة منها: ما روى أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[2].

قلت: استعملت كلمة (وجد) في القرآن الكريم والسنة النبوية على استعمالها في اللغة ولم تخرج عنه، من إدراك المطلوب أو الظفر به، أو عدم إدراكه والظفر به إذا وردت بالنفي.

وبهذا يتبين أن هناك توافقًا بين المعنى اللغوي والاصطلاحي والشرعي بأن الوجد هو ما يجده المرء من نفسه من معان ترد على القلب من فرح أو غم أو حزن أو بكاء أو خشية ونحو ذلك، ولكن الحكم على هذا الوجد بكونه حقًّا أو باطلاً إنما يتوقف على موافقته للكتاب والسنة أو مخالفته لهما. وهذا الحديث الصحيح كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»: أصل فيما يذكر من الوجد الإيماني الشرعي دون الضالي البدعي[3].

أما ما رُوي عن النبي ﷺ: (أنه أنشده منشد:

قد لسعت حية الهوى كبدي     فلا طبيب لها ولا راقي

إلا الحبيب الذي شغفت به     فعنده رقيتي وترياقي

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٩.

(٢) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري»: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب حلاوة الإيمان (٩)، ح١٦، عن أنس بلفظه.

(٣) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٤٨)، وكذلك «العبودية» لابن تيمية: (ص٢٩).

وأن النبي ﷺ تواجد حتى سقطت البردة عن منكبه، فإنه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث. وأكذب منه ما يرويه بعضهم: أنه مزق ثوبه، وأن جبريل عليه السلام أخذ قطعة منه فعلقها على العرش، فهذا وأمثاله مما يعرف أهل العلم والمعرفة برسول الله ﷺ أنه من أظهر الأحاديث كذبًا عليه ﷺ)[1].

وذكر ابن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس» شيئًا من تلبيس إبليس على الصوفية في وجدهم الضالي البدعي فقال رحمه الله: (هذه الطائفة إذا سمعت الغناء تواجدت وصفقت وصاحت، ومزقت الثياب، وقد لبس عليهم إبليس في ذلك وبالغ)[2].

---

(١) انظر: «التصوف» لابن تيمية: (١١/٤٨)، وأورد هذه القصة الباطلة المكذوبة بسندها عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي غير المقتول في كتابه «عوارف المعارف» المطبوع ملحقًا بـ «إحياء علوم الدين» للغزالي: (٥/ ١٢٣). وقال السهروردي بعد أن ساق هذه الحكاية الباطلة بسندها: (فهذا الحديث أوردناه مسندًا كما سمعناه ووجدناه وقد تكلم في صحته أصحاب الحديث، وما وجدنا شيئًا نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل الزمان وسماعهم واجتماعهم إلا هذا وما أحسنه من حجة للصوفية، وأهل الزمان في سماعهم وتمزيقهم الخرق وقسمتها ودّوا أن لو صح والله أعلم) اهـ.
قلت: قد حكى شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ أن هذه الحكاية الصوفية كذب باتفاق أهل الحديث.
انظر: «السلوك»: (١٠/٤٨)، و«العبودية» لابن تيمية: (٢٩).
وأما قول السهروردي: (أنه ما وجد شيئًا نقل عن رسول الله ﷺ يشاكل وجد أهل زمانه) من الصوفية الباطل إلا هذه القصة الباطلة فهو صادق في كلامه لأن وجد الصوفية الضالي البدعي ليس لهم دليل عليه، إلا مثل هذه الحكايات الباطلة المكذوبة. والله تعالى أعلم.

(٢) انظر: «تلبيس إبليس»: (ص٢٥٠).

ثم ذكر أنهم احتجوا على هذا الوجد الضالي البدعي بما يروى أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[(١)]، صاح سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ صيحة، ووقع على رأسه، ثم خرج هاربًا ثلاثة أيام[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (أما ما ذكروه عن سلمان فمحال وكذب، ثم ليس له إسناد، والآية نزلت بمكة، وسلمان إنما أسلم بالمدينة، ولم ينقل عن أحد من الصحابة مثل هذا أصلاً)[(٣)].

واحتج الصوفية ـ أيضًا ـ بأن الربيع بن خثيم لما سمع قارئًا يقرأ قول الله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[(٤)]، صعق وحمل إلى أهله وأنه لم يصل الظهر والعصر والمغرب ثم أفاق بعد ذلك[(٥)].

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: (فهذا سفيان الثوري ينكر أن يكون الربيع بن خثيم جرى له هذا؛ لأن الرجل كان على السمت الأول، وما كان في الصحابة والتابعين من يجري له مثل هذا، ثم نقول على تقدير الصحة أن الإنسان قد يغشى عليه من الخوف فيسكنه الخوف ويسكته، فيبقى كالميت، وعلامة الصادق أنه لو كان على حائط لوقع لأنه غائب، فأما من يدعي الوجد ويتحفظ من أن تزل قدمه ثم يتعدى إلى تخريق الثياب وفعل

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٣.

(٢) انظر: «تلبيس إبليس»: (ص٢٥٠).

(٣) انظر: المصدر السابق: (ص٢٥١).

(٤) سورة الفرقان، الآية: ١٢.

والربيع بن خثيم الثوري التميمي أبو زيد من عباد أهل الكوفة وزهادهم والمواظبين منهم على العبادة، مات بالكوفة بعد قتل الحسين بن علي ـ رضي الله عنهما ـ سنة ثلاث وستين. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص١٠٠).

(٥) انظر: «تلبيس إبليس»: (ص٢٥١).

المنكرات في الشرع، فإنا نعلم أن الشيطان يلعب به)[1].

وقال ابن الجوزي: (اعلم وفقك الله أن قلوب الصحابة كانت أصفى القلوب، وما كانوا يزيدون عند الوجد على البكاء والخشوع)[2]. ثم ذكر بسنده عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «ذكر عنده هؤلاء الذين يصعقون عند القراءة فقال أنس: لقد رأيتنا ووعظنا رسول الله ﷺ ذات يوم حتى سمعنا للقوم خنينًا حين أخذتهم الموعظة وما سقط منهم أحد»[3].

ثم قال ابن الجوزي: (وهذا حديث العرباض بن سارية «وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب»[4]، قال أبو بكر الآجري[5]: ولم يقل صرخنا ولا ضربنا صدورنا كما يفعل كثير من

---

(١) انظر: «تلبيس إبليس»: (ص٢٥١).

(٢) انظر: المصدر السابق: (ص٢٥٢).

(٣) انظر: المصدر السابق: (ص٢٥٣).

(٤) حديث العرباض بن سارية أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، في كتاب العلم (٤٢)، باب (١٦)، ح٢٦٧٦، عن العرباس بن سارية قال: «وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل: إن هذه موعظة مودع فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي فإنه من يعش منكم ير اختلافًا كثيرًا وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة فمن أدرك ذلك منكم فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجد». وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

والعرباض بن سارية الفزاري السلمي من البكائين الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٩٢].

انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥١).

(٥) أبو بكر الآجري: هو الإمام المحدث أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي=

الجهال الذين يتلاعب بهم الشيطان)[1].

وقيل لأسماء بنت أبي بكر: كيف كان أصحاب رسول الله ﷺ عند قراءة القرآن؟ قالت: كانوا كما ذكرهم الله أو كما وصفهم الله عز وجل تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. فقيل لها: إن هٰهنا رجالاً إذا قرىء على أحدهم القرآن غشي عليه. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[2].

وروى أن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: مر برجل ساقط من العراق فقال: ما شأنه؟ فقالوا: إذا قرىء عليه القرآن يصيبه هذا. قال: إنا لنخشى الله عز وجل وما نسقط[3].

وكان محمد بن سيرين يذهب إلى أن عمل الصوفية هذا تصنع وليس بحق من قلوبهم[4].

---

= مصنف كتاب «الشريعة في السنة» و«الأربعين» وغير ذلك. وكان مجاورًا بمكة وكان عالمًا عاملاً صاحب سنة واتباع، توفي بمكة في المحرم سنة ٣٦٠هـ رحمه الله تعالى.
انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٣/ ٩٣٦)، داء إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(١) انظر: «تلبيس إبليس»: (ص٢٥٢).

(٢) المصدر السابق: (ص٢٥٢ ـ ٢٥٣). وأخرجه ابن المبارك في «الزهد»: (ص٣٥٩ ـ ٣٦٠).

(٣) المصدر السابق: (ص٢٥٣). وأخرجه الإمام أحمد في «الزهد»: (ص٢٤٢).

(٤) المصدر السابق: (ص٢٥٣).

محمد بن سيرين الأنصاري كنيته أبو بكر، وكان مولده لسنتين بقيتا من خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، وكان سيرين أبوه مكاتبًا لأنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ، وكان محمد بن سيرين من أورع التابعين وفقهاء أهل البصرة وعبادهم وكان يعبر الرؤيا، رأى ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ، ومات بالبصرة.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٨٨).

أقول: فالوجد الشرعي الصحيح: هو ما يجده الإنسان في نفسه من البكاء والخشية والإنابة إلى الله والإيمان به وحلاوته، ونحو ذلك مما يوافق كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما خالفهما من وجد الصوفية المنحرفين فهو باطل.

وبهذا قال سهل بن عبد الله التُّستَري[1]: (كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل)[2]. وهو كما قال ـ رحمه الله تعالى ـ. والله أعلم.

**٤ ـ الـــــذوق:**

في اللغة: (ذاقَه ذَوْقًا وذَواقًا ومذاقةً) اختبر طعمه وأذَقتُه أنا (وذاق) القوس جذب وترها اختبارًا (وما ذاق ذواقا) شيئًا و(تَذَوَّقه) ذاقَه مرةً بعد مرة و(تذاوقوا الرماح) تناولوها[3].

وفي كتاب «التعريفات»: الذوق هو قوة منبّثة في العصب المفروش على جرم اللسان تدرك بها الطعوم بمخالطة الرطوبة اللعابية في الفم بالمطعوم، ووصولها إلى العصب. والذوق: في معرفة الله عبارة عن نور عرفاني، يقذفه الحق في قلوب أوليائه يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره[4].

قلت: وهذا الذوق ذوق صوفي باطل لكونه لم يستند إلى الكتاب والسنة.

---

(١) هو أبو محمد سهل بن عبد الله التُّستري، وُلد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة ٢٨٣هـ، وقيل: ٢٧٣هـ، من كبار الصوفية.
انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٩٢ ـ ٩٥).

(٢) انظر: «كتاب الاستقامة» لابن تيمية: (٢/ ١٤١ ـ ١٥٠).

(٣) انظر: «القاموس المحيط»: (٣/ ٢٤٢)، مادة: «ذوق».

(٤) (ص١١٢).

**لفظ (الذوق) في الكتاب والسنة:**

لفظ (الذوق) وإن كان قد يظن أنه في الأصل مختص بذوق اللسان فاستعماله في الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك، فهو مستعمل في الإحساس بالملائم والمنافر[1]. فقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من خمسين موضعًا[2] منها: قوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ﴾[3]، فجعل البلاء بالخوف والجوع مذوقًا و(سماه لباسًا؛ لأنه يظهر عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس)[4]، وقال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾[7]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾[8]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

وثبت في الحديث الصحيح عن العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان، من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً»[9].

---

(١) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٣٤).

(٢) انظر: «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم»: (ص٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٣) سورة النحل، الآية: ١١٢.

(٤) انظر: «تفسير القرطبي»: (١٠/ ١٩٤).

(٥) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٦) سورة القمر، الآية: ٤٨.

(٧) سورة النبأ، الآية: ٢٤.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ٢٢.

(٩) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (١١)، ح٣٤/ ٥٦.

وهذا الحديث أصل فيما يذكر من الذوق الإيماني الشرعي دون الضالي البدعي[1]، واستعمال لفظ (الذوق) في إدراك الملائم والمنافر كثير. وقال النبي ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»[2] الحديث. فوجود المؤمن لحلاوة الإيمان في قلبه وذوق طعم الإيمان أمر يعرفه من حصل له هذا الوجد والذوق الإيماني الشرعي[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذا الذوق، أصحابه فيه يتفاوتون، فالذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى الله وإقبالهم عليه دون ما سواه بحيث يكونون حنفاء له مخلصين له الدين ولا يحبون شيئًا إلا له، ولا يتوكلون إلا عليه، ولا يوالون إلا فيه، ولا يعادون إلا له، ولا يسألون إلا إياه، ولا يرجون إلا إياه، ولا يخافون إلا إياه، يعبدونه ويستعينون به، بحيث يكونون عند الحق بلا خلق، وعند الخلق بلا هوى، قد فنيت عنهم إرادة ما سواه بإرادته، ومحبة ما سواه بمحبته، وخوف ما سواه بخوفه ورجاء ما سواه برجائه، ودعاء ما سواه بدعائه، هو أمر لا يعرفه بالذوق والوجد إلا من له نصيب، وما من مؤمن إلا له منه نصيب)[4].

أقول وبهذا تبين أن الذوق الصحيح: هو الذوق الإيماني الشرعي الذي قام عليه الدليل من الكتاب والسنة فوافقهما، وأن ما خالفهما فهو ذوق ضالي بدعي باطل لا يعدو أن يكون هوى النفس وحظها. والله أعلم.

---

(١) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٤٨)، وكذلك «العبودية» لابن تيمية: (ص٢٩).

(٢) سبق تخريجه في (ص٨٦).

(٣) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٣٥).

(٤) انظر: المصدر السابق: (١٠/ ٣٣٦).

٥ ـ السكـــــر :

في اللغة: السكران: ضد الصاحي[١].

وفي اصطلاح أهل التصوف: هو أن يغيب عن تمييز الأشياء، ولا يغيب عن الأشياء[٢]. وقيل: هو غيبة بوارد قوى[٣]. وقيل: هو غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب[٤]. وفي كتاب «التعريفات»: السكر غَفْلة تَعْرِض بغلبة السرور على العقل بمباشرة ما يوجبها من الأكل والشرب. وعند أهل التصوف: هو غيبة بوارد قوى وهو يعطي الطرب والالتذاذ وهو أقوى من الغيبة[٥] وأتم منها.

والسكر من الخمر عند أبي حنيفة أن لا يعلم الأرض من السماء[٦].

وعرفه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: (متى كان لا يعلم ما يقول فهو السكر وإذا علم ما يقول خرج عن حكمه. فهذا أصل يجب اعتماده وهذا حد السكران عند جمهور العلماء)[٧]. وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[٨]، وعـرفه فـي

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (٢/ ٥٢)، مادة: «سكر»، وكذلك «مختار الصحاح» للرازي: (ص٣٠٦).

(٢) انظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف»: (ص١٣٨).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢٣٦).

(٤) انظر: «عوارف المعارف» الملحق بـ «إحياء علوم الدين» للغزالي: (٥/ ٢٥٣).

(٥) يعنون بـ «الغيبة»، الغيبة عن الأشياء وعن النفس وحظوظها بمقام الفناء. انظر في هذا: «التعرف لمذهب أهل التصوف»: (ص١٤٠)، و«عوارف المعارف» الملحق بـ «إحياء علوم الدين»: (٥/ ٢٥٤)، و«التعريفات» للجرجاني: (ص١٦٩).

(٦) انظر: «التعريفات» للجرجاني: (ص١٢٥).

(٧) انظر: «الاستقامة»: (٢/ ١٤٤).

(٨) سورة النساء، الآية: ٤٣.

موضع آخر بقوله: السكر لذة مع عدم تمييز[1].

- **أسباب السكر:**

للسكر أسباب مختلفة نذكر بعضها:

منها السكر بالأطعمة والأشربة المسكرة، فإن طاعمها يحصل له بذلك لذة وسرور وهو الحاصل لأكثر الناس على شربها. وهذا هو السكر الجسماني قد بيَّن الله ورسوله حكمه بالتحريم والجلد وليس موضع بحثنا.

وقد يكون السكر من الألم كما يكون من اللذة. قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[2].

وقد يحصل السكر بالمحبة إما بحب النساء وإما الصبيان كما قال بعضهم:

سُكْرَانِ سُكْر هَوًى وسُكر مَدَامةٍ      فمتى إفاقة من به سُكْرَانِ

ومن أقوى الأسباب المقتضية للسكر سماع الأصوات المطربة لأنها في نفسها توجب لذة قوية ينغمر معها العقل، ولأنها تحرك النفس إلى نحو محبوبها كائنًا ما كان فتحصل بتلك الحركة والشوق والطلب لذات عظيمة تقهر العقل[3] أيضًا.

(والسكر مؤلف من أمرين: وجودي وهو اللذة. وعدمي وهو عدم العقل والتمييز وجنس اللذة لا يلزم إلا لمعارض راجح، من فوات منفعة أو دخول مضرة، وتحمد إذا كانت مقصودة أو معينة على المقصود.

---

(١) انظر: «العبودية» لابن تيمية: (ص٥٨).

(٢) سورة الحج، الآية: ٢.

(٣) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية: (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

أما الوصف الآخر وهو عدم العقل والتمييز فهذا لا يحمد بحال من جهة نفسه فليس في كتاب الله ولا سنة رسوله مدح وحمد لعدم العقل والتمييز والعلم.

بل قد مدح الله العلم والعقل ونحو ذلك في غير موضع وذم عدم ذلك في مواضع)[١].

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[٤]. وهذا كثير في القرآن الكريم.

**- متى حدث القول بالسكر عند الصوفية مع بيان حكمه:**

إن زوال العقل بالسكر (هو من زواله بالإغماء والجنون ونحو ذلك فهذا لا يؤمر به المؤمنون بحال ولا يحمد منهم، وإن حصل لهم مع ذلك ذوق إيماني ووجد عرفاني - مما هو محمود ومأمور به - فذاك هو المحمود، لا عدم العقل والتمييز. ولهذا لم يكن في الصحابة من حاله السكر عند سماع القرآن ولا عند غيره ولا تكلم الأولون بالسكر. وإنما تكلم به طائفة من متأخري الصوفية صار يحصل لهم نوع من السكر بما في قلوبهم من الذوق والوجد مع سقوط التمييز والعقل. ويفرقون بين

(١) انظر: «الاستقامة»: (٢/١٥٧) بتصرف.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

الصحو[1] والسكر. والسكر لهؤلاء هو من جنس الإغماء والغشي الحاصل عند السماع الذي حدث في بعض التابعين من البصريين[2] وغيرهم. فإن السكر والإغماء والغشي كلها زوال العقل والتمييز، لكن تفترق أسبابها وأذواقها فقد يكون أحد الذوقين والوجدين عن محبة ولذة، وقد يكون عن خشية وألم. وقد يكون عن عجز الإدراك لفرط العظمة التي تجلب الإنسان كما وقع لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فهذه الأمور يجب أن يعرف أنها ليست كمالاً مطلقًا كالفناء، لكن يحمد ما فيها من الأمور المحمودة الإيمانية، من ذوق أو وجد إيماني مشروع، أو محبة إيمانية أو خشية إيمانية، ولا يحمد منها ما زاد على المستحب وما شغل عن ما هو أحب منه. ويذم منها ما تضمن ترك واجب من علم أو عمل أو فعل محرم، لكن إذا كان المذموم بغير تفريط من العبد، ولا عن عدوان منه لم يذم فيه. فإن السكر نوع من الغلبة، ويذم من لم يحصل له في هذه الأحوال ما يجب حصوله، كما ينقص من عدم منها ما يستحب حصوله فهكذا يجب التفصيل في هذه الأحوال. والله أعلم)[3].

---

(١) الصحو عند الصوفية: هو الرجوع إلى الإحساس بعد الغيبة وزوال الإحساس.
انظر في هذا: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢٣٦)، و«التعريفات» للجرجاني: (ص١٣٧).

(٢) ذكر أن من عباد البصريين من مات بسماع القرآن، كزرارة بن أوفى وأبي جهير الضرير وغيرهما.
انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٥٠).

(٣) بتصرف في النص، انظر: «الاستقامة» لابن تيمية: (٢/ ١٦٢ ـ ١٦٤).

٦ ـ الفنـــــاء :

الفناء لغة: مصدر فَنِيَ فناءً، أي: عُدِمَ، والفاني الشيخ الكبير. وتفانوا: أفنى بعضهم بعضًا[١]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾، أي: هالك[٢]. وفي كتاب «التعريفات»: الفناء سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء وجود للأوصاف المحمودة، والفناء فناءآن أحدهما ما ذكرنا وهو بكثرة الرياضة، والثاني: عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت وهو بالاستغراق في عظمة الباري ومشاهدة الحق[٣].

قلت: وهذا من اصطلاحات الصوفية ومتشابه كلامهم فإن القوم قد اصطلحوا على وضع هذه الكلمات لتجريد شهود الحقيقة الكونية والغيبية عن شهود الكائنات، وقد قسم ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ الفناء إلى ثلاثة أنواع هي:

**أولاً**: فناء القلب عن إرادة ما سوى الله. هو للكاملين من الأنبياء والمرسلين والمقربين، وحقيقة هذا الفناء أن لا يحب إلا في الله ولا يبغض إلا فيه، كما في الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله»[٤]، ولا يعبد إلا إياه لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (٤/ ٣٧٧)، مادة: «فني».

(٢) انظر: «تفسير ابن جرير الطبري»: (٩/ ٢٧، ٢٨).
والآية من سورة الرحمن، رقم: ٢٦.

(٣) (ص١٧٦).

(٤) ذكره الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/ ٣٤٣، ح٢٥٣٦)، عن ابن عباس، وقال: حسن، وعزاه إلى «مسند الإمام أحمد»، و«المستدرك» للحاكم، وذكره في «الأحاديث الصحيحة»: برقم (١٧٢٨).

﴿ٱلدِّينَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾[2]، ولا يتوكل إلا على الله. قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[3]، ولا يعطي ولا يمنع إلا لله كما جاء في الحديث: «من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله فقد استكمل إيمانه»[4]، ولا يرجو إلا الله لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[5]، ولا يستعين إلا بالله لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وهذا القلب السليم الذي قال الله فيه: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾[6]، قالوا: هو السليم مما سوى الله، أو مما سوى عبادة الله، أو مما سوى إرادة الله، أو مما سوى محبة الله، أو من الشك والشرك، أو السليم الخالص، والمعنى واحد. وهذا المعنى إن سمي فناءً أو لم يسم هو أول الإسلام وآخره، وباطن الدين وظاهره، وليس لأحد الخروج عنه[7].

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٣.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٤/ ٤٤٠)، عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه. وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب صفة القيامة (٣٨)، باب (٦٠)، ح٢٥٢١، وقال: هذا حديث حسن. وذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير»: ج٥، ح٥٨٤١، لفظ آخر هو: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»، عن أبي أمامة. قال الألباني: صحيح، وعزاه إلى أبي داود والضياء، هو في «الأحاديث الصحيحة»: برقم (٣٨٠).

(٥) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٦) سورة الشعراء، الآية: ٨٩.

(٧) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٣/ ١١٤ ـ ١١٥)، و«تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣٣٩)، و«السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٢١٨ ـ ٢١٩)، و«مدارج السالكين» لابن القيم: (١/ ١٦٦ ـ ١٦٧).

**ثانيًا**: فناء القلب عن شهود ما سوى الرب، فالفناء الأول فناء عن الإرادة، وهذا فناء عن الشهادة، والأول فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه، وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه، وهذا الفناء هو الذي يشير إليه أكثر الصوفية المتأخرين ويعدونه غاية، وهو الذي بني عليه أبو إسماعيل الأنصاري الهروي كتابه المسمى «منازل السائرين» وجعله الدرجة الثالثة في كل باب من أبوابه.

وهذا الفناء فيه نقص، وهو للقاصدين من الأولياء والصالحين فإنهم لفرط انجذاب قلوبهم إلى ذكر الله وعبادته ومحبته وضعف قلوبهم عن أن تشهد غير ما تعبد، وترى غير ما تقصد لا يخطر بقلوبهم غير الله، بل ولا يشعرون كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

(قالوا: فارغًا من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى)[2]. وليس مراد أصحاب هذا الفناء فناء وجود ما سوى الله في الخارج حقيقة، بل فناءه عن شهودهم، وقد يقوي هذا الفناء على صاحبه حتى يغيب بموجوده عن وجوده وبمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره، وبمحبته عن حبه، وقد يسمى حال مثل هذا سكرًا واصطلامًا.

وهذا الفناء قد يؤدي إلى ضعف المحب واضطراب في تمييزه، فيظن أنه قد اتحد بمحبوبه، بل يظن أنه هو نفسه، وهذا الموضع زل فيه أقوام وظنوا أنه اتحاد، وهذا غلط فإن الخالق لا يتحد به شيء أصلاً، ولكن قد

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٠.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣٨١).

يتحد المراد والمحبوب والمكروه ويتفقان في نوع الكراهة، فيحب هذا ما يحب هذا، ويبغض هذا ما يبغض هذا، ويرضي ما يرضي، ويسخط ما يسخط، ويوالي من يوالي ويعادي من يعادي، وليس في العقل اتحاد صحيح إلا في هذا المراد الديني الأمري[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا النوع من الفناء: (وفي الجملة فهذا الفناء صحيح وهو في موسوية المحمدية، وهو شبيه بالصعق والصياح الذي حدث في التابعين، ولهذا يقع كثير من هؤلاء في نوع ضلال؛ لأن الفناء عن شهود الحقائق مرجعه إلى عدم العلم والشهود وهو وصف نقص لا وصف كمال، وإنما مدح من جهة عدم إرادة ما سواه؛ لأن ذكر المخلوق قد يدعو إلى إرادته والفتنة به)[2].

**ثالثًا**: الفناء عن وجود السِّوى، وهو أن يشهد أن لا موجود إلا الله، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق فلا فرق بين الرب والعبد، بل ليس عندهم في الحقيقة رب وعبد، وهذا القول بالفناء للاتحادية الملاحدة القائلين بوحدة الوجود كابن عربي والتلمساني ونحوهما الذين يجعلونه عين الموجودات وحقيقة الكائنات تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا[3].

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم: (١/ ١٥٥).

(٢) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٤١ـ٣٤٢).

(٣) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٤٢)، و«مدارج السالكين» لابن القيم: (١/ ١٥٤).

### ٧ ـ الاصطلام :

في كتاب «التعريفات» عرف الاصطلام بأنه: نعت وله يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه[١]. وعرفه الغزالي بقوله: نعت وله يرد على القلوب بقوة سلطان فيسكنها[٢]. وكلا التعريفين معناهما واحد، فقد عرفا الاصطلام بأنه وصف يرد على القلوب بقوة الوارد، فتسكن لقوة هذا الوارد.

وعرف ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله ـ الاصطلام بأنه: محوى ما سوى الله بعدم الشهود له، وذلك أنه يغيب بمحبوبه عن حبه، وبموجوده عن وجوده، وبمعروفه عن معرفته، وبمعبوده عن عبادته، وبمشهوده عن شهوده، وبمذكوره عن ذكره حتى لا يشعر بشيء[٣].

وهذا الاصطلام راجع إلى النوع الثاني من أنواع الفناء فإنه قد يسمى اصطلامًا أو فناء، وأفردناه لأنه من اصطلاحات الصوفية ومتشابه كلامهم التي ذكرها ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «التحفة العراقية» فأردنا توضيح معناه، وإلا فإنه يرجع إلى أحد أنواع الفناء التي بيناها سابقًا. والله أعلم.

### * ثالثًا: التعريف بالقلب وقوله وعمله :

القلب في اللغة هو الفؤاد، وقد يعبر به عن العقل، قال الفراء في قوله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾[٤]، أي: عقل[٥].

---

(١) انظر: «التعريفات» للجرجاني: (ص٢٩٣).

(٢) انظر: «ملحق إحياء علوم الدين»: (٥/ ١٨).

(٣) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٥٩٤)، و«مدارج السالكين» لابن القيم: (١/ ١٥٥).

(٤) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٥) انظر: «القاموس المحيط»: (١/ ١٢٣)، مادة: «قلب»، فصل القاف، باب الباء، و«مختار الصحاح» للرازي: (ص٥٤٧)، و«تفسير ابن كثير»: (٤/ ٢٢٩). =

وعرفه الغزالي بقوله: (لفظ القلب، وهو يطلق لمعنيين أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل، المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص، وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود هو منبع الروح ومعدنه. ولسنا الآن بقصد شرح شكله وكيفيته؛ إذ يتعلق به غرض الأطباء، ولا يتعلق به الأغراض الدينية. وهذا القلب موجود للبهائم، بل هو موجود للميت.

والمعنى الثاني: هو لطيفة ربانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان، وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمطالب ولها علاقة مع القلب الجسماني)(١).

وقال القاضي أبو بكر بن العربي(٢): (القلب جزء من البدن، خلقه الله وجعله للإنسان محل العلم والكلام وغير ذلك من الصفات الباطنة، وجعل ظاهر البدن محل التصرفات الفعلية والقولية، ووكل بها ملكًا يأمر بالخير وشيطانًا يأمر بالشر، فالعقل بنوره يهديه، والهوى بظلمته يغويه، والقضاء والقدر مسيطر على الكل، والقلب يتقلب بين الخواطر الحسنة والسيئة، واللمة من الملك تارة ومن الشيطان أخرى والمحفوظ من حفظه الله تعالى)(٣).

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٣/ ٤).

(٢) هو محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بـ «ابن العربي» المعافري الأندلسي، الإشبيلي الحافظ المشهور، وُلد سنة ٤٦٨هـ، رحل في طلب العلم إلى الشام وبغداد والحجاز ومصر وكان من أهل التفنن في العلوم، متكلمًا في أنواعها، توفي سنة ٥٤٣هـ، ودُفن بفاس. انظر: «جلاء العينين»: (ص١٥٥).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر: (١١/ ٢٥٧).

وسمي القلب قلبًا لتقلبه في الأمور، والمراد بتقليب القلوب تقليب أعراضها وأحوالها، لا تقليب ذات القلب قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ﴾(١).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب، صرف قلوبنا على طاعتك»(٢).

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «كانت يمين النبي ﷺ: لا ومقلب القلوب»(٣).

وقيل: سمي القلب قلبًا؛ لأنه خالص ما في البدن وخالص كل شيء قلبه، أو لأنه وضع في الجسد مقلوبًا(٤).

**- ذكر القلب بالكتاب والسنة:**

قد ورد ذكر القلب في آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل منها قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾(٥)، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٦)، وقوله تعالى:

---

(١) سورة النور، الآية: ٣٧.

(٢) «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، باب (٣)، ح٢٦٥٤/١٦، بلفظه.

(٣) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الأيمان والنذور (٨٣)، باب (٣)، ح٦٦٢٨، عن ابن عمر بلفظه.

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر: (١/ ١٢٨).

(٥) سورة ق، الآية: ٣٣.

(٦) سورة ق، الآية: ٣٧.

﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾[1].

وقد ذكر في بعض كتب التفسير أن هذه الآية نزلت في رجل من قريش كان يقال له: ذو القلبين، وأنه كان يزعم أن له قلبين كل منهما بعقل وافر. فأنزل الله هذه الآية ردًّا عليه[2].

والقلب قد يعبر عنه بالفؤاد والصدر، قال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ والمعنى في الموضعين قلبك[4].

وقد ورد لفظ القلب في السنة النبوية في أحاديث كثيرة منها قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهو القلب»[5].

وقوله ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم»[6] الحديث.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٤٦٦).

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ١٨٩).

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب (٣٩)، ح٥٢، عن النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ، وهذا جزء منه.
وقوله «مضغة»، أي: قدر ما يمضغ، وعبر بها عن مقدار القلب في الرؤية.
انظر: «فتح الباري» لابن حجر: (١/ ١٢٨).

(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٨٦ ـ ٨٧)، كتاب العلم، وقال: صحيح وأقره الذهبي.

## ـ القلب موضع العقل :

ولهذا قد يعبر بالقلب عن العقل كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[١]، قال مجاهد: عقل[٢]. والقلب محل العقل في قول الأكثرين[٣]. ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾[٤] . وبهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «والعقل قد يراد به القوة الغريزية في الإنسان التي بها يعقل وقد يراد به نفس أن يعقل ويعلم. فالأول قول الإمام أحمد وغيره من السلف: العقل غريزة والحكمة فطنة. والثاني: قول طوائف من أصحابنا وغيرهم: العقل ضرب من العلوم الضرورية. وكلاهما صحيح فإن العقل في القلب مثل البصر في العين)[٥] .

## ـ قول القلب وعمله :

يرى ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله تعالى ـ أن للقلب أقوالاً وأعمالاً تقوم به من غير قول اللسان. لكنهما لم يعرفا قول القلب وعمله تعريفًا يتبين به الفرق بين كل من قول القلب وعمله. وإنما مثل ابن تيمية لقول القلب بالتصديق والتكذيب ولعمل القلب بالحب والبغض ونحوهما. فيقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا قول القلب وعمله: (بل قول القلب وعمله هو الأصل: مثل تصديقه وتكذيبه وحبه وبغضه.

---

(١) سورة ق، الآية: ٣٧.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ١٨٩)، و«تفسير ابن كثير»: (٤/ ٢٢٩).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١/ ١٨٩).

(٤) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٥) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية: (٢/ ١٦١ ـ ١٦٢).

من ذلك ما يحصل به مدح وذم وعقاب بدون فعل الجوارح الظاهرة، ومنه ما لا يقترن به ذلك إلا مع الفعل بالجوارج الظاهرة إذا كانت مقدورة، وأما ما ترك فيه فعل الجوارح الظاهرة للعجز عنه، فهذا حكم صاحبه حكم الفاعل)[1].

ويذهب ابن تيمية إلى أن أقوال القلب وأعماله تنقسم إلى ثلاثة أقسام.

فيقول: (فأقوال القلب وأفعاله ثلاثة أقسام:

أحدها: ما هو حسنة وسيئة بنفسه.

وثانيها: ما ليس سيئة بنفسه حتى يفعل وهو السيئة المقدورة.

وثالثها: ما هو مع العجز كالحسنة والسيئة المفعولة، وليس هو مع القدرة كالحسنة والسيئة المفعولة.

فالقسم الأول: هو ما يتعلق بأصول الإيمان من التصديق والتكذيب والحب والبغض وتوابع ذلك، فإن هذه الأمور يحصل فيها الثواب والعقاب وعلو الدرجات، وأسفل الدركات بما يكون في القلوب من هذه الأمور، وإن لم يظهر على الجوارح بل المنافقون يظهرون بجوارحهم الأقوال والأعمال الصالحة وإنما عقابهم وكونهم في الدرك الأسفل من النار على ما في قلوبهم من الأمراض، وإن كان ذلك قد يقترن به أحيانًا بغض القول والفعل، لكن ليست العقوبة مقصورة على ذلك البغض اليسير وإنما ذلك البغض دلالة كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[2]. فأخبر أنهم لابد أن يعرفوا في لحن القول.

---

(١) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٧٥٨).

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٠.

وأما القسم الثاني والثالث، فمظنة الأفعال التي لا تنافي أصول الإيمان مثل المعاصي الطبعية، مثل الزنا، والسرقة، وشرب الخمر، كما ثبت في الصحاح عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، دخل الجنة، وإن زنا وإن سرق، وإن شرب الخمر»[١].

وكما شهد النبي ﷺ في الحديث الصحيح[٢] للرجل الذي كان يشرب الخمر)[٣].

ويقول ابن القيم مبينًا أن للقلب أقوالاً وأعمالاً تقوم به:

(أقوال القلب وهي العقائد، وأقوال اللسان وهي الخبر عما في القلب، وأعمال القلب وهي الإرادة والمحبة والكراهة وتوابعها)[٤].

وقال الشيخ حافظ الحكمي: قول القلب: هو تصديقه وإيقانه[٥]. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[٧]، وقال تعالى في المكذبين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (٤٠)، ح٩٤، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه، وليس فيه قوله: «وإن شرب الخمر».

(٢) حديث الرجل الذي كان يكثر شرب الخمر في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٢، كتاب الحدود (٨٦)، باب (٥)، ح٦٧٨٠، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه.

(٣) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٧٥٩ ـ ٧٦٠) بتصرف يسير.

(٤) انظر: «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» لابن القيم: (١/ ٨).

(٥) انظر: «معارج القبول» للحكمي: (٢/ ١٥).

(٦) سورة الزمر، الآية: ٣٣.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

قُلُوبِهِمْ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾[٣]، أي: في قولهم: نشهد، أي: كذبوا أنهم لا يشهدون بقلوبهم إنما هو بألسنتهم تقية ونفاقًا ومخادعة[٤].

وعمل القلب: هو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه[٥]. قال تعالى في النية: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾[٦]، وقال جلا وعلا: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[٧]، وقال تعالى في الإخلاص: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٨]، وقال تعالى في المحبة: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾[١٠].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٤) انظر: «معارج القبول» للحكمي: (٢/ ١٦).

(٥) انظر: السابق: نفسه.

(٦) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٧) سورة الليل، الآيتان: ١٩ ـ ٢٠.

(٨) سورة البينة، الآية: ٥.

(٩) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(١٠) سورة الحجرات، الآية: ٧.

وقال تعالى في الانقياد والاستسلام له: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾(١)، وقال تعالى في التوكل: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢)، إلى غير ذلك من أعمال القلوب التي أمر الله بها عباده والتي سيأتي بيانها والحديث عنها إن شاء الله تعالى.

**ـ القلوب أربعة:**

ذكر ابن القيم أن الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ قسموا القلوب إلى أربعة، كما صح عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس فذلك قلب المنافق، عرف ثم أنكر وأبصر ثم عمي، وقلب تمده مادتان: مادة إيمان، ومادة نفاق وهو لما غلب عليه منهما»(٣).

ويؤيد هذا ما أخرج الإمام أحمد في «مسنده» عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله [ﷺ](٤): «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نور، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، فمثل

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٢) انظر: «إغاثة اللهفان» لابن القيم: (١/ ١٢).

(٣) لم تذكر الصلاة على رسول الله ﷺ في المسند وإنما زدناها تأدبًا معه ﷺ ووضعتها بين قوسين.

(٤) «مسند الإمام أحمد»: (٣/ ١٧).

الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه»[(١)].

قلت: وهذا التقسيم يؤيد ما ذهب إليه ابن تيمية من تقسيم درجات الناس في أعمال القلوب على أربع درجات كما سيأتي إن شاء الله.

* **رابعًا: درجات الناس في أعمال القلوب:**

قسم ابن تيمية الناس في أعمال القلوب على ثلاث درجات كما هم في أعمال الأبدان في أول كتابه «التحفة العراقية»[(٢)]. ثم قسمهم في موضع آخر من الكتاب نفسه في بعض أعمال القلوب على أربع درجات[(٣)].

قلت: والصحيح أن الناس على أربع درجات في أعمال القلوب والأبدان، إلا إذا قيدنا هذا الإطلاق وذلك ببيان درجات المسلمين في أعمال القلوب. فهم فيها على ثلاث درجات: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات.

أما إذا أردنا بيان درجات الناس في أعمال القلوب، أدخلنا الكافرين والمنافقين في هذا؛ إذ لا يصح إخراجهم مع إطلاق العبارة، فإن درجات الناس في أعمال القلوب على أربع درجات أو أربعة أقسام هي:

١ - **الظالم لنفسه**: وهو العاصي بترك مأمور أو فعل محظور، مع حفظ التوحيد والإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر والتصديق بالثواب والعقاب. فهو مفرط في بعض الواجبات مرتكب لبعض المحرمات،

---

(١) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٦).

(٢) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٦).

(٣) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٧ - ٨)، و«طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٢٣٦)، و«تفسير ابن كثير»: (٣/ ٥٥٤).

والظالم لنفسه من أهل الإيمان معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره؛ إذ الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب، وهذا قول جميع أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون: إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأما القائلون: بالتخليد من الخوارج والمعتزلة القائلون: بأنه لا يخرج من النار من دخلها من أهل القبلة، وأنه لا شفاعة للرسول ﷺ ولا غيره في أهل الكبائر لا قبل دخول النار ولا بعدها، فعندهم لا يجتمع في الشخص الواحد ثواب وعقاب، وحسنات وسيئات، بل عندهم من أثيب لم يعاقب ومن عوقب لم يثب[(١)].

وقد ثبت في السنة النبوية أن المذنب بالشرب قد يكون محبًّا لله ورسوله، وحب الله ورسوله أوثق عرى الإيمان، حيث روى البخاري في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله ويلقب حمارًا، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ قد جلده في الشرب، فأتي به يومًا فأمر به فجلد. فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به. فقال النبي ﷺ:

---

(١) قوله ﷺ: «فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله» قال أبو البقاء: المفعول محذوفًا، أي: ما علمت عليه أو فيه سوءًا ثم استأنف فقال: «إنه يحب الله ورسوله»، وهذا أحد الأقوال في إعراب الجملة.
انظر: «فتح الباري شرح صحيح البخاري»: ج١٢، كتاب الحدود (٨٦)، باب (٥)، ح٦٧٨٠، عن عمر بن الخطاب بلفظه.

«لا تلعنوه، فوالله ما علمت! إنه يحب الله ورسوله»[1].

٢ ـ **المقتصد**: وهو المؤدي للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات.

٣ ـ **السابق بالخيرات**: وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، والتارك للمحرم والمكروه وبعض المباحات. وهم نوعان: أبرار ومقربون وهم على درجات كالأنبياء والصديقين وكل من الصنفين المقتصدين والسابقين من أولياء الله، وهم المؤمنون المتقون[2]. وقد ذكر النبي ﷺ هذين القسمين في الحديث الذي رواه البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[3].

وهذا التقسيم مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن

---

(١) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/٦ ـ ٧)، و«طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٢٣٧)، و«تفسير ابن كثير»: (٣/ ٥٥٥).

(٢) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب (٣٨)، ح٦٥٠٢، عن أبي هريرة بلفظه.

(٣) سورة فاطر، الآيات: ٣٢ ـ ٣٥.

ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[١].

وقد اختلف في قوله تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ الآية. هل ذلك راجع إلى الأصناف الثلاثة، الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات، أو يختص بالقسمين الأخيرين، وهما المقتصد والسابق بالخيرات، دون الظالم على قولين: فذهب جماعة منهم ابن عباس وابن مسعود وأبو سعيد الخدري وعائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ إلى أن الأصناف الثلاثة كلهم في الجنة. ولهذا لما سئلت عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن قول الله جل وعلا: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾. فقالت للسائل: يا بني كل هؤلاء في الجنة فأما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله يشهد له رسول الله بالخيرة والرزق. وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلك. قال السائل: فجعلت نفسها معنا[١].

وقال ابن مسعود: هذه الأمة يوم القيامة أثلاث: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابًا يسيرًا ثم يدخلون الجنة، وثلث يجيئون بذنوب عظام فيقول الله: ما هؤلاء وهو أعلم بهم؟ فتقول الملائكة: هم مذنبون إلا إنهم لم يشركوا بك شيئًا. فيقول الله: أدخلوهم في سعة رحمتي[١].

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٢٣٨)، و«تفسير ابن كثير»: (٣/ ٥٥٦).

وقال كعب: تحاذت مناكبهم ورب الكعبة وتفاضلوا بأعمالهم[1].

إلى غير ذلك من الآثار التي احتجوا بها.

وقالت طائفة: بل الوعد بالجنات إنما هو للمقتصد والسابق دون الظالم لنفسه، فإن الظالم لنفسه لا يدخل تحت الوعيد المطلق، فالظالم لنفسه هو الكافر، والمقتصد هو المؤمن العاصي، والسابق بالخيرات المؤمن التقي. وهذا يروى عن عكرمة والحسن وقتادة وغيرهم[2] رحمهم الله تعالى.

واستدلوا بآيات وأحاديث أجاب عليها أهل القول الأول قد بسطها ابن القيم وابن كثير ـ رحمهما الله تعالى ـ ليس هذا موضع بسطها.

ورجح ابن كثير وغيره القول الأول فقال: (والصحيح أن الظالم لنفسه من هذه الأمة وهذا اختيار ابن جرير، كما هو ظاهر الآية، وكما جاءت به الأحاديث عن الرسول ﷺ من طرق يشد بعضها بعضًا)[3].

والقول الأول هو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية كما يظهر من كلامه حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان فمعه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره)[4].

فالرأي الأول هو أن الظالم لنفسه من أهل الإيمان هو القول الصحيح الذي دل عليه ظاهر الآية والأحاديث والآثار المروية فيه كثيرة وبهذا القول قال جماعة من الصحابة وغيرهم.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٥٥٥)، و«طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٢٣٧ـ٢٥٨).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٥٥٥).

(٣) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٧).

(٤) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٦).

٤ ـ **الذين أعرضوا عن عبادة الله سبحانه وتعالى وطاعة رسوله ﷺ من** الكافرين والمنافقين[١] الذين توعدهم الله بقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾[٤].

فهؤلاء خارجون عن حقيقة الإيمان فلاحظ لهم في أعمال القلوب التي أمر الله ورسوله بها عباده، من إخلاص الدين له ومحبته والتوكل عليه والرجاء له والخوف منه، والشكر له والرضا بقضائه، وغير ذلك من أعمال القلوب التي هي من أصول الدين وقواعده التي لا يقوم إلا بها وبهذا التقسيم تتبين درجات الناس في أعمال القلوب. والله أعلم.

---

(١) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٦).

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦٤.

**(ب) بيان ودراسة لأهم الأعمال القلبية عند أهل السنة مع الرد على المنحرفين فيها:**

إن هذه الأعمال القلبية عند أهل السنة التي أقوم بعرضها ودراستها هي من أصول الإيمان وقواعد الدين، التي شرعها الله تعالى لعباده، وهذه الأعمال القلبية منها ما هو متفق على وجوبه على جميع المكلفين، ومنها ما تنازع الناس في وجوبه ويتبين هذا من دراستنا لهذه الأعمال القلبية إن شاء الله تعالى على هدي الكتاب والسنة.

ولابد من التنبيه قبل الشرع في هذه الدراسة، وهو أني لما تدبرت ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في محبة الله ورسوله في كتابه «التحفة العراقية» الذي أقوم بتحقيقه ودراسته، وأنه قد بسط الكلام في هذا الموضوع، بأدلته من الكتاب والسنة ثم أقوال السلف من الأمة والصحابة والتابعين لهم بإحسان. ورد على من أنكرها أو انحرف فيها، بما يكفي ويشفي. فلما علمت ذلك اكتفيت بما كتبه ـ رحمه الله تعالى ـ في المحبة فإن كلامه عنها قد استغرق قرابة نصف الكتاب. مع أني قد قمت بترقيم الآيات وتخريج وتوثيق الأقوال التي أوردها في الكلام على المحبة كما فعلت في سائر الكتاب.

وآثرت الكتابة في أعمال قلبية لم يتعرض لها شيخ الإسلام في كتابه أو اكتفى بالإشارة إليها في معرض كلامه لأسباب أشرت إليها سابقًا، وهذه الأعمال القلبية التي لم يتعرض لها في كتابه أو ربما اكتفى بالإشارة إليها لا تقل أهمية عما كتب فيه، ولعل بسطه الكلام في المحبة دون غيرها، لكونها أصل كل عمل ديني فإن الأعمال الدينية ترجع إليها.

وإليك بيان بالأعمال القلبية التي أقوم بدراستها في هذا البحث مع

الرد على من انحرف فيها عن هدي الكتاب والسنة، كلما وجد هذا الانحراف، سواء كان هذا الانحراف من الصوفية أو غيرهم:

١ - النية.
٢ - الإخلاص.
٣ - الصدق.
٤ - التوبة.
٥ - الصبر.
٦ - الإيمان.
٧ - الزهد.
٨ - التوكل.
٩ - التقوى.
١٠ - الرضا.
١١ - الحزن.
١٢ - الرجاء.
١٣ - الخوف والخشية.
١٤ - الذكر.
١٥ - الشكر.
١٦ - الخشوع.
١٧ - الإنابة.

ونسأل الله جل وعلا الهداية والتوفيق والسداد، إنه على كل شيء قدير.

# النية

النية لغة: نَوَى الشيءَ ينويه نِيَّةً قصده وعزم عليه[١]. ولفظ النية في كلام العرب من جنس لفظ القصد والإرادة ونحو ذلك. والنية في كلام العلماء على نوعين: أحدهما: تمييز العبادات بعضها عن بعض كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر مثلاً أو تمييز العبادة من العادة ونحو ذلك، وهذه النية هي التي توجد في كلام الفقهاء. والمعنى الثاني: تمييز المقصود بالعمل أي: المعمول له، هل هو الله وحده لا شريك له، أم لله وغيره، أم لغيره وحده؟ وهذه النية هي التي توجد كثيرًا في كلام السلف المتقدمين[٢]. وحقيقة النية: هي قصد القلب إلى ما يراه موافقًا للغرض المطلوب إما في الحال أو في المآل[٣].

* **النية في الكتاب والسنة:**

ذكرت النية في القرآن الكريم بلفظ الإرادة كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾[٤]، وقول جل وعلا: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾[٥]، وقوله تعالى:

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (٤/ ٤٠٠)، فصل النون، باب الواو والياء، و«مختار الصحاح» للرازي: (ص٦٨٧).

(٢) انظر: «شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» لابن القيم: (ص١٤)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب: ص٨.

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥)، وانظر: «فتح الباري» لابن حجر: (١/ ١٣).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٥) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾(٢).

وقد يعبر عنها في القرآن بلفظ الابتغاء، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٥). وأمثال ذلك في القرآن كثير.

وقد ورد في السنة النبوية ذكر النية في أحاديث كثيرة منها:

ما رواه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»(٦).

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل في في امرأتك»(٧).

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الليل، الآية: ٢٠.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٦٥.

(٥) سورة النساء، الآية: ١١٤.

(٦) «صحيح البخاري بشرح فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب بدء الوحي، باب (١)، ح١.

(٧) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب (٤١)، ح٥٦، بلفظه. =

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا»[1].

وعن أم سلمة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله بعثًا فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم» فقلت: يا رسول الله، فكيف بمن كان كارهًا؟ قال: «يخسف به معهم، ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته»[2].

وأمثال هذه الأحاديث في السنة النبوية كثير، وكلها تبين أهمية النية وعظم منزلتها، وأن قبول الأعمال أوردها مبني على النية، التي هي أول كل عمل، بشرط أن تكون هذه الأعمال موافقة لما جاء في الكتاب والسنة.

* **بعض أقوال الصحابة والتابعين في النية:**

قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: (لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له)[3].

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: (يبعثون يوم القيامة على نياتهم)[4].

وقال سفيان الثوري: (ما عالجت شيئًا أشد علي من نيتي لأنها تفلت علي)[5].

---

(١) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الجهاد والسير (٥٦)، باب (١)، ح٢٧٨٣، بلفظه.

(٢) «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الفتن (٥٢)، باب (٢)، ح٢٨٨٢/ ٤، بلفظه.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص٩).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٣٣٤).

(٥) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (٢/ ١٥٧).

وقال ثابت البناني: (نية المؤمن أبلغ من عمله، إن المؤمن ينوي أن يصوم النهار ويخرج من ماله فلا تتابعه نفسه على ذلك فنيته أبلغ من عمله)(١).

وقال مُطَرِّف بن الشخير: (صلاح قلب بصلاح عمل، وصلاح عمل بصلاح نية)(٢).

هذه الأقوال تدل على اهتمام الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والتابعين لهم بإحسان، والسلف الصالح بالنية وأن شأنها عظيم، فمدار الأعمال عليها ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾(٣). (وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص فيها، وإما المتابعة لشرع الله فكل عمل لا يكون خالصًا لله وعلى الشريعة المرضية فهو باطل)(٤).

فالنية التي هي أول كل عمل بصلاحها يصلح العمل، وبفسادها يفسد العمل، وإن كان العمل موافقًا للشرع مادام الباعث عليه ليس مرادًا لله.

* **النية والإخلاص:**

النية: صحة قصد القلب إلى العمل والإخلاص به لوجه الله تعالى ابتغاء ما عنده من الأجر، فكل عمل كان على علم بهذه النية فهو صالح متقبل بفضل الله وبرحمته؛ لأن صاحبه قد اتقى الشرك والجهل والهوى،

---

(١) انظر: «قوت القلوب»: (٢/ ١٦١ ـ ١٦٢).

(٢) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص٢٩٢).

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣١٤).

إذا كان عمله موافقًا لشرع الله وحقيقة الإخلاص: سلامته من قصد غير الله ليكون خالصًا[1].

* **النية والأعمال:**

بيان أعمال العباد المتعلقة بالنية، أعمال العباد ثلاثة أقسام:

القسم الأول: الطاعات وهي جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله تعالى ويرضاها وأمر بها عباده، فالنية الحسنة شرط في صحتها وقد ينقلب معصية بسوء القصد فيها يستحق فاعلها العقوبة. كأن يرائي فيها أحدًا.

القسم الثاني: المباحات، وهي تشمل جميع ما أباحه الله لعباده من المآكل والمشارب والمساكن والبيوع وسائر المعاملات والعقود فلا يشترط فيها النية، ولكنها قد تنقلب طاعة أو معصية بالنية يستحق فاعلها الأجر أو الوزر، ولهذا قال زيد الشامي: (إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى الطعام والشراب)[2]. كأن يتقوى بها على طاعة الله.

ومثال المباح الذي ينقلب معصية بالنية، مثل أن ينوي السفر إلى بلاد بعيدة، فالسفر مباح، ولكن إذا أراد بسفره هذا ارتكاب ما حرم الله عليه، كالسرقة أو الزنا أو شرب الخمر، فإن سفره هذا يكون حرامًا لسوء نيته، أما إذا أراد التجارة أو تعلم حرفة يكسب من ورائها اللقمة الحلال فإن السفر يكون مباحًا له، بل قد يثاب على هذه الأعمال إذا أحسن قصده فيها.

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (٢/ ١٥٩ ـ ١٦١).

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص١٠).

القسم الثالث: المعاصي، فلا تؤثر فيها النية الحسنة فتنقلب طاعة كالذي يبني مسجدًا بمال حرام يعرف صاحبه، لا يثاب عليه، بل هو عاص لله تعالى، آثم مأزور غير مأجور، ولو كانت نيته صالحة كما يراها؛ إذ لا ينقلب بالنية الصالحة طاعة لله إلا ما كان مباحًا مأذونًا في فعله فقط، أما المحرم فلا ينقلب طاعة بأي حال[1].

* **النية من عمل القلب:**

النية من عمل القلب؛ لأنها عبارة عن قصد القلب وإرادته ومحلها القلب باتفاق العلماء. فلو نوى بقلبه ولم ينطق بلسانه أجزأته النية باتفاقهم[2].

ولو قال بلسانه شيئًا مخالفًا لما في قلبه، كان الاعتبار بما في قلبه، لا بما تكلم به، كما قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[4]، حيث أظهروا الإيمان وأضمروا الكفر[5].

وقد اختلف الناس في حكم التلفظ بالنية سرًا:

(فقالت طائفة من أصحاب أبي حنيفة والشافعي وأحمد: يستحب ليكون أبلغ.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٣٣٧ ـ ٣٤٠).

(٢) انظر: «شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» لابن تيمية: (ص٢٣)، و«فتح الباري» لابن حجر: (١/ ١٢).

(٣) سورة الفتح، الآية: ١١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (٤/ ٢٦٧).

وقالت طائفة من أصحاب مالك وأحمد: لا يستحب ذلك بل التلفظ بها بدعة فإن النبي ﷺ وأصحابه والتابعين لم ينقل عن واحد منهم أنه تكلم بلفظ النية لا في صلاة ولا طهارة ولا صيام. قالوا: لأنها تحصل مع الفعل ضرورة، فالتكلم بها نوع هوس وعبث وهذيان.

والنية تكون في قلب الإنسان ويعتقد أنها ليست في قلبه، فيريد تحصيلها بلسانه، وتحصيل الحاصل محال. فلذلك يقع كثير من الناس في أنواع الوسواس.

واتفق العلماء على أنه لا يسوغ الجهر بالنية، لا لإمام ولا لمأموم ولا لمنفرد ولا يستحب تكريرها وإنما النزاع بينهم في التكلم بها سرًّا هل يكره أو يستحب؟)[1].

أقول: فالنية إرادة القلب وقصده، وعمل من أعمال القلب، (ولا يجب التلفظ بما في القلب في شيء من العبادات)[2].

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[3].

فالله عز وجل عليم بذات الصدور، لا تخفى عليه خافية، وهو ينظر -عز وجل- إلى القلوب التي هي موضع النيات، كما ثبت في الحديث الصحيح: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إلى قلوبكم»[4].

فلا حاجة إلى التلفظ بها، بل هو بدعة لأن محلها القلب. والله أعلم.

---

(١) انظر: «شرح حديث إنما الأعمال بالنيات» لابن تيمية: (ص٢٤ ـ ٢٥).

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص٢٠).

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٦.

(٤) سبق تخريجه (ص٧١).

# الإخلاص

* **تعريفه :**

الإخلاص لغة: الإخلاص لله في الطاعة بترك الرياء[١]، واصطلاحًا: هو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك[٢].

وقيل: أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله، فيكون الله محبوب قلبه، ومعبود قلبه، ومقصود قلبه فقط[٣].

فالإخلاص هو حقيقة الإيمان والإسلام؛ وحقيقته الاستسلام لله لا لغيره.

* **الإخلاص في الكتاب والسنة :**

الآيات الدالة على الأمر بالإخلاص كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾[٧].

والإخلاص لله شرط لقبول العمل، فإن الله لا يقبل إلا ما أريد به

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (٢/ ٣١٣)، و«مختار الصحاح» للرازي: (ص١٨٤).

(٢) انظر: «معارج القبول» للحكمي: (١/ ٣٨٢).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٢٩٠).

(٤) سورة البينة، الآية: ٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٦) سورة الزمر، الآيتان: ٢ـ٣.

(٧) سورة الزمر، الآيتان: ١٤ـ١٥.

وجهه ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[1]. (وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي، إما الإخلاص فيها وإما المتابعة لشرع الله، فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشرعية المرضية فهو باطل)[2].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو كله للذي أشرك»[3].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[4]، قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أخلصه وأصوبه. قالوا: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة[5].

وقد أخرج مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال جريء، فقد

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣١٤).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الزهد (٥٣)، باب (٥)، ح٢٩٨٥، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(٤) سورة الملك، الآية: ٢.

(٥) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية: (١/ ٢٤٨).

قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارىء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك؟ قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد، فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[1].

وقال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: «إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة»[2].

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تكون من ورائهم»[3].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الإمارة (٣٣)، باب (٤٣)، ح١٩٠٥، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الوصية (٢٥)، باب (١)، ح١٦٢٨/ ٥، عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب العلم (٤٢)، باب ما جاء في الحديث على تبليغ السماع (٧)، ح٢٦٥٨، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٨٦ ـ ٨٧)، كتاب العلم، وقال: صحيح وأقره الذهبي.

وإخلاص الدين لله تعالى، هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله دينًا سواه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه)[2] اهـ.

وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[4].

فجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بإخلاص الدين لله، كما قال نوح عليه السلام: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾[5]، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[6].

يقول ابن تيمية رحمه الله: (فهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص لله، وهي البراءة من كل معبود إلا من الخالق الذي فطرنا)[7] اهـ.

وأمر الله نبينا محمد ﷺ بإخلاص العبادة له قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ﴾[8].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٢) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٤٩).
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.
(٤) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.
(٦) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨.
(٧) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٥٢).
(٨) سورة الزمر، الآية: ١١.

ونبينا ﷺ قد أقام الله به الدين الخالص وقمع به المشركين، فقد روى الإمام أحمد في «مسنده» عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له»[1].

فالإخلاص لله هو أصل الدين وقاعدته، وسورتا الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ متضمنتان للتوحيد، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فأما ـ قل يا أيها الكافرون ـ فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة وهو الذي يتكلم فيه مشايخ التصوف غالبًا، وأما سورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فمتضمنة للتوحيد القولي العملي»[2] اهـ.

*** من أقوال الناس في الإخلاص:**

وقد تنوعت عبارات الناس في بيان الإخلاص، فمن كلامهم فيه:

الإخلاص: إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون أي شيء آخر، من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى[3].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٢/ ٥٢) بلفظه عن ابن عمر، وذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير» وقال: صحيح. وعزاه إلى أحمد والطبراني وأبي يعلى في «مسنده» ورقمه في «الجامع الصغير»: (٢٨٢٨).

(٢) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٥٤).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٤٤٣).

وقال حذيفة المرعشي: (الإخلاص: أن تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن)[1].

وقال الفضيل بن عياض: (ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص: أن يعافيك الله منهما)[2].

وقال الجنيد: (الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد، لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله)[3]. والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) المصدر السابق: (٢/ ٤٤٦).

(٢) المصدر السابق: (٢/ ٤٤٦).

(٣) المصدر السابق: (٢/ ٤٤٦).

# الصدق

* **تعريف الصدق :**

الصِّدْق لغة: بالكسر والفتح ضدّ الكَذب[1]. وقيل: مطابقة الحكم للواقع[2]. واصطلاحًا: هو حصول الشيء وتمامه، وكمال قوته، واجتماع أجزائه[3].

والصدق أساس الإيمان كما أن الكذب أساس النفاق. ولهذا قال الحسن: الكذب جماع النفاق[4].

* **الصدق في الكتاب والسنة :**

الصدق هو الفارق بين المؤمن والمنافق، فلا يكون العبد مؤمنًا حقًّا حتى يكون صادقًا، ولا يكون العبد منافقًا حتى يكون كاذبًا. ولهذا إذا ذكر الله حقيقة الإيمان نعته بالصدق قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾[5].

وقسم الله المظهرين للإسلام إلى صادق ومنافق فقال تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[6].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (٣/ ٢٦١)، و«مختار الصحاح» للرازي: (ص٣٥٩).
(٢) انظر: «التعريفات» للجرجاني: (ص١٣٧).
(٣) انظر: «مدارج السالكين»: (٢/ ٢٧٩).
(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص٣٣٩).
(٥) سورة الحجرات، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٢٤.

وقد أمر الله رسوله أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه على الصدق، فقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾(١).

وسأل إبراهيم الخليل ربه أن يهب له لسان صدق فقال: ﴿وَاجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى الْآخِرِينَ﴾(٢).

ووصف الله بعض الأنبياء في معرض المدح والثناء بالصديق الذي هو مشتق من الصدق كقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾(٤).

وأمر الله المؤمنين بأن يكونوا مع الصادقين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّٰدِقِينَ﴾(٥)، وأخبر الله أن من صدقه فهو خير له، فقال تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾(٦).

وأخبر النبي ﷺ أن الصدق أصل يستلزم البر، وأن الكذب يستلزم الفجور.

فقد ثبت في «الصحيحين» عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٠.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٨٤.
(٣) سورة مريم، الآية: ٤١.
(٤) سورة مريم، الآية: ٥٦.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١١٩.
(٦) سورة محمد، الآية: ٢١.

إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صدِّيقًا. وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذَّابًا»(١).

ووصف الله عز وجل المنافقين بالكذب؛ لأنهم يظهرون الإسلام بأقوالهم وأعمالهم، ويسرون الكفر والتكذيب في قلوبهم، فالكذب أساس النفاق الذي ينبني عليه، قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾(٤). وأصحاب هذا النفاق هم في الدرك الأسفل من النار. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٠، كتاب (٧٨)، باب (٦٩)، ح٦٠٩٤، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.
وكذلك أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب (٤٥)، باب (٢٩)، ح٢٦٠٧/١٠٥، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٣) سورة المنافقين، الآيتان: ١، ٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ١٤٥.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم»[1].

وهذا النفاق نفاق أصغر لا يخرج من الملة وصاحبه على خطر عظيم[2]. نسأل الله السلامة والعافية.

* **أنواع الصدق:**

يكون الصدق والتصديق في الأقوال والأعمال، ويدل على ذلك قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخُطَا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه»[3].

- **وللصدق أنواع هي[4]:**

١ ـ الصدق في القول: ويسمى الصدق باللسان. فيكون في الكلام، وهو أشهر أنواع الصدق وأظهرها. ويجوز الإخبار بخلاف الواقع عند

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (٢٥)، ح١٠٧، ١٠٩، ١١٠/ ٥٩، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص٤٠٣ ـ ٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب (٧٩)، باب (١٢)، ح٦٣٤٣، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب (٤٦)، باب (٥)، ح٢٦٥٧، عن أبي هريرة بلفظه.

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٣٥٤).

الإصلاح بين الناس، وليس هذا من الكذب في شيء لقول النبي ﷺ: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا أو يقول خيرًا»[1].

٢ ـ الصدق في القصد والإرادة: ويرجع هذا إلى الإخلاص فإذا خالطه شيء بطل صدقه ويكون كاذبًا كما في حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار «المجاهد المرائي، والقارىء المرائي، والمتصدق المرائي» حيث يقول الله عز وجل لكل واحد منهم: «كذبت»[2] وعلى هذا فلابد أن يكون الصادق مخلصًا.

٣ ـ الصدق في العزم: ويبين هذا قول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: (لأن أقدم فتضرب عنقي أحب إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر)[3].

٤ ـ الصدق في الوفاء بالعهد: فإن الخلف فيه كذب، والوفاء به صدق، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾[4].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي»: ج٥، كتاب الصلح (٥٣)، باب (٢)، ح٢٦٩٢، عن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ـ رضي الله عنها ـ بلفظه.
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة والآداب (٤٥)، باب (٧)، ح٢٦٠٥/ ١٠١، عن أم كلثوم بنت عقبة أيضًا بلفظ نحوه.

(٢) هذه كلمة من حديث صحيح طويل أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الإمارة (٣٣)، باب (٤٣)، ح١٩٠٥، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي: (٤/ ٣٥٦).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

فقد روي عن أنس أن عمه أنس بن النضر لم يشهد بدرًا مع رسول الله ﷺ فشق ذلك على قلبه، وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه، أما والله لئن أراني الله مشهدًا مع رسول الله ﷺ فيما بعد ليرين الله ما أصنع، قال: فهاب أن يقول غيرها. فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أُحد من العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو أين؟ قال: واها لريح الجنة أجدها دون أُحد. فقاتل حتى قتل، فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت: عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه ونزلت هذه الآية ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾»[1].

وقال تعالى في آية أخرى: ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[2].

٥ ـ الصدق في الأعمال: وهو أن تستوي سريرته وعلانيته، حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر في باطنه وهو لا يتصف به بل يتفق الظاهر مع

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب التفسير (٤٨)، باب (٣٤)، ح٣٢٠٠، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرج البخاري في «صحيحه بشرح فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب التفسير (٦٥) في تفسير سورة الأحزاب، باب (٣)، ح٤٧٨٣، عن أنس ابن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: نرى أن هذه الآية نزلت في أنس بن النضر ﴿من المؤمنين رجال صدقوا . . .﴾ الآية.
وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٥٣)، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(٢) سورة التوبة، الآيات: ٧٥ ـ ٧٧.

الباطن، وإلا كان من المنافقين الذين قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾[1].

٦ ـ الصدق في أعمال القلب: كالصدق في الخوف والرجاء والزهد والرضى والحب والتوكل. فهناك فرق واضح بين الخوف حقيقة والخوف اسمًا وادعاء. ففي الحديث: «من خاف أدلج ومن أدلج فقد بلغ المنزل»[2].

وكذلك الفرق واضح بين المحب حقيقة وبين من يحب ادعاء، فالذي يحب حقيقة هو الذي يطيع محبوبه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[3]. فالحب الصادق يكون بالمتابعة والانقياد في امتثال الأوامر واجتناب النواهي. وهكذا لابد من الصدق حقيقة في جميع هذه الأعمال القلبية، فإن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾[4].

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب صفة القيامة (٣٨)، باب (١٨)، ح٢٤٥٠، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٢٩.

* من أقوال الصحابة وغيرهم في الصدق:

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (أربع من كنَّ فيه فقد ربح: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر)[1].

وقال الجنيد: (حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب)[2].

وقال يوسف بن أسباط: (الصدق سيف الله، ما وضع على شيء إلا قطعه)[3].

وقال بشر بن الحارث: (من عامل الله بالصدق استوحش من الناس)[4].

وبهذا انتهى الكلام عن الصدق. والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي: (٤/ ٣٥٤).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٤٥١).

(٣) المصدر السابق: (٢/ ٤٥٢).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٣٥٤).

# التوبـــة

* **تعريف التوبة :**

التوبة في اللغة : الرجوع من الذنب(١) .

فالتوبة الرجوع عن الذنب الذي تاب منه إلى ما رجع إليه. والتوبة المشروعة هي: الرجوع إلى الله عز وجل إلى فعل ما أمر به وترك ما نهى عنه(٢) .

وعرف بعضهم التوبة بأنها الندم وحده(٣) لقول النبي ﷺ: «الندم توبة»(٤) .

قلت: وسمي الندم توبة لأنه ركنها الأهم ولابد معه من الإقلاع عن الذنب والعزم على عدم العودة إليها. كما دلت على ذلك الأحاديث وسيأتي بيان ذلك.

والندم هو تألم القلب على فعل مضى(٥) .

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (١/ ٣٩ ـ ٤٠)، و«مختار الصحاح» للرازي: (ص٨٠).

(٢) انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية: (ص٢٣٨)، و«مدارج السالكين»: (١/ ١٧٩).

(٣) انظر: «كتاب التوبة» للمحاسبي، تحقيق أحمد عبد القادر عطا: (ص٥٠)، و«إحياء علوم الدين»: (٤/ ٤).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (١/ ٤٢٢ ـ ٤٢٣)، عن عبد الله بن مسعود. وقال العراقي في كتابه «المغني» في تخريجه على «الإحياء»: أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده، من حديث ابن مسعود، ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال: صحيح على شرط الشيخين.
انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٤).

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٤).

وقال عبد الله بن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ: (التوبة ندم على ما مضى من الذنوب، والعزم على ألا يعود، وأن يؤدي التائب كل فرض ضيعه، ويؤدي إلى كل ذي حق حقه من المال ويذيب البدن الذي زينه بالسحت والحرام بالهموم والأحزان، حتى يلصق الجلد بالعظم ثم ينشأ بينهما لحم طيب، ويذيق البدن ألم الطاعة، كما أذاقه لذة المعصية)[1].

قلت: وهذا التعريف جامع لكل خصال التوبة النصوح التي دل عليها الكتاب والسنة. إلا من قوله: (ويذيب البدن) إلى آخر كلامه فإنه زيادة على ما ورد.

## * التوبة في الكتاب والسنة:

دلت النصوص من الكتاب والسنة على الأمر بالتوبة، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، وقال تعالى عن هود: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4]، وقال تعالى عن هود: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ

---

(١) انظر: «كتاب التوبة» للحارث المحاسبي، تحقيق أحمد عبد القادر عطا: (ص٥١).
(٢) سورة هود، الآية: ٣.
(٣) سورة التحريم، الآية: ٨.
(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

مُجۡرِمِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[3].

وورد في السنة أحاديث كثيرة تأمر بالتوبة وتحض على المبادرة بها منها:

ما رواه ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة»[4].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»[5].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»[6].

والله عز وجل يفرح بتوبة عبده كما في الحديث الصحيح الذي رواه أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين

---

(١) سورة هود، الآية: ٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٥.

(٤) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٢)، ح٢٧٠٢/ ٤١، بلفظه.

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب (٣)، ح٦٣٠٧، بلفظه.

(٦) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب التوبة (٤٩)، باب (٥)، ح٢٧٥٩/ ٣١، بلفظه.

يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك ـ أخطأ من شدة الفرح»[1].

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة في السنة.

* **بعض أقوال الصحابة والتابعين وغيرهم في التوبة النصوح:**

قال عمر بن الخطاب وأُبي بن كعب وابن مسعود ومعاذ بن جبل ـ رضي الله عنهم ـ: هي التي لا عودة بعدها، كما لا يعود اللبن إلى الضرع[2].

قلت: يظهر أن قصدهم في نيته وقصده.

وقال سعيد بن جبير: هي التوبة المقبولة، ولا تقبل ما لم تكن فيها ثلاثة شروط: خوف لا تقبل، ورجاء أن تقبل، وإدمان الطاعات[2].

وقال الكلبي: التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، والإقلاع عن الذنب، والاطمئنان على أنه لا يعود[2].

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب التوبة (٤٩)، باب (١)، ح٢٧٤٧/٧، بلفظه.

(٢) انظر هذه الأقوال في «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٨/ ١٩٧ ـ ١٩٨)، و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين»: (١/ ٩٢) و«غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب» للسفاريني: (٢/ ٤٧٣).

* **شروط التوبة**[1] :

للتوبة النصوح شروطٌ لا تتحقق التوبة إلا بها، وهذه الشروط هي:

١ ـ أن يقلع عن المعصية التي قارفها، إذ لا تتحقق التوبة مع الاستمرار في ارتكاب تلك المعصية، فإن كان العبد صادقًا في توبته أقلع عن المعصية التي كان متلبسًا بها في الحال، ويكون إقلاعه هذا من أجل الله تعالى لا خوفًا من غيره أو لعدم القدرة على فعلها فالإقلاع عن الذنب لازم للتوبة؛ إذ تستحيل التوبة مع الاستمرار في مباشرة الذنب. وقد قال بعض الصالحين: الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين[2].

٢ ـ الندم بالقلب على فعلها، وذلك بتألم وتأسف القلب على ارتكاب تلك المعصية، فمن لم يندم على ما مضى من فعل المعصية فذلك دليل على حبه لها ورضائه بها والإصرار عليها وفي الحديث: «الندم توبة»[3]. وقيل: إن الندم ركنها الأعظم[4]، (والندم يتضمن ثلاثة أشياء: اعتقاد قبح ما ندم عليه، وبغضه وكراهته وألم يلحقه عليه)[5].

---

(١) انظر في هذا: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢٧٦)، و«إحياء علوم الدين»: (٤/ ٣٣)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٥/ ٩١)، و«مدارج السالكين»: (١/ ١٨٢)،

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٩/ ٣).

(٣) سبق تخريجه: (ص١٤٠).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٢٧٦)، و«دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين»: (١/ ٨٩).

(٥) انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية: (ص٢٤٨).

٣ ـ العزم على ألا يعود إلى مثلها في المستقبل، فإن كان عازمًا على العودة فهو كاذب في توبته، وهو مصر على المعصية والإصرار (أن تبقى في القلب حلاوة المعصية وتمني مقارفتها ما وجد السبيل إليها)[(١)]. والإصرار استهزاء بالله ورسوله ـ نسأل الله العافية ـ وهو ذنب آخر تجب التوبة منه؛ لأنه عقد القلب على ارتكاب الذنب متى ظفر به.

٤ ـ وإن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي رده إليه، إن أمكن ذلك وإلا دعا له واستغفر له ولم يعلمه[(٢)]. وإن كان غيبة أثنى عليه في الأمكنة التي اغتابه فيها.

٥ ـ أن تكون التوبة قبل الموت، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[(٣)]. فنفى سبحانه وتعالى أن يدخل في حكم التائبين من حضره الموت وصار في حكم اليأس[(٤)]. وفي الحديث عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»[(٥)].

---

(١) انظر: «كتاب التوبة» للمحاسبي، تحقيق أحمد عبد القادر عطا: (ص٥٥).

(٢) سيأتي زيادة تفصيل هذه المسألة.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٨.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٥/ ٩٣).

(٥) معنى قوله: «ما لم يغرغر»، أي: ما لم تبلغ روحه حلقومه فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٥/ ٩٢).
والحديث أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥/ ، كتاب الدعوات (٤٩) باب (٩٩)، ح٣٥٣٧، بلفظه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

٦ ـ التوبة قبل طلوع الشمس من المغرب، فلابد أن تكون التوبة في الزمن الذي تقبل فيه التوبة فإذا طلعت الشمس من المغرب أغلق باب التوبة لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[1]، قيل: هو طلوع الشمس من مغربها[2]. وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه»[3].

* **حكم التوبة من الذنوب:**

التوبة تكون من ثلاثة أشياء:

١ ـ من ترك العبد لفعل أمر به، فالواجب على جميع المكلفين التوبة منه كما أمرهم الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

(وليست التوبة من فعل السيئات فقط، كما يظن كثير من الجهال؛ إذ لا يتصورون التوبة إلا عما يفعله العبد من القبائح كالفواحش، والمظالم، بل التوبة من ترك الحسنات المأمور بها أهم من التوبة من فعل السيئات المنهي عنها، فأكثر الخلق يتركون كثيرًا مما أمرهم الله به من أقوال القلوب وأعمالها وأقوال البدن وأعماله وقد لا يعلمون

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٨.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (٧/ ١٤٥).

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٢)، ح٢٧٠٣/ ٤٣، بلفظه.

(٤) سورة النور، الآية: ٣١.

أن ذلك مما أمروا به، أو يعلمون الحق ولا يتبعونه، فيكونون إما ضالين بعدم العلم النافع، وإما مغضوبًا عليهم بمعاندتهم الحق بعد معرفته)[1].

فمن ترك فعل واجب فعليه القضاء إن أمكن، كقضاء الصلاة والصيام ونحوهما وإن كان لا يمكن كعدم معرفته تحليل ما أحله الله أو تحريم ما حرمه الله، فتجزىء منه التوبة أو كان كافرًا فأسلم أجزأته توبته من الكفر فالإسلام يجُب ما قبله.

٢ - فعل العبد للمحظورات بارتكابه المحرمات سواء كان ذلك الذنب بينه وبين الله تعالى كشرب الخمر أو بينه وبين العباد، كأخذ أموالهم، أو انتهاك أعراضهم بالغيبة والنميمة والقذف أو قتل النفس المحرمة، والتوبة من فعل المحظورات واجبة على الفور على جميع المكلفين وتأخيرها ذنب آخر يجب التوبة منه؛ لأنه قد ترك واجبًا. وترك الواجب مع القدرة معصية (فما كان من المال فلابد من رده إن أمكن أو الاستحلال منه فإن تعذر؛ لغيبة الرجل أو موته فوارثه مقامه، وإلا بأن لم يكن له وارث تصدق به عنه، فإن لم يقدر فليكثر من الحسنات)[2].

وما كان من القذف والغيبة والنميمة فالتوبة من هذا النوع (الذي لا ينجبر بمثله بل جزاؤه من غير جنسه)[3] بالندم والإقلاع وكثرة الاستغفار والدعاء للمغتاب والمقذوف فلا يحتاج إلى إعلامه ولا استحلاله من ذلك لما في ذلك من إيغار صدره وإدخال الغم

(١) انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية: (ص٢٢٨).
(٢) انظر: «غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب» للسفاريني: (٢/ ٤٨٩).
(٣) المصدر السابق: (٢/ ٤٧٧).

عليه. ولعله يهيج عداوته فلا يصفو له أبدًا. وهو قول الأكثرين وذهب آخرون إلى أنه لابد من إعلامه وتحلله. والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه بل يكفيه الاستغفار والدعاء له بظهر الغيب وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهما حتى لا يؤذيه مرتين وقد لا يغفر له لو علم ذلك. وقد يحصل بإعلامه شر عظيم[١] ثم على العبد التائب الإكثار من الحسنات لعل الله يذهب بها سيئاته كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[٢]، وفي الحديث: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها»[٣].

٣ ـ فعل المكروهات غير المحرمات، وترك المستحبات، فالتوبة من ترك المستحبات وفعل المكروهات مستحبة، وليست واجبة. (مثل أن يكون العبد يصلي صلاة مجزئة غير كاملة، فتبلغه صلاة النبي ﷺ المستحبة، فيصلي كصلاته ويندم على ما كان يفعله من الصلاة الناقصة)[٤].

فمن اقتصر على التوبة الواجبة من ترك مأمور أو فعل محظور كان من الأبرار المقتصدين، ومن تاب التوبتين الواجبة والمستحبة كان من السابقين المقربين ومن لم يأت بالتوبة الواجبة كان من الظالمين: إما

---

(١) المصدر السابق: (٢/ ٤٧٧ ـ ٤٧٩).

(٢) سورة هود، الآية: ١١٤.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب البر والصلة (٢٨)، باب (٥٥)، ح١٩٨٧، عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية: (ص٢٤٩).

الفاسقين، وإما الكافرين[1]، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾[3].

معنى قول القائل: (حسنات الأبرار سيئات المقربين)[4].

لا تجوز التوبة من الحسنات عند أحد من المسلمين، فمن ندم على فعل الحسنات التي هي: الإيمان والأعمال الصالحة، فقد تاب ورجع عما أمر الله به من الواجبات، والرجوع عن الإيمان كفر، والرجوع عن الأعمال الصالحة معصية إن كان عالمًا بذلك، وإن لم يعمل فهو جاهل ضال[5].

(وتوبة الإنسان من حسناته على أوجه:

أحدها: أن يتوب ويستغفر من تقصيره فيها.

والثاني: أن يتوب مما كان يظنه حسنات ولم يكن، كحال أهل البدع.

والثالث: يتوب من إعجابه ورؤيته أنه فعلها، وأنها حصلت بقوته، وينسى فضل الله وإحسانه، وأنه هو المنعم، وهذه توبة من فعلِ مذمومٍ وتركِ مأمورٍ)[6].

---

(١) انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية: (ص٢٢٧).

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٢.

(٣) سورة الواقعة، الآيات: ٨٨ ـ ٩٤.

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٤٧).

(٥) انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية: (ص٢٤٨).

(٦) انظر: «التصوف» لابن تيمية: (١٠/ ٦٨٧ ـ ٦٨٨).

وقول القائل: (حسنات الأبرار سيئات المقربين) ليس من كلام النبي ﷺ ولا أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا سلف الأمة وأئمتها، وإنما هو من كلام المتأخرين فليس حجة، وإن كان له معنى صحيح وقد يحمل على معنى فاسد تحتمله العبارة.

(أما معناه الصحيح فوجهان:

أحدهما: أن الأبرار يقتصرون على أداء الواجبات وترك المحرمات، وهذا الاقتصار سيئة في طريق المقربين. ومعنى كونه سيئة أنه يخرج صاحبه عن مقام المقربين فيحرم درجاتهم[1]. فالمقربون يتوبون من الاقتصار على الواجبات، لا يتوبون من نفس الحسنات التي يعمل مثلها الأبرار بل يتوبون من الاقتصار عليها.

الثاني: أن العبد قد يؤمر بفعل يكون حسنًا منه. إما واجبًا وإما مستحبًّا لأن ذلك مبلغ علمه وقدرته. ومن يكون أعلم منه وأقدر لا يؤمر بذلك بل يؤمر بما هو أعلى منه فلو فعل هذا ما فعله الأول كان ذلك سيئة.

مثال ذلك: أن العامي يؤمر بمسألة العلماء المأمونين على الإسلام والرجوع إليهم بحسب قوة إدراكه. قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[2]. وإن كان في ذلك تقليد لهم؛ إذ لا يؤمر العبد بما لا يقدر عليه. وأما العلماء القادرون على معرفة الكتاب والسنة والاستدلال بهما، فلو تركوا ذلك وأتوا بما يؤمر به العامي لكانوا مسيئين بذلك. إلى نظائر ذلك مما يؤمر فيه العبد بفعل لم يؤمر به من هو دونه

---

(١) قلت: وتسمية ذلك سيئة يحتاج إلى دليل.

(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣.

فيكون ترك ذلك سيئة في حقه، وهو من المقربين إذا فعله، ويكون فعل ما دون ذلك حسنات لمن دونه)[1].

وأما المعنى الفاسد لهذه العبارة فهو أن يظن الظان أن التوبة تكون من الحسنات حقيقة التي أمر الله بها من الواجبات فيعتقد أن تركها خير من فعلها أو أنها ليست مأمور بها، بل هي سيئات في حق المقربين، فيندم على فعلها (مثل من يظن أن الصلوات الخمس ومحبة الله ورسوله والتوكل على الله وإخلاص الدين لله ونحو ذلك هي سيئات في حق المقربين. فهذا قول فاسد غلا فيه قوم من الزنادقة المنافقين المنتسبين إلى العلماء والعبّاد فزعموا أنهم يصلون إلى مقام المقربين الذي لا يؤمرون فيه بما يؤمر به عموم المؤمنين من الواجبات، ولا يحرم عليهم ما يحرم على عموم المؤمنين من المحرمات: كالزنا والخمر والميسر.

وكذلك زعم قوم في أقوال القلوب التي يؤمر بها جميع المؤمنين أن المقربين لا تكون هذه حسنات في حقهم. وكلا هذين من أخبث الأقوال وأفسدها)[2].

---

(١) بتصرف في النص.
انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية: (ص٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤).

(٢) انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية: (ص٢٥٥).
وانظر كلام من يقول: بأن الشرائع تلزم العامة دون الخاصة في «الرسالة التدمرية» لابن تيمية: (ص٣٤).

* **توبة الأنبياء من الذنوب :**

التوبة واجبة على الخلق المكلفين أجمعين الأولين والآخرين، كما قال تعالى: ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾(١).

وقد دل الكتاب والسنة على توبة الأنبياء من الذنوب، فأخبر سبحانه بتوبة آدم، ونوح، ومن بعدهما، إلى خاتم المرسلين محمد ﷺ، ولم يذكر الله ذنبًا عن نبي من الأنبياء إلا مقرونًا بالتوبة والاستغفار، كقول آدم وزوجته ـ عليهما السلام ـ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾(٤).

وقال نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٥).

وقول الخليل عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾(٦)، وقوله: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾(٧).

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٧.
(٤) سورة طه، الآيتان: ١٢١ ـ ١٢٢.
(٥) سورة هود، الآية: ٤٧.
(٦) سورة إبراهيم، الآية: ٤١.
(٧) سورة الشعراء، الآية: ٨٢.

وقول موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١)، وقوله: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

وقوله تعالى عن داود: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾(٣).

وقوله تعالى عن سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾(٤).

وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(٨).

وثبت في «صحيح البخاري» عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة»(٩)، وفي «صحيح مسلم» عن الأغر المزني ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنه ليغان

---

(١) سورة القصص، الآية: ١٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
(٣) سورة ص، الآيتان: ٢٤ ـ ٢٥.
(٤) سورة ص، الآية: ٣٥.
(٥) سورة غافر، الآية: ٥٥.
(٦) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٧) سورة النصر، الآية: ٣.
(٨) سورة الفتح، الآية: ٢.
(٩) سبق تخريجه في (ص١٤٢).

على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم أكثر من مائة مرة»(١)، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده: «اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّه وجِلَّه، وأوله وآخره، وعلانيته وسره»(٢).

والنصوص من الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة.

والقائلون من المعتزلة وغيرهم بعصمة الأنبياء من التوبة من الذنوب ليس لهم حجة من كتاب الله ولا سنة رسوله، بل قد دل الكتاب والسنة على توبتهم من الذنوب كما بينا ذلك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به في كتابه، وما ثبت عن رسوله، من توبة الأنبياء ـ عليهم السلام ـ من الذنوب التي تابوا منها، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وعصمتهم هي من أن يقروا على الذنوب والخطأ من غير توبة. فإن من سوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب والخطأ من غير توبة، والأنبياء ـ عليهم السلام ـ يستدركهم الله فيتوب عليهم ويبين لهم)(٣) اهـ.

قلت: وقد أوردنا الأدلة من الكتاب والسنة، التي تدل على توبة الأنبياء واستغفارهم من الذنوب. فمن أنكر ذلك فقد حرف نصوص الكتاب والسنة عن مواضعها. والله تعالى أعلم.

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٢)، ح٢٧٠٢/ ٤١، بلفظه.

(٢) معنى قوله: «دقه وجله»، أي: صغيره وكبيره، وفسرهما النووي: بالقليل والكثير. انظر: تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على «صحيح مسلم»: (١/ ٣٥)، والحديث أخرجه مسلم في «صحيحه»: ج١، كتاب الصلاة (٤)، باب (٤٢)، ح٤٨٣/ ٢١٦، وهو بلفظه.

(٣) انظر: «جامع الرسائل» لابن تيمية: (ص٢٦٩).

# الصبر

* **تعريفه :**

الصبر لغة : حبس النفس عن الجزع، وصبره حبسه قال الله تعالى[(١)] : ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾[(٢)] . واصطلاحًا : الصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب، ونحوهما[(٣)] .

وقد دلت النصوص الصريحة من الكتاب والسنة على الأمر بالصبر والحث عليه، وبيان فضله ومنزلة أهله، وما أعد الله لهم من الثواب عليه في الدنيا والآخرة .

* **الصبر في القرآن :**

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (ذكر سبحانه الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا)[(٤)]، وأوجب الله الصبر على العبد، قال تعالى : ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ﴾[(٥)]، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٦)]، وأمر الله بالاستعانة

---

(١) سورة الكهف، الآية : ٢٨ .

(٢) انظر : «مختار الصحاح» للرازي : (ص٣٥٤)، و«القاموس المحيط» : (٢/ ٦٨) .

(٣) انظر : «عدة الصابرين» لابن القيم : (ص١٢) .

(٤) انظر : «مدارج السالكين» لابن القيم : (٢/ ١٥٢)، و«عدة الصابرين» لابن القيم : (ص٧٤) .

(٥) سورة النحل، الآية : ١٢٧ .

(٦) سورة آل عمران، الآية : ٢٠٠ .

بالصبر فقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾[2].

* **فوائد الصبر في الدنيا[3]**:

١ ـ من فوائد الصبر في الدنيا أن يجعل الله لأهله الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[4]، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

٢ ـ فوز الصابرين بمعية الله سبحانه وتعالى لهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾[5].

٣ ـ أن الله يصلي عليهم ويرحمهم ويهديهم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[6].

٤ ـ أن الله سبحانه ينصر المؤمنين على أعدائهم إذا صبروا واتقوا، قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الطور، الآية: ٤٨.

(٣) انظر: «عدة الصابرين» لابن القيم: (ص٧٤ ـ ٧٨).

(٤) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٦) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٢٥.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

٥ ـ أن الصبر على المصائب من عزم الأمور، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[١]، وقال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[٢].

٦ ـ أن الله يحب الصابرين، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣].

٧ ـ أن الصابرين هم الذين ينتفعون بآيات الله قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ وقد ذكرها الله في أربعة مواضع من القرآن كلها تدل على أن آيات الله إنما ينتفع بها أهل الصبر والشكر[٤].

٨ ـ أن الصبر خير لهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[٥].

* **من فوائد الصبر في الآخرة:**

١ ـ أن الصبر من أسباب الفلاح والفوز، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦].

٢ ـ مضاعفة أجور الصابرين، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٨].

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٤٣.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.

(٤) في سورة إبراهيم، الآية: ٥، وسورة لقمان، الآية: ٣١، وسورة سبأ، الآية: ١٩، وسورة الشورى، الآية: ٣٣.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

(٧) سورة القصص، الآية: ٥٤.

(٨) سورة الزمر، الآية: ١٠.

قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غرفًا[1].

٣ ـ أن الملائكة تسلم عليهم في الجنة جزاء صبرهم، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[2].

٤ ـ أن لهم المغفرة والأجر الكبير من الله، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[3].

٥ ـ أنهم الرابحون، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[4]. وقد خص الله أهل الميمنة بأنهم أهل الصبر والمرحمة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾[5].

٦ ـ أن الله يبشرهم بالثواب على صبرهم، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[6].

### * الصبر في السنة:

وردت نصوص كثيرة في السنة النبوية تأمر بالصبر وتحث عليه، منها:

ما روي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ «أتى على امرأة تبكي على صبي لها، فقال لها: اتقي الله واصبري. فقالت: وما تبالي بمصيبتي. فلما ذهب قيل لها: إنه رسول الله ﷺ. فأخذها مثل

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٤٨).

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٣ ـ ٢٤.

(٣) سورة هود، الآية: ١١.

(٤) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٣.

(٥) سورة البلد، الآيتان: ١٧ ـ ١٨.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

الموت. فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين. فقالت: يا رسول الله، لم أعرفك. فقال: إنما الصبر عن الصدمة الأولى»(١).

وفي «صحيح البخاري» من حديث أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله قال: إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة»(٢).

وفي «صحيح البخاري» عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك»، فقالت: أصبر. فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها(٣).

وفي «صحيح مسلم» من حديث أسامة بن زيد قال: كنا عند النبي ﷺ. فأرسلت إليه إحدى بناته تدعوه وتخبره أن صبيًّا لها أو ابنًا لها في الموت. فقال للرسول: «ارجع إليها فأخبرها أن لله ما أخذ وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى فمرها فلتصبر ولتحتسب . . .»(٤) الحديث.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الجنائز (١١)، باب (٨)، ح٩٢٦/ ١٥، عن أنس بلفظه.

(٢) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٠، كتاب المرض (٧٥)، باب فضل من ذهب بصره (٧)، ح٥٦٥٣، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٣) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٠، كتاب المرض (٧٥)، باب (٦)، ح٥٦٥٢، بلفظه.

(٤) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الجنائز (١١)، باب البكاء على الميت (٦)، ح٩٢٣/ ١١، بلفظه.

وثبت في «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»[(١)].

*** بعض الآثار عن الصحابة وغيرهم في الصبر:**

مرض أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فعادوه فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني الطبيب. قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد[(٢)].

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: وجدنا خير عيشنا بالصبر[(٣)].

وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس في الجسد، ولا جسد لمن لا رأس له، ولا إيمان لمن لا صبر له[(٤)].

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: إذا جاءك أمر لا كفاء لك به فأصبر وانتظر الفرج من الله[(٥)].

---

(١) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الزكاة (٢٤)، باب (٥٠)، ح١٤٦٩، بلفظه مع زيادة في أول الحديث عند البخاري.
وكذلك «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب فضل التعفف والصبر (٤٢)، ح١٠٥٣/ ١٢٤، بلفظ نحوه، وهو جزء من حديث طويل.

(٢) انظر: «كتاب الزهد» للإمام أحمد: (ص١٤٠).

(٣) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨٢)، باب (٢٠) ذكره معلقًا، وانظر: «كتاب الزهد» للإمام أحمد: (ص١٤٦).

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي: (٤/ ٥٩).

(٥) انظر: «كتاب الزهد» للإمام أحمد: (ص١٧٣).

وسئل الجنيد رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ عن الصبر، فقال: هو تجرع المرارة من غير تعبيس[1].

وقال الخواص: هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة[2].

* حكم الصبر:

يتبين مما سبق من الأدلة أن الصبر واجب بالكتاب والسنة وباتفاق الأئمة، فلابد من الصبر على القيام بالواجبات، وترك المحرمات، والصبر على المصائب. مع أنه يكره للمرء أن يتعرض للبلاء بأن يوجب على نفسه شيئًا لم يوجبه الله عز وجل إما بعهد أو نذر أو طلب ولاية أو نحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[3]. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر، وقال: «إنه لا يرد شيئًا، ولكنه يستخرج به من البخيل»[4].

وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٤٥٤).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٤٥٥).

والخواص: هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص، مات بالري سنة إحدى وتسعين ومائتين. من كلامه: ليس العلم بكثرة الرواية إنما العالم من اتبع العلم واستعمله واقتدى بالسنن وإن كان قليل العلم. ويقول: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ١٤٧).

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٤) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب (٨٣)، باب (٢٦)، ح٦٦٩٣، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بلفظه.

مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»(١).

ونهى رسول الله ﷺ عن تمني لقاء العدو، فقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: «لا تمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا»(٢)، فنهاهم ﷺ عن تمني لقاء العدو وأمرهم بالصبر والثبات عند لقائه.

* **أنواع الصبر ثلاثة(٣):**

١ ـ **صبر على المأمور**: بامتثال ما أمر الله به في كتابه الكريم، أو في السنة النبوية من العبادات، كالصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر شرائع الإسلام.

٢ ـ **صبر عن المحظور**: وهو الصبر على ترك واجتناب كل ما نهى الله عنه في القرآن العظيم أو في سنة نبيه الكريم، من المعاصي، كالشرك بالله وأكل الربا وشرب الخمر وعقوق الوالدين وسائر المنهيات والمحرمات التي حرمها الله ورسوله.

٣ ـ **صبر على المقدور**: فلا يشكو ربه، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطأه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٤)، . . . . . . . .

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الإمارة (٣٣)، باب (٣)، ح١٦٥٢/ ١٣، عن عبد الرحمن بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٢) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجهاد والسير (٣٢)، باب (٦)، ح١٧٤١/ ١٩، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٣) انظر في هذا: «عدة الصابرين» لابن القيم: (ص٣٤ ـ ٣٥)، و«مدارج السالكين» لابن القيم: (٢/ ١٥٦)، و«تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد»: (ص٤٥٢)، و«طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٣٤١). وانظر: «تفسير ابن كثير»: (١/ ١٩٦).

(٤) سورة التغابن، الآية: ١١.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[1].

فمن صبر واحتسب واستسلم لقضاء الله وقدره أثابه الله على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وأن أصابته ضراء صبر، فكان خيرًا له»[3].

## * الصبر للعامة والخاصة:

الصبر من أجل مقامات الدين وهو واجب على العامة والخاصة، فقد أمر الله به أنبياءه ورسله فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[4]، وقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[5].

وقد جعل «الهروي» صاحب «منازل السائرين» الصبر من منازل العامة فقال: (الصبر حبس النفس عن المكروه وعقل اللسان عن الشكوى وهو من أصعب المنازل على العامة وأوحشها في طريق المحبة وأنكرها في طريق التوحيد)[6].

---

(١) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الزهد والرقائق (٥٣)، باب (١٣)، ح٢٩٩٩/ ٦٤، عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٦) انظر: «مدارج السالكين»: (٢/ ١٦١).

وكذلك فعل صاحب «محاسن المجالس» أبو العباس بن العريف، فجعل الصبر من منازل العامة في قوله: (وهو من منازل العوام أيضًا؛ لأن الصبر حبس النفس على مكروه، وعقل اللسان عن الشكوى ومكابدة الغصص في تحمله، وانتظار الفرج عند عاقبته، وهذا في طريق الخاصة تجلد ومناوأة وجراءة ومنازعة، فإن حاصله يرجع إلى كتمان الشكوى في تحمل الأذى بالبلوى، وتحقيقه الخروج عن الشكوى بالتلذذ بالبلوى والاستبشار باختبار المولى)[1] اهـ.

وهذا لا يصح لأن «الصبر نصف الإيمان»[2] كما قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، والنصف الآخر الشكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[3].

والصبر يكون على فعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور، فالإيمان كله صبر وشكر، ثم إن العبد لا يخلو من أن يكون في نعمة أو بلية، فلابد له من الشكر على النعمة والصبر على البلاء، فالصبر لازم للعبد المسلم لا ينفك عنه وهو محتاج له.

والله سبحانه وتعالى قد ذكر الصبر في كتابه في نحو تسعين موضعًا، كما قال الإمام أحمد[4] فمرة يأمر به، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٣٣٩).

(٢) انظر: «فتح الباري بشرح صحيح البخاري»: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب (١)، ذكره ابن حجر في الشرح: ص٤٨.

(٣) سورة سبأ، الآية: ١٩.

(٤) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم: (١٥٢/٢)، و«عدة الصابرين» لابن القيم: (ص٧٤). =

﴿ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾[2]، ومرة أثنى على أهله قال تعالى عن نبيه أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[3].

وأمر الله بالاستعانة بالصبر فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4].

وهذا يدل على أن الصبر واجب في حق العامة والخاصة وأن الأنبياء والمرسلين يحتاجون إلى الصبر كما يحتاج إليه سائر المؤمنين، ثم إن الصبر سبب لحصول الخير، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[5]، وقال ﷺ: «ما أعطي أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر»[6].

وعلى هذا فالصبر المحمود واجب في حق الأنبياء والمرسلين والصديقين والمؤمنين والمسلمين جميعًا بنص كتاب الله العظيم وبسنة رسوله الكريم، فليس واجبًا على العامة دون الخاصة. والله أعلم.

* * *

---

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٣) سورة ص، الآية: ٤٤.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(٦) سبق تخريجه في (ص١٦٠).

# الإيمان

* **تعريف الإيمان :**

الإيمان في اللغة : التصديق[1]. وقد حكى الله عن إخوة يوسف قال : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[2]، أي : بمصدق لنا[3].

واختلفت مذاهب الناس في تعريف الإيمان :

فقالت الجهمية : الإيمان معرفة الله بالقلب، وإن لم يكن معها قول باللسان ولا اعتراف بالنبوة ولا أداء للفرائض[4].

وهذا القول ظاهر الفساد، فإنه يلزمهم أن يكون فرعون وقومه مؤمنين فإنهم قد عرفوا صدق موسى وهارون عليهما السلام، ولم يؤمنوا بهما، ولهذا خاطب موسى عليه السلام وهو الصادق المصدوق فرعون بقوله : ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[5]، وقال تعالى عن فرعون وقومه : ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[6].

وإبليس يكون عند الجهمية مؤمنًا كامل الإيمان فإنه لم يجهل ربه، فقد حكى الله عنه قوله : ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[7]، وقال : ﴿رَبِّ

---

(١) انظر : «القاموس المحيط» : (٤/ ١٩٩)، و«مختار الصحاح» للرازي : (ص٢٦).
(٢) سورة يوسف، الآية : ١٧ .
(٣) انظر : «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي : (١/ ١٦٢ ـ ١٦٣)، و(٩/ ١٤٨).
(٤) انظر : «كتاب الإيمان» لأبي عبيد القاسم بن سلّام، تحقيق الألباني : (ص١٠١).
(٥) سورة الإسراء، الآية : ١٠٢ .
(٦) سورة النمل، الآية : ١٤ .
(٧) سورة الحجر، الآية : ٣٦ .

بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾[1]. فإن الإيمان عند الجهمية هو العلم بالرب، والكفر عندهم هو الجهل بالرب، وهذا قول باطل، وقد كفر الإمام أحمد ووكيع من قال بهذا القول[2].

وقالت مرجئة الفقهاء: الإيمان تصديق القلب، وقول اللسان، والأعمال ليست منه فيجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه، بمنزلة السبب مع المسبب، ولا يجعلونها لازمة له[3].

وقالت الكرامية: الإيمان قول باللسان فقط، دون تصديق القلب، وعلى قولهم يدخل المنافقون في الإيمان، لكنهم يجعلونه مؤمنًا في الدنيا ومعذبًا ومخلدًا في النار في الآخرة[4].

وعرف السلف وأئمة السنة الإيمان بأقوال كلها صحيحة فقالوا:

الإيمان: قول وعمل يزيد وينقص[5] وقالوا: الإيمان هو قول وعمل ونية[6]. وتارة يقولون: الإيمان: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح[7]. وربما قالوا: هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣٩.

(٢) انظر: «الإيمان» لابن تيمية: (٧/ ١٢٠، ٥٠٧ ـ ٥٠٨)، و«شرح العقيدة الطحاوية»: (ص٣٠٨ ـ ٣٠٩).

(٣) انظر: «الإيمان» لابن تيمية: (٧/ ١٩٤)، و«شرح العقيدة الطحاوية»: (ص٣٠٩).

(٤) انظر: «الإيمان» لأبي عبيد: (ص٥٧ ـ ٧٥)، و«الإيمان» لابن تيمية: (٧/ ١٤٠ ـ ١٤١، ٤٧٥، ٥٠٩)، و«شرح الطحاوية»: (ص٣٠٨).

(٥) انظر: «الإيمان» لابن تيمية: (٧/ ٥٠٥)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي القاسم اللالكائي: (٢/ ٤/ ٨٤٩).

(٦) انظر: «كتاب الإيمان» لأبي عبيد: (ص٥٣، ٥٤، ٦٦)، و«التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي»: (ص٩٦).

(٧) انظر: «الإيمان» لابن تيمية: (٧/ ١٧٠).

بالأركان، أي: الجوارح[1]، وكل هذا صحيح.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فمن قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر أو خلاف ذلك. فزاد الاعتقاد بالقلب.

ومن قال: (قول وعمل ونية)، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا إلى الله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على الكرامية الذين جعلوه قولاً فقط. فقالوا: بل هو قول وعمل، والذي جعلوه أربعة أقسام فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبد الله التُّستَري عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة، لأن الإيمان إذا كان قولاً بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولاً وعملاً بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولاً وعملاً ونية بلا سنة فهو بدعة)[2].

أقول: وليس قصدي في هذه الدراسة الكلام عن الإيمان وبيان نزاع الناس فيه ولا الرد على الذين غلطوا فيه، فخالفوا الكتاب والسنة، فإن هذا قد تكلم فيه الأئمة من السلف والخلف، وألفت فيه الكتب المشهورة، ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب في ذلك، وإنما غرضي تعريف الإيمان، وبيان أنه من أعمال القلوب التي نحن بصدد دراستها في هذا البحث، ولم

---

(١) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي القاسم اللالكائي: (٢/ ٤/ ٨٤٩).

(٢) بتصرف يسير. انظر: «الإيمان» لابن تيمية: (٧/ ١٧١).

يخالف في أن الإيمان من عمل القلب إلا الكرامية[1] وحدهم، فهو عندهم قول اللسان فقط دون تصديق القلب، فخالفوا الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة.

### * أصل الإيمان في القلب:

دل الكتاب والسنة على أن الإيمان: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل الجوارح. واعتقاد القلب: هو قول القلب وعمله، وقول القلب: هو تصديقه وإقراره ومعرفته.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (أصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب فلابد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه، ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له. وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له، لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح)[2].

قلت: فمن الأدلة الدالة على أن أصل الإيمان في القلب قوله تعالى: ﴿ ۞قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ ﴾[3]، فنفى الله ـ عز وجل ـ عنهم الإيمان، وبيَّن أنهم لا يكونوا

---

(١) الكرامية هم أصحاب محمد بن كرام الذي كان مطرودًا من سخستان إلى غرجستان وهم طوائف. انظر: «الفرق بين الفرق»: (ص٢٠٢)، و«الملل والنحل» للشهرستاني: (ص١٠٨ ـ ١١٣).

(٢) انظر: «الإيمان» لابن تيمية: (٧/ ٦٤٤).

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

مؤمنين حتى يدخل الإيمان في قلوبهم، مع أن هؤلاء الأعراب معهم أصل وهو التصديق بالقلب الذي يصح به إسلامهم. وقال تعالى: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[4].

فدلت هذه الآيات البينات على أن أصل الإيمان في القلب، وأن الإيمان لا يثبت لأحد حتى يدخل القلب ويقوم به.

والأدلة من السنة على أن أصل الإيمان في القلب كثيرة، منها:

قوله ﷺ: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإذا كان القلب صالحًا بما فيه من الإيمان علمًا وعملاً قلبيًا، لزم ضرورة صلاح الجسد بالقول الظاهر والعمل بالإيمان المطلق، كما قال أئمة أهل الحديث: قول وعمل، قول باطن وظاهر، وعمل باطن وظاهر، والظاهر تابع للباطن لازم له، متى صلح الباطن صلح الظاهر، وإذا فسد فسد)[6] اهـ.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٧.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠٦.

(٥) سبق تخريجه: (ص١٠٥).

(٦) انظر: «الإيمان» لابن تيمية: (١٨٧/٧).

وقال ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[1].

وجاء في الحديث الصحيح: «ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[2].

وقد ثبت في الحديث الصحيح رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب حيث قال ﷺ في هذا الحديث: «حتى يقال لرجل ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»[3].

وجاء في الحديث الذي في «صحيح مسلم» عن عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك» فقال عبد الله: أجل ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك، مسها مس الحرير، فلا تترك نفسًا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة[4].

وثبت في «صحيح البخاري» عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (٢٠)، ح٤٩/ ٧٨، عن أبي سعيد بلفظه.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه مسلم في «صحيحه»: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (٢٠)، ح٥٠/ ٨٠، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٣) «صحيح مسلم»: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (٦٤)، ح١٤٣/ ٢٣٠، عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) «صحيح مسلم»: ج٣، كتاب الإمارة (٣٣)، باب (٥٣)، ح١٩٢٤/ ١٧٦.

تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان»[1] الحديث.

فهذه الأحاديث الصحيحة تدل على أن أصل الإيمان في القلب، وهو ما يقوم بالقلب من التصديق والاعتقاد وسائر الأقوال والأعمال القلبية الباطنة، بالإضافة إلى أنه قول باللسان وعمل بالجوارح ولكن أصله القلب.

* **من أقوال الصحابة وغيرهم في الإيمان:**

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ لما نزلت هذه الآية ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾[2] قال: دخل قلوبهم منها شيء، ولم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي ﷺ: «قولوا سمعنا وأطعنا وسلَّمنا».

قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم[3].

والشاهد من هذا قوله: «فألقى الله الإيمان في قلوبهم».

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «اليقين الإيمان كله»[4].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطار اشتياقًا إلى الجنة، وهربًا من النار[5].

---

(١) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب (١٥)، ح٢٢.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨٤.

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (٥٧)، ح١٢٦/ ٢٠٠.

(٤) أخرج البخاري هذا الأثر معلقًا في «صحيحه». انظر: «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب (١).

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر: (١/ ٤٨).

وأخرج البخاري في «صحيحه» أن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب لا يسخطه أحد[١].

وقال الحسن البصري: إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، إنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل[٢].

فهذه الآثار تدل على أن الإيمان هو ما وقر في القلب، من التصديق والحب والانقياد، وسائر الأقوال والأعمال القلبية التي تقوم بالقلب من توحيد الله وحبه وخشيته والتوكل عليه وإخلاص العمل له وحده وغير ذلك من أعمال القلوب التي أوجبها الله ورسوله وجعلها من الإيمان. والله أعلم.

---

(١) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب (٣٨)، ح٥١، بلفظه.

(٢) انظر: «كتاب الإيمان» لابن أبي شيبة: (ص٣١ ـ ٣٢).

وقال الألباني في تخريجه لهذا الأثر في نفس الكتاب: (ص٣٢): (هذا موقوف على الحسن البصري ولا يصح عنه، فإن زكريا هو حكيم الحبطي وهو هالك كما قال الذهبي وقد رواه غيره من الهالكين عن الحسن عن أنس مرفوعًا، وقد تكلمت عليه في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة»: برقم١٠٩٨). انتهى كلام الألباني.

# الزهـــد

* **تعريفه :**

الزهد في اللغة : ضد الرغبة، فهو خلافها، يقال : فلان زاهد في كذا وفلان راغب فيه، والرغبة هي من جنس الإرادة، فالزهد في الشيء انتفاء الإرادة له، إما مع وجود كراهته وإما مع عدم الإرادة والكراهة، بحيث لا يكون لا مريدًا له ولا كارهًا له، وكل من لم يغرب في الشيء ويريده فهو زاهد فيه[١].

واختلف الناس في معنى الزهد المشروع :

فقيل : الزهد يكون بمعنيين : إن كان الشيء موجودًا فالزهد فيه إخراجه وخروج القلب منه وهذا زهد الأغنياء، وإن لم يكن الشيء موجودًا فالزهد فيه هو الغبطة به والرضا بالفقد وهذا زهد الفقراء[٢].

وقيل : إنما الزهد إسقاط قيمة الدنيا من القلب، وأن لا يكون لشيء عاجل في القلب وزن، فإذا سقطت قيم الأشياء واستوت في القلب فهو الزهد[٣].

وقال الجنيد : الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد[٤].

وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية الزهد المشروع فقال : هو ترك الرغبة

---

(١) انظر : «القاموس المحيط» : (١/٣٠٩)، و«مختار الصحاح» للرازي : (ص٢٧٦). وانظر : «السلوك» لابن تيمية : (١٠/٦١٦).

(٢) انظر : «قوت القلوب» لأبي طالب المكي : (١/٢٤٨).

(٣) انظر : المصدر السابق : (١/٢٦٩).

(٤) انظر : «الرسالة القشيرية» : (١/٣٢٧).

فيما لا ينفع في الدار الآخرة وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله، مع ثقة القلب بما عند الله[1].

وهذا القول لشيخ الإسلام من أجمع ما قيل في الزهد وأحسنه.

* **الزهد في الكتاب والسنة :**

جاء في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ذم الرغبة في الدنيا، والتزهيد فيها والإخبار بزوالها وفنائها، والترغيب في الآخرة والإخبار ببقائها ودوامها، فقال تعالى في وصف الحياة الدنيا: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَـٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[4].

---

(١) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٢١ ـ ٦٤١).

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٠.

(٣) سورة الكهف، الآيتان: ٤٥ ـ ٤٦.

(٤) سورة يونس، الآية: ٢٤.

وقد بين الله تبارك وتعالى أن متاع الدنيا قليل وأن الآخرة خير لمن اتقى، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝١٦ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾(٢).

وذم الله الرغبة في الدنيا فقال تعالى: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾(٤).

وقال تعالى في قصة قارون: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٧٩ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾(٥).

وذم الله تبارك وتعالى من يحب الدنيا ويؤثرها على الآخرة، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾(٧)، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾(٨)، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٧.
(٢) سورة الأعلى، الآيتان: ١٦ ـ ١٧.
(٣) سورة الرعد، الآية: ٢٦.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٧.
(٥) سورة القصص، الآيتان: ٧٩ ـ ٨٠.
(٦) سورة القيامة، الآيتان: ٢٠ ـ ٢١.
(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٣.
(٨) سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٣٩.

﴿وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾(١)، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير.

أما الأحاديث النبوية في ذم الدنيا وحقارتها عند الله عز وجل:

فقد ثبت في «صحيح مسلم» عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلاً من بعض العالية، والناس كنفته، فمر بجدي أسك ميت، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال: «أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟» فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به؟ قال: «أتحبون أنه لكم؟» قالوا: والله لو كان حيًّا، كان عيبًا فيه؛ لأنه أسك فكيف وهو ميت؟ فقال: «فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم»(٢).

وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع»(٤).

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الزهد والرقائق (٥٣)، ح٢٩٥٧/٢، ومعنى كنفته: جانبه، وجدي أسك: صغير الأذنين، انظر: «تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم»: (٤/ ٢٢٧٢).

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد (٣٧)، باب (١٣)، ح٢٣٢٠، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٤) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الجنة (٥١)، ح٢٨٥٨/٥٥، باب (١٤)، عن المستورد أخي بني فهر.

وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد (٣٧)، باب (١٥)، ح٢٣٢٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح واللفظ للترمذي. =

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»(٢).

وأوصى رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - بالزهد في الدنيا فقال: «كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»(٣). والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

* **من أقوال الصحابة وغيرهم في الزهد:**

كتب عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - إلى أبي موسى - رضي الله عنه -: (أنك لم تنل عمل الآخرة بشيء أفضل من الزهد في الدنيا، وإياك ومذاق الأخلاق ودناءتها)(٤).

وقال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -: (ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل)(٥).

---

(١) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري»: (١١/ ...، ح٦٤١٥)، كتاب الرقاق (٨١)، باب (٢)، عن سهل بن سعد - رضي الله عنه -.

(٢) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الزهد والرقائق (٥٣)، ح٢٩٥٦/١، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٣) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب (٣)، ح٦٤١٦.

(٤) «الزهد» للإمام أحمد: (ص١٥٢)، ومذاق الأخلاق، أي: اختلاط محمودها بمذموها.

(٥) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: (١١/ ...) كتاب الرقاق (٨١)، باب (٤) معلقًا. =

وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك)[1].

وقال الحسن البصري: (الزهد في الدنيا أن تبغض أهلها وتبغض ما فيها)[2].

وقال سفيان الثوري: (الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء)[3].

وقال الفضيل بن عياض: (الزهد: هو القناعة)[4].

وقال عبد الله بن المبارك: (الزهد: هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر)[5].

وقال أبو سليمان الداراني: (الزهد: ترك ما يشغل عن الله سبحانه وتعالى)[6].

وقال الفضيل بن عياض: (جعل الله الشر كله في بيت، وجعل مفتاحه حب الدنيا، وجعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد)[7].

---

(١) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب (٣) معلقًا.

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٢٩).

(٣) انظر: السابق: (١/ ٣٢٦).

(٤) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (١/ ٢٥٢ ـ ٢٦٧).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٢٨).

(٦) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٢١٢).

(٧) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (١/ ٢٥٨)، و«الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٣٢).

## * الزهد للعامة والخاصة :

ذهب أبو العباس بن العريف إل أن الزهد للعوام، فقال في الزهد: (هو للعوام أيضًا؛ لأنه حبس النفس عن الملذوذات وإمساكها عن فضول الشهوات ومخالفة دواعي الهوى وترك ما لا يغني من الأشياء، وهذا نقص في طريق الخاصة؛ لأنه تعظيم للدنيا واحتباس عن انتقادها، وتعذيب للظاهر بتركها مع تعلق الباطن بها)[(١)].

أقول: وهذا الكلام فيه نظر، فإن أزهد الناس في الدنيا هو رسول الله ﷺ، وقد قال: «ما لي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[(٢)].

فلم يكن رسول الله ﷺ ولا أصحابه يعظمون الدنيا لا في الظاهر ولا في الباطن، وكان من دعائه ﷺ: «اللهم ارزق آل محمد قوتًا»[(٣)].

فرسول الله ﷺ قدوة الزاهدين في الدنيا، فمن كان زاهدًا فليقتد به، وقد قال عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ: (ما أبعد هديكم من هدي نبيكم، أما هو فكان أزهد الناس في الدنيا، وأنتم أرغب الناس فيها)[(٤)].

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ لأصحابه: (أنتم أكثر صلاة وصومًا وجهادًا من أصحاب محمد ﷺ، وهم كانوا خيرًا منكم. قالوا:

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٢٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد (٣٧)، باب (٤٤)، ح٢٣٧٠، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب (١٧)، ح٦٤٦٠، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٤/ ٢٠٣).

وكيف ذلك؟ قال: كانوا أزهد منكم في الدنيا، وأرغب منكم في الآخرة)[1].

وإذا كان هذا حال رسول الله ﷺ وأصحابه فكيف يكون الزهد للعوام؟ وكيف يكون نقصًا في حق الخاصة؟ وهل الكمال للعبد إلا بالزهد في الدنيا؟

* **الزهد أربعة أقسام:**

١ ـ الزهد في الحرام بتركه، وهو واجب على كل مسلم، وهو زهد العوام.

٢ ـ الزهد في الشبهة، وهو ترك ما يشتبه على العبد هل هو حلال أو حرام؟ وهو زهد الورعين، ويسمى زهد السلامة.

٣ ـ الزهد في الفضول من المباح، وهو ما يفضل عن قدرة الحاجة من الطعام والشراب واللباس ونحو ذلك، وهو زهد الخواص.

٤ ـ زهد العبد فيما يشغله عن الله تبارك وتعالى، وهو زهد العارفين[2].

كما قال الشبلي لما سئل عن الزهد، قال: أن تزهد فيما سوى الله تعالى[3].

وقال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

ترك الحرام، وهو زهد العوام. والثاني: ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص. والثالث: ترك ما يشغل عن الله ـ تعالى ـ وهو زهد العارفين[4].

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص٢٨٤).

(٢) انظر الكلام على هذه الأقسام في «قوت القلوب»: (١/ ٢٦٥ ـ ٢٦٨)، و«مدارج السالكين» لابن القيم: (٢/ ١٥ ـ ٢٠)، و«طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٣٢٢).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٢٨).

(٤) المصدر السابق: (١/ ٣٣١).

أقول: وهذا النوع من الزهد وهو الزهد فيما يشغل عن الله مجمل يحتاج إلى تفصيل فإن الصوفية قد يريدون به نسيان المخلوقات وعدم شهودها أو إنكار وجودها وكلاهما ليس بصحيح وإن كان يرجع إلى واحد من الثلاثة فهو حق.

قلت: وليس الزهد في الدنيا بفراغ اليد من المال، بل الزهد في القلب، وذلك بأن لا يكون القلب متعلقًا بحب الدنيا، بل يكون تعلقه بالله وبطاعته سواء كان يملك شيئًا من متاع الدنيا أم لا، فإن الزهد قد يكون مع الغنى، وقد يكون مع الفقر، ففي الأنبياء والسابقين الأولين ممن هو زاهد مع غناه الكثير، كداود وسليمان عليهما السلام. ونبينا ﷺ كان أجود بالخير من الريح المرسلة كما ثبت ذلك في «صحيح مسلم»[1]، وكان لا يرد سائلاً، وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لو كان لي مثل أُحد ذهبًا ما يسرني أن لا تمر عليَّ ثلاث ليال وعندي منه شيء إلا شيئًا أرصده لدين»[2].

وكان أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنهم ـ من الزهاد، مع أنهم من أغنياء الصحابة[3].

وقال أبو مسلم الخولاني: (ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، إنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يدي الله أوثق مما

---

(١) ثبت ذلك في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الفضائل (٤٢)، باب (١٢)، ح٢٣٠٨/ ٥٠، عن ابن عباس ـ رضي الله عنه.

(٢) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب (١٤)، ح٦٤٤٥، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم: (٢/ ١٢ ـ ١٣).

**في** يديك، وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها منها **لو بقيت لك)**[(١)].

وأفضل الزهد ما كان على هدي وخلق رسول الله ﷺ، كما ثبت **في** «صحيح مسلم» أنه كان يقول: «خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[(٢)].

وقد أنكر رسول الله ﷺ على بعض الصحابة زهدهم في النكاح والنوم واللحم وذلك حتى ينقطعوا إلى عبادة الله. كما روى أنس ـ رضي الله عنه ـ أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السر؟ فقال بعضهم: لا أتزوج النساء. وقال بعضهم: لا آكل اللحم. وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(٣)].

وليس من الزهد المشروع التبتل لما ثبت في «صحيح مسلم» عن سعد ابن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد»: (ص٢٥)، وأخرجه الترمذي مرفوعًا عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد (٣٧)، باب (٢٩)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعمرو بن واقد منكر الحديث. وقال ابن رجب في كتابه «جامع العلوم والحكم» (ص٢٧٤): الصحيح وقفه، كما رواه الإمام أحمد في كتاب «الزهد».

(٢) هذا جزء من حديث في «صحيح مسلم»: ج٢، كتاب الجمعة (٧)، باب (١٣)، ح٨٦٧/ ٤٣، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في «صحيح مسلم»: ج٢، كتاب النكاح (١٦)، باب (١)، ح١٤٠١/ ٥، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

مظعون التبتل، ولو أذن له لاختصينا[١].

فالزهد المشروع: هو ترك فضول المباحات التي لا تعين على طاعة الله ـ تبارك وتعالى ـ من مطعم وملبس ومال وغير ذلك كما قال الإمام أحمد: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس وأنها أيام قلائل[٢]. وهذا هو الزهد المشروع في الظاهر.

أما الزهد الباطن فهو ثقة القلب بالله مع عدم تعلقه بالدنيا، وأما الزهد فيما ينفع في الدار الآخرة وما يستعان به على ذلك، فالزهد فيه ليس من الدين. والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) في «صحيح مسلم»: ج٢، كتاب النكاح (١٦)، ٥/١٤٠٢، باب (١).
والتبتل: هو ترك لذات الدنيا وشهواتها، والانقطاع إلى الله تعالى بالتفرغ لعبادته.
انظر: «تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم»: (٢/ ١٠٢٠).

(٢) انظر: «كتاب الورع» للإمام أحمد: (ص٤٨ ـ ٤٩).

# التوكل

* **تعريفه:**

التوكل لغة: إظهار العجز والاعتماد على الغير[1]. واصطلاحًا: التوكل اعتماد القلب على الوكيل وحده، وذلك لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال، فيكون التفويض فيما لا وسع فيه ولا طاقة[2]. وقيل: هو اعتماد القلب على الله وثقته به وأنه كافيه[3]. قلت: ولابد مع ذلك من فعل الأسباب المشروعة والمباحة.

* **التوكل في الكتاب والسنة:**

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتوكل عليه في مواضع من كتابه - عز وجل - كقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[6]، وقال لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾[7]، وقال له: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[8].

---

(١) انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٧٣٤).
(٢) انظر: «تلبيس إبليس»: (ص٢٢٨).
(٣) انظر: «معارج القبول» للحافظ أحمد حكمي: (١/ ٤٠٥).
(٤) سورة المائدة، الآية: ٢٣.
(٥) سورة إبراهيم، الآية: ١١.
(٦) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٧) سورة النمل، الآية: ٧٩.
(٨) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

وفي الحديث الصحيح: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»(١)، وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إلٰه إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما يُرْزَقُ الطير تغدو خماصاً وتروح بطانًا»(٣).

* **التوكل للعامة والخاصة:**

والتوكل من أعمال القلوب، مثل محبة الله والإخلاص له، قال الإمام أحمد: (التوكل عمل القلب)(٤) اهـ. وهو من المقامات المأمور بها العامة والخاصة على السواء، وذلك خلافًا لما يتوهمه البعض من تخصيص هذه المقامات للعامة وحدهم كما ذهب صاحب «منازل السائرين» إلى جعل التوكل من مقامات العامة حين قال: (التوكل كِلَة الأمر إلى مالكه والتعويل

---

(١) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (٩٤)، ح٣٧٢/٢١٨، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب» قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «هم الذي لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون».

(٢) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٨)، ح٢٧١٧/٦٨، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بلفظه.

(٣) في «سنن الترمذي»: ج٤، كتاب الزهد (٣٧)، ح٢٣٤٤، باب في التوكل على الله (٣٣)، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بلفظه، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) انظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٣٢٩)، و«مدارج السالكين»: (٢/ ١١٤).

على وكالته وهو من أصعب منازل العامة عليهم، وأوهى السبل عند الخاصة)[1] وأخذ ذلك عنه أبو العباس بن العريف فقال: (التوكل هو للعوام أيضًا)[2] اهـ.

وحقيقة التوكل عند من يرى أنه من مقامات العامة دون الخاصة: (أن التوكل مناضلة عن النفس في طلب القوت. والخاص لا يناضل عن نفسه. وقالوا: المتوكل يطلب بتوكله أمرًا من الأمور والعارف يشهد الأمور مفروغًا منها فلا يطلب شيئًا)[3] اهـ.

قلت: وجعل التوكل من مقامات العامة باطل بل الخاصة أحوج إليه من العادات وتوكل الخواص أعظم من توكل العوام وهو من أفضل السبل عند الخاصة وأعظمها فقد أمر الله رسوله بذلك ومن أسمائه ﷺ «المتوكل»[4]، وتوكله أعظم توكل وأمر به المؤمنين وقد تقدمت الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

وأما قولهم: (أن التوكل مناضلة عن النفس في طلب القوت، والخاص لا يناضل عن نفسه)[5] فإن التوكل في المسائل الدينية أعظم من التوكل الذي لا يطلب به إلا حظوظ الدنيا والتوكل أعم من التوكل في

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم: (٢/ ١٢٦).

(٢) انظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٣٢٥).

(٣) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ١٨).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب التفسير (٦٥)، باب (٣)، ح٤٨٣٨، عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ـ رضي الله عنه ـ حديثًا فيه: «أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل».

(٥) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ١٨).

مصالح الدنيا، فإن المتوكل يتوكل على الله في صلاح قلبه ودينه وحفظ لسانه، وإرادته وهذا أهم الأمور إليه، ولهذا يناجي ربه في كل صلاة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

فجمع بين العبادة والتوكل، وهما يجمعان الدين كله.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة)[2] انتهى.

والذي ظن أن التوكل من مقامات العامة (ظن أن التوكل لا يطلب به إلا حظوظ الدنيا وهو غلط بل التوكل في الأمور الدينية أعظم)[3].

والتوكل من أمور الدين، التي لا تتم الواجبات والمستحبات إلا بها، والله سبحانه أمر رسوله والمؤمنين بالتوكل وحضهم عليه، فالله يحبه ويرضاه ويأمر به (وما كان محبوبًا لله مرضيًا له مأمور به دائمًا، لا يكون من فعل المقتصدين دون المقربين)[4].

وأما قولهم: (أن الأمور قد فرغ منها) فهذا من جنس قول القائل في الدعاء: (أنه لا حاجة إليه لأن المطلوب إن كان مقدرًا فلا حاجة إليه وإن لم يكن مقدرًا لم ينفع الدعاء)[5]. وهو نظير قول القائل: (التوكل والدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع به مضرة وإنما هو عبادة محضة، وأن حقيقة

---

(١) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ١٨).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم: (٢/ ١١٣).

(٣) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٢٠).

(٤) المصدر السابق: (١٠/ ٢١).

(٥) المصدر السابق: (١٠/ ٢١ ـ ٢٢).

التوكل بمنزلة التفريض المحض)[1] وهذا أيضًا نظير قول من قال: (أن الدعاء إنما هو علامة محضة)[1].

وهذه الأقوال باطلة شرعًا وعقلاً ويجمعها أصل واحد: (وهو أن هؤلاء ظنوا، أن كون الأمور مقدرة يمنع أن تتوقف على أسباب مقدرة أيضًا، تكون مع العبد، ولم يعلموا أن الله سبحانه يقدر الأمور ويقضيها، بالأسباب التي جعلها معلقة بها، من أفعال العباد وغير أفعالهم، ولهذا كان طرد قولهم يوجب تعطيل الأعمال بالكلية)[1].

وقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية على الأمر بالسعي والعمل، أخذًا بالأسباب، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[4].

وقد سئل رسول الله ﷺ عن هذا، فأجاب عنه كما أخرج البخاري في «صحيحه» عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «نعم». قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «كل يعمل لما خلق أو لما ييسر له»[5].

---

(١) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٢٢).

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٥.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٥) أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب القدر (٨٢)، باب حق العلم... (٢)، ح٦٥٩٦، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

وفي «صحيح البخاري» عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، إلا قد كتبت شقية أو سعيدة. فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل. فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة. وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة. ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1].

وقد جاء في ذلك أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ دلت على (أن تقدم العلم والكتاب بالسعيد والشقي، لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالأعمال الصالحة وشقاوة هذا بالأعمال السيئة)[2]، وأن كون الأمور مقدرة لا ينفي ارتباطها بالأسباب المعلقة بها من أفعال العباد وغير أفعالهم فهو سبحانه (فرغ من الأشياء وقدرها بأسبابها المفضية إليها. فكما أن المسببات من قدره الذي فرغ منه فأسبابها أيضًا من قدره الذي فرغ منه، فتقديره المقادير بأسبابها لا ينافي القيام بتلك الأسباب، بل يتوقف حصولها عليها)[3].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب التفسير (٦٥)، باب (٣)، ح٤٩٤٨، عن علي ـ رضي الله عنه ـ بلفظه والآيات من سورة الليل: ٥ ـ ١٠.

(٢) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٢٣).

(٣) «طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٣٣٧).

وقد روى أن النبي ﷺ سئل فقيل: يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «هي من قدر الله»[(١)]. مع أن الله سبحانه كما قدَّر خلق الأشياء بأسباب معتادة، قادر على خلقها بأسباب أخرى غير معتادة، كما خلق آدم أبو البشر عليه السلام من غير أبوين، وكما خلق عيسى بن مريم عليه السلام من غير أب.

وقد غلط بعض مشايخ الصوفية في ترك ما أمروا به من فعل الأسباب التي هي عبادة: (فيسترسل أحدهم مع القدر غير محقق لما أمر به ونهى عنه، ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل والجرى مع الحقيقة القدرية)[(٢)] وذلك لأنهم جعلوا نصب أعينهم قول القائل: (ينبغي للعبد أن يكون مع الله كالميت بين يدي الغاسل بقلبه كيف يشاء لا يكون له حركة ولا تدبير)[(٣)] فأدى بهم هذا إلى ترك المأمور وفعل المحظور، فسووا بين ما فرق الله بينه، بين أولياء الله وأعداء الله وبين الأبرار والفجار والمؤمنين والكفار وبين ما أمر به ونهى عنه وما أحبه ورضيه وبين ما كرهه وأبغضه.

(ولكثرة الغلط في هذا الأصل نهى رسول الله ﷺ عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذي ينفع العبد)[(٤)] فقد روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله

---

(١) «سنن الترمذي»: ج٤، كتاب الطب (٢٩)، ح٢٠٦٥، باب ما جاء في الرقى والأدوية (٢١)، عن أبي خزامة عن أبيه. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٢٨).

(٣) «الرسالة القشيرية»: (١/ ٤١٦).

(٤) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣١).

ولا تعجزن وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان»[1].

فأمر النبي ﷺ المؤمن بأن يحرص على الذي ينفعه، وأن يستعين بالله، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالتوكل الصحيح؛ هو الطريق الوسط بين قسمين:

القسم الأول: ينظرون إلى جانب الأمر والنهي، مع الإقرار لله تعالى بالألوهية، ولا ينظرون إلى جانب القضاء والتوكل. وهم مع حسن نيتهم وقصدهم يغلب عليهم الضعف والخذلان؛ لتركهم التوكل على الله الذي هو من أسباب القوة، ولهذا قال بعض السلف: (من سره أن يكون أقوى الناس، فليتوكل على الله)[2].

أما القسم الثاني: فهم على خلاف القسم الأول، يشهدون ربوبية الله والافتقار إليه، والتوكل عليه دون التفرقة بين الأمر والنهي، وبين ما يحبه الله ويبغضه، وهذا حال كثير من الفقراء الصوفية الذين يعطلون الأمر والنهي، يسترسلون معن الحقيقة القدرية غير ناظرين إلى الحقيقة الأمرية الدينية، التي هي محبته ومرضاته وأمره ونهيه في الظاهر والباطن (ومن لم يقف عند أمره ونهيه فليس من المتقين)[3]. وهو مشابه للمشركين الذين حرموا ما لم يحرمه الله والذين شرعوا ما لم يشرعه الله.

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، باب (٨)، ح٢٦٦٤/ ٣٤، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٢) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٣)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص٤٠٩)، هو حديث عن ابن عباس مرفوعًا ولم أجده عن غيره مرفوعًا.

(٣) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٤).

والقسم المحمود: أهل الطريق الوسط بين حال الفريقين في القسمين السابقين، وهم الذين يشهدون أن الله إلٰههم ومعبودهم، واستعانوا به على طاعته في أمره ونهيه، وبذلك حققوا قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾.

وهناك قسم رابع: وهم الذين أعرضوا عن عبادة الله واستعانته فهؤلاء عاصين لله ورسوله بل خارجين عن حقيقة الإيمان ولهذا قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع)[1].

* **والناس في التوكل على درجات:**

١ - توكل العامة: وهو (من كان توكله على الله، ودعاؤه له)[2] في حصول المباحات.

٢ - توكل الخاصة: (وهو ما كان في حصول مستحبات وواجبات)[2].

٣ - وهو (من دعاؤه وتوكله عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه[2].

٤ - ومن أعرض عن عبادته، والتوكل عليه (فهو عاص لله ورسوله، بل خارج عن حقيقة الإيمان)[2].

وبهذا يتبين غلط من ظن التوكل من مقامات العامة، بل هو من أعلى المقامات وأشرف أحوال المقربين، فقد جعل الله المتوكل حبيبه فقال - عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين»: (٤/ ٢٢٥)، و«طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٣٣٢)، و«شرح العقيدة الطحاوية»: (ص٤٥٧)، و«السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٥).

(٢) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٦).

* **وحقيقة التوكل :**

هو صدق اعتماد القلب على الله ـ عز وجل ـ في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلت الأمور كلها إليه[1].

وتحقيق التوكل لا ينافي تعاطي الأسباب، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب، كما أمر بالتوكل فالسعي في تحقيق الأسباب بالجوارح عبادة لله إذا خلصت النية.

والتوكل على الله بالقلب إيمانٌ به، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[4].

* * *

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص٤٠٩).
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٣) سورة النساء، الآية: ٧١.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

# التقـوى

## * تعريف التقوى :

في اللغة: وَقاهُ: صَانَهْ. والوَقَايَةُ: ما وَقَيْتَ به، واتقيتُ الشيءَ: حَذِرْتُه، والاسم التقوى: أصله تَقيا، تاؤه بدل من الياء؛ لأنه من وقيت. وقَلَبُوه للفرق بين الاسم والصفة كَخَزْيا وَصَدْيا، وقوله عز وجل: ﴿هو أهل التقوى﴾، أي: أهل أن يتقى عقابُه[1].

وتقوى الله: اسم يجمع فعل كل ما أمر الله به إيجابًا واستحبابًا، وما نهى عنه تحريمًا وتنزيهًا. وهذا يجمع حقوق الله وحقوق العباد[2].

فتقوى الله هي الدين كله. وتقوى العبد، هي أن يجعل بينه وبين ما يضره وقاية تقيه منه. فالتقوى هي الاحتماء عما يضره بفعل ما ينفعه، فإن ترك الضار يستلزم النافع.

والتقوى: أن يعمل الرجل بطاعة على نور من الله يرجو رحمته، وأن يترك معصيته على نور من الله يخاف عذابه[3].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (٤/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤)، و«مختار الصحاح» للرازي: (ص٧٣٣)، والآية من سورة المدثر: ٥٦.

(٢) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٦٥٨ ـ ٦٥٩)، و«دليل الفالحين»: (١/ ٣٠٨).

(٣) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ١٤٤ ـ ٤٣٣)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص١٤٩).

(٤) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

* **التقوى في الكتاب :**

ذكرت التقوى في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، مرة يأمر الله بها كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾(1)، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾(2).

ومرة يمدح الله أهلها ويثني عليهم، كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(3).

وفي آيات بين الله صفات المتقين، كقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(4).

ووصفهم الله في موضع آخر من كتابه بأنهم يحسنون إلى الخلق بالإنفاق، وكظم الغيظ، والعفو عنهم، واحتمال الأذى، وأنهم يتوبون إلى الله ويستغفرونه من ذنوبهم وأنهم يتذكرون، قال تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(5).

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: ٧٠.

(2) سورة البقرة، الآية: ٢٠٣.

(3) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

(4) سورة البقرة، الآيات: ٢ ـ ٥.

(5) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٣ ـ ١٣٥.

وهذا يدل على أن المتقين تقع منهم الذنوب الكبائر والصغائر، لكنهم لا يصرون عليها، بل يذكرون الله عقب وقوعها، ويستغفرون الله ويتوبون إليه، منها كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾[1].

والتقوى في القرآن تارة تضاف إلى اسم الله جل وعلا، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2]. والمعنى عند إضافتها إليه سبحانه وتعالى: اتقوا سخطه وغضبه، وهو أعظم ما يتقى. وتارة تضاف التقوى إلى عقاب الله وإلى مكانه كالنار، أو إلى زمان وقوعه كيوم القيامة[3]. والمعنى: الحذر منه بفعل طاعته تعالى، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾[6].

وكذلك وردت التقوى في السنة مرة تضاف إلى الله عز وجل، ومرة إلى عقابه، ومرة إلى المعاصي، كقوله ﷺ: «اتقوا الظلم»[7]، أو إلى ما يؤدي إلى ذلك من حب الدنيا والنساء كقوله ﷺ: «فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»[8]. وسيأتي الكلام عن التقوى في السنة النبوية إن شاء الله.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.
(٢) سورة الحشر، الآية: ١٨.
(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص١٤٨ ـ ١٤٩).
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٣.
(٧) سيأتي تخريجه.
(٨) هذا جزء من حديث في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (٢٦)، =

* **معنى تقوى الله حق تقاته :**

لقد أمر الله عباده المؤمنين بأن يتقوه حق تقاته، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[١].

قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: هو أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر[٢].

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو أن لا يعصى الله طرفة عين[٣].

وروي عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: لا يتقي العبد الله حق تقاته حتى يخزن لسانه[٤].

واختلف في هذه الآية فذهب سعيد بن جبير وقتادة وغيرهما إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[٥]. وذهب ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إلى أنها محكمة ولم تنسخ، ولكن ﴿حق تقاته﴾ أن يجاهدوا في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط، ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم[٦].

---

= ح٢٧٤٢/٩٩، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) أخرجه الحاكم في «مستدركه» مرفوعًا، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال: الأظهر أنه موقوف والله أعلم. ورجح ابن كثير أنه موقوف بإسناد صحيح، وكذلك ابن رجب. انظر: «تفسير ابن كثير»: (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨)، و«جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص١٤٩ ـ ١٥٠).

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٤/ ١٥٧).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير»: (١/ ٣٨٨).

(٥) سورة التغابن، الآية: ١٦.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (٤/ ١٥٧ ـ ١٥٨)، و(١٨/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، و«تفسير ابن جرير الطبري»: (٤/ ٣/ ١٩ ـ ٢٠)، و«تفسير ابن كثير»: (١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨). =

فيكون قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ بيان لقوله تعالى: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾. والمعنى: فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم. ورجح هذا القرطبي فقال: (وهذا أصوب؛ لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع والجمع ممكن فهو أولى)[1].

* **الخصال التي ينالها العبد بالتقوى (أو فوائد التقوى):**

في آيات كثيرة من كتاب الله بين الله الخصال التي ينالها العبد بتقوى الله ـ عز وجل ـ نلخصها، فيما يأتي:

١ ـ الحفظ من الأعداء، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[2].

٢ ـ التأييد والنصر، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[4].

٣ ـ النجاة من الشدائد والرزق من حيث لا يحتسب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[5].

٤ ـ قبول العمل، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[6].

٥ ـ أن يكون من أكرم الناس عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[7].

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٤/ ١٥٧).
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٩٤.
(٥) سورة الطلاق، الآيتان: ٢ ـ ٣.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٧) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

٦ ـ النجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾[2].

٧ ـ أن الله أعد له الجنة، قال تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].

٨ ـ أن الله يحبه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[4].

٩ ـ انتفاء الخوف والحزن عنه والبشارة له في الدنيا والآخرة والفوز العظيم، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[5]، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[6].

١٠ ـ أن له الجنات تجري من تحتها الأنهار، وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[9]، ...............

(١) سورة مريم، الآية: ٧١ ـ ٧٢.
(٢) سورة الليل، الآية: ١٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٧.
(٥) سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٣٥.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٩٨.
(٨) سورة الذاريات، الآية: ١٥.
(٩) سورة القمر، الآية: ٥٤ ـ ٥٥.

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(1).

١١ - أن الله يجعل له فرقانًا يفرق به بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾(2).

١٢ - أن الله ييسر أمره، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾(3).

١٣ - أن الله يكفر عنه سيئاته، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾(4)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾(5).

١٤ - أن التقوى من أسباب الفوز، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾(6)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾(7).

١٥ - أنه ينال العلم بالتقوى، فالتقوى طريق العلم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(8).

١٦ - التقوى سبب للفلاح، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(9).

---

(1) سورة آل عمران، الآية: ١٥.
(2) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(3) سورة الطلاق، الآية: ٤.
(4) سورة الطلاق، الآية: ٥.
(5) سورة المائدة، الآية: ٦٥.
(6) سورة النور، الآية: ٥٢.
(7) سورة النبأ، الآية: ٣١.
(8) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(9) سورة آل عمران، الآية: ١٣٠.

١٧ ـ التقوى خير الزاد، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾[١].

١٨ ـ التقوى خير لباس، قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٢]. فبين أن التقوى خير لباس. كما قال الشاعر:

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى   تقلب عريانًا وإن كان كاسيا
وخير لباس المرء طاعة ربه   ولا خير فيمن كان لله عاصيا[٣]

واختلف المفسرون في معناه، فقيل: هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة، وقيل: لباس التقوى الإيمان، وقيل: هو العمل الصالح، وقيل: هو خشية الله، وقيل: هو استشعار تقوى الله تعالى فيما أمر به ونهى عنه[٤].

١٩ ـ أن العاقبة لها وأهلها، قال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٦].

٢٠ ـ أن يكون من أولياء الله، قال تعالى: ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٧].

٢١ ـ أن الله وعده جنة الخلد، قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا﴾[٨].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.
(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٧/ ١٨٤). والبيتان للإمام الشافعي.
(٤) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٢٠٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٧/ ١٨٤ـ١٨٥).
(٥) سورة طه، الآية: ١٣٢.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٢٨.
(٧) سورة الأنفال، الآية: ٣٤.
(٨) سورة الفرقان، الآية: ١٥.

٢٢ ـ أن الله وليه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1].

٢٣ ـ أنها سبب لنيل البركات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

### * التقوى في السنة:

ثبت في السنة النبوية في أحاديث صحيحة الأمر بتقوى الله عز وجل، منها: ما رواه النعمان بن بشير ـ رضي الله عنه ـ قال: تصدق عليَّ أبي ببعض ماله، فقالت أمي ـ عمرة بنت رواحة ـ: لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فانطلق أبي إلى النبي ﷺ: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟»، فقال: لا، قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم»[3].

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح[4]، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[5].

وعن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه ثلاث مرات، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الهبات (٢٤)، ح١٦٢٣/ ٩، بلفظه.

(٤) الشح: هو البخل مع الحرص. انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٣٣١)، وانظر: «تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم»: (٢/ ١٩٩٦).

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة (٤٥)، باب (١٥)، ح٢٥٧٨/ ٥٦، بلفظه.

تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة»[1].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «تقوى الله وحسن الخلق»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: «الفم والفرج»[2].

وعن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي»[3].

فهذه الأحاديث النبوية تدل على أمر الرسول ﷺ بالتقوى، وأنها تارة تضاف إلى اسم الله - عز وجل -، وتارة إلى عقابه كالنار وتارة إلى ما يؤدي إلى عقابه كالظلم. وقد بيَّن رسول الله ﷺ فضل التقوى وأنها أكثر الأعمال الصالحة التي بسببها يدخل كثير من الناس الجنة.

*** من أقوال الصحابة وغيرهم في التقوى:**

سأل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أُبيًّا عن التقوى فقال: هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ قال: نعم، قال: فما عملت فيه؟ قال: تشمرت وحذرت، قال: فذاك التقوى[4].

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله - رضي الله عنهما -: أما بعد، فإني

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب (٢٠)، ح١٠١٦/٦٨، بلفظه.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب البر والصلة (٢٨)، باب (٦٢)، ح٢٠٠٤، بلفظه. وقال: هذا حديث صحيح غريب.

(٣) الخفي ومعناه: الخامل المنقطع إلى العبادة والاشتغال بأمور نفسه. انظر: «تعليق محمد فؤاد عبد الباقي على صحيح مسلم»: (٤/ ٢٢٧٧). والحديث في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الزهد والرقائق (٥٣)، ح٢٩٦٥/ ١١، بلفظه.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ١٦٢).

أوصيك بتقوى الله ـ عز وجل ـ فإنه من اتقاه وقاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك[١].

وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر[٢]. وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا يكون حجابًا بينه وبين الحرام. فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه قال الله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ فلا تحقرن شيئًا من الشر أن تتقيه ولا شيئًا من الخير أن تفعله[٣]. وقال سهل بن عبد الله ـ رحمه الله تعالىٰ ـ: من أراد أن تصح له التقوى فليترك الذنوب كلها[٤].

وهذه الأقوال تدل على اهتمام القوم بالتقوى وسؤالهم عنها، وحرصهم على التواصي والعمل بها. نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا من المتقين إنه على كل شيء قدير.

* **التقوى وصية الله ورسوله :**

التقوى جماع الخير كله، وهي وصية الله وصى بها الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ﴾[٥].

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب: (ص١٥١).
(٢) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (١)، ذكره البخاري معلقًا.
(٣) انظر: «الزهد» لابن المبارك» في زيادة نعيم بن حماد: (ص١٩).
(٤) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٠٧).
(٥) سورة النساء، الآية: ١٣١.

قال بعض العارفين: هذه الآية رحى آي القرآن، لأنه جميعه يدور عليها[1]. وهي وصية رسول الله ﷺ لأبي ذر ومعاذ بن جبل - رضي الله عنهما - حيث قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[2].

فهذه الوصية جامعة لحق الله - عز وجل - وحق عباده، وهي أنفع الوصايا لمن عقلها واتبعها فعمل بها.

* **التقوى من عمل القلب :**

أعمال الجوارح الظاهرة تابعة لأعمال القلب الباطنة، فالأعمال الظاهرة إنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله وحبه وخشيته ومراقبته.

فالتقوى من عمل القلب، وهو محلها، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

فمن الكتاب؛ قوله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[3]، حيث: (أضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى في القلب)[4]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾[5]، أي: أخلصها للتقوى[6].

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٥/ ٤٠٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سورة الحج، الآية: ٣٢.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٢/ ٥٦).

(٥) سورة الحجرات، الآية: ٣.

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٦/ ٣٠٨).

والدليل من السنة على أن التقوى في القلب، ما أخرج مسلم ـ رضي الله عنه ـ في «صحيحه» قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا. المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، التقوى هٰهنا» ويشير إلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[١].

ومما يدل على أن التقوى في القلب الحديث القدسي المشهور عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ وهو حديث طويل وقد جاء فيه قوله تعالى: «. . . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا . . .»[٢] الحديث. فقد أضاف التقوى إلى محلها وهو القلب.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لم يتكلم عن التقوى في كتابه هذا وهي من أهم أعمال القلوب، فكل الأعمال القلبية ترجع إليها، فإنها الدين كله وهي جماع الخيرات ولهذا تكلمنا عليها في هذه الدراسة باختصار. والله أعلم.

* * *

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة (٤٥)، باب (١٠)، ح٢٥٦٤/ ٣٢، بلفظه.

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة (٤٥)، باب (١٥)، ح٢٥٧٧/ ٥٥، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ.

# الرضــــا

* **تعريفه :**

الرضا: سرور القلب بمر القضاء[1].

والرضا من صفات الله الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع، قال تعالى: ﴿ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[7]. وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير، وكلها تدل على رضى الله عن المؤمنين ورضاهم عنه.

وثبت في «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها»[8].

---

(١) انظر: «التعريفات» للجرجاني: (ص١١٦).
(٢) سورة المائدة، الآية: ١١٩.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٤) سورة طه، الآية: ١٠٩.
(٥) سورة الفتح، الآية: ١٨.
(٦) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٧) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٨) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الدعاء والذكر (٤٨)، باب (٢٤)، ح٢٧٣٤/ ٨٩، عن أنس بلفظه.

وقد أجمع سلف الأمة ـ رحمهم الله تعالى ـ على إثبات الرضى لله تعالى فيجب إثباته له من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهو رضا حقيقي يليق بالله تعالى ليس كرضا المخلوقين[١].

ونحن في هذا المقام بصدد البحث في رضا الناس الذي هو من أعمال القلوب وبيان منزلته وأنواعه وحكمه ومحله وما يتعلق به فنقول وبالله التوفيق:

*** منزلة الرضا وفضله:**

تتبين منزلة الرضا وفضله من قول رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد رسولاً»[٢].

وقال ﷺ: «من سعادة ابن آدم استخارة الله عز وجل، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى الله عز وجل»[٣].

فالرضا بالقضاء من أسباب السعادة، والتسخط على القضاء من أسباب الشقاوة، وقال ﷺ: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا»[٤].

---

(١) انظر: «شرح لمعة الاعتقاد» لابن عثيمين: (ص٣٠).

(٢) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (١١)، ح٣٤/٥٦، عن العباس بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (١/١٦٨)، عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ بلفظه. وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٣، كتاب القدر (٣٠)، باب (١٥)، ح٣٣٤٢، عن سعد بن أبي وقاص بلفظ مقارب، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث أبي محمد وهو أبو إبراهيم المديني فليس هو بالقوي عند أهل الحديث.

(٤) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، باب (٤٣)، ح١٣٠٣، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

والنبي ﷺ سأل الله الرضى بالقضاء فقال في حديث طويل: «أسألك الرضا بعد القضاء»(١).

* **أنواع الرضا ثلاثة:**

**النوع الأول**: الرضا بفعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه، وهو الرضا بالقضاء الديني الشرعي، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾(٥)، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾(٦) فهذا الرضا واجب وعدم الرضا له من صفات المنافقين الذين ذمهم الله في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾(٧).

---

(١) أخرجه النسائي: (٢/ ٥٤ ـ ٥٥)، في السهو: باب نوع آخر من الدعاء عن عمار بن ياسر ـ رضي الله عنه ـ، وصححه الحاكم: (١/ ٥٢٤)، ووافقه الذهبي.
وأخرجه الإمام أحمد في «المسند»: (٤/ ٢٦٤)، عن عمار ـ رضي الله عنه ـ.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٦٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٩.
(٥) سورة محمد، الآية: ٢٨.
(٦) سورة التوبة، الآية: ٥٤.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٥٨.

**النوع الثاني**: الرضا بما يفعله الرب بعبده من المصائب التي يبتليه بها، كالفقر والمرض وهو الرضا بالقضاء الكوني القدري، قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا ﴾(٣)، وقال رسول الله ﷺ لابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا»(٤).

وقد تنازع العلماء في الرضا بالقضاء الكوني القدري هل هو واجب أم مستحب؟

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية أنه مستحب وليس بواجب، وأن الواجب هو الصبر، قال ـ رحمه الله تعالى ـ: (ولهذا لم يجيء في القرآن إلا مدح الراضين لا إيجاب ذلك»(٥).

وقال: (وأما ما يروى من الأثر: «من لم يصبر على بلائي، ولم

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٤.

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» في: (١/ ١/ ٣١٤)، بلفظ مقارب.

وأخرج الإمام أحمد في «مسنده»: (١/ ٣٠٧) حديث ابن عباس الذي فيه «احفظ الله يحفظك ... إلخ»، وفيه: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا»، وذكره الإمام ابن تيمية بلفظه هذا في كتابه «الاستقامة»: (٢/ ٧٤ ـ ٧٥)، وذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب»: (٢/ ٣٨ ـ ٣٩)، بلفظ نحوه.

(٥) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٤١).

يرضا بقضائي فليتخذ ربًا سوائي» فهذا أثر إسرائيل، ليس يصح عن النبي ﷺ[1].

وقال عمر بن عبد العزيز: (الرضا قليل ولكن الصبر معول المؤمن)[2].

قلت: وبهذا يتبين أن الرضا بالقضاء الكوني القدري مستحب وليس بواجب على الراجح.

**النوع الثالث**: الرضا بالمنهيات كالكفر والفسوق والعصيان، فالذي عليه أئمة الدين والعلماء المعتبرون أنه لا يشرع الرضا بها، كما لا تشرع محبتها، وأنها حرام يعاقب عليها. فإن الله سبحانه وتعالى لا يرضاها ولا يحبها، وإن كان قد قدرها وقضاها كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[5]، بل يسخطها كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾[8] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[9].

---

(١) «مدارج السالكين»: (٢/ ١٧١).
(٢) «الزهد» للإمام أحمد: (ص٣٥٧).
(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.
(٥) سورة النساء، الآية: ١٠٨.
(٦) سورة محمد، الآية: ٢٨.
(٧) سورة التوبة، الآية: ٩٦.
(٨) سورة المائدة، الآية: ٨٠.
(٩) سورة الزخرف، الآية: ٥٥.

فإذا كان الله ـ عز وجل ـ لا يرضى لهم ما عملوه من الكفر والفسوق والعصيان بل يسخطه لهم، ويغضب عليهم ويعذبهم، فكيف يشرع للمؤمن أن يرضى بذلك وأن لا يسخط ويغضب لما يسخط الله ويغضبه؟!

وذهبت طائفة إلى أن المنهيات من الكفر والفسوق والعصيان ترضى من جهة كونها مضافة إلى الله خلقًا وتسخط من جهة كونها مضافة إلى العبد فعلاً وكسبًا. وهذا القول لا ينافي الذي قبله بل هما يعودان إلى أصل واحد، وهو أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ إنما قدر الأشياء لحكمة، فهي باعتبار تلك الحكمة تكون محبوبة مرضية، وقد تكون في نفسها مكروهة مسخوطة؛ إذ الشيء الواحد يمكن أن يجتمع فيه وصفان يحب من أحدهما ويكره من الآخر[1]. كما جاء في الحديث الصحيح: «ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه»[2].

* **وقد ضل في الرضا بالمنهيات طائفتان من الناس:**

**ـ الطائفة الأولى:**

قوم من أهل الكلام المنتسبين إلى السنة في مناظرة قدرية، حيث ظنوا أن محبة الله ورضاه وغضبه وسخطه يرجع إلى إرادته سبحانه وتعالى، وقد علموا أنه مريد لجميع المخلوقات خلافًا للقدرية. وقالوا: هو أيضًا محب لها مريد لها، ثم أخذوا يحرفون الكلم عن مواضعه. فقالوا: لا يحب

---

(١) انظر: «الاستقامة»: (٢/ ٧٥ ـ ٧٦).

(٢) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب التواضع (٣٨)، ح٦٥٠٢، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

الفساد، بمعنى لا يريد الفساد، أي: لا يريده للمؤمنين، ولا يرضى لعباده الكفر، بمعنى لا يريده، أي: لا يريده للمؤمنين، وهذا خطأ عظيم.

فإن هذا عندهم بمنزلة أن يقال: لا يحب الإيمان، ولا يرضى لعباده الإيمان بمعنى لا يريده للكافرين ولا يرضاه للكافرين.

**- الطائفة الثانية:**

من غالطي المتصوفة شربوا من هذه العين، فشهدوا أن الله رب جميع المخلوقات وعلموا أنه قدر كل شيء وشاءه، وظنوا أنهم لا يكونون راضين حتى يرضوا بكل ما يقدره الله ويقضيه من الكفر والفسوق والعصيان. وهذا أدى بهم إلى عدم التفريق بين المأمور والمحظور، فيجعلون الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، والمتقين كالفجار، والمجرمين كالمسلمين[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والمؤمن إنما فارق الكفر بالإيمان بالله ورسله، وبتصديقهم فيما أخبروا وطاعتهم فيما أمروا، واتباع ما يرضاه الله ويحبه دون ما يقضيه ويقدره من الكفر والفسوق والعصيان، ولكن يرضى بما أصابه من المصائب، لا بما فعله من المعايب فهو من الذنوب يستغفر وعلى المصائب يصبر)[(٢)] اهـ.

*** محل الرضا:**

يكون الرضا بعد وقوع القضاء، ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول في دعائه في الصلاة: «اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء»[(٣)].

---

(١) انظر: «الاستقامة» لابن تيمية: (٢/ ٧٦ - ٧٩).

(٢) انظر: المصدر السابق: (٢/ ٧٩).

(٣) سبق تخريجه في (ص٢١٠).

وقد سؤل أبو عثمان[1] عن قول النبي ﷺ: «أسألك الرضا بعد القضاء» فقال: لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا، والرضا بعد القضاء هو الرضا[2].

والعزم قد يدوم وقد ينفسخ وما أكثر انفساخ عزائم الناس كما يذكر عن سمنون المحب أنه كان يقول:

وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فامتحني

فأخذه العسر من ساعته، أي: حصر بوله، فكان يدور على المكاتب ويفرق الجوز على الصبيان، ويقول: (ادعوا لعمكم الكذاب)[3].

وكذلك أخرج مسلم في «صحيحه» عن أنس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت، فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟» فقال: نعم، كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله لا تطيقه ـ أو لا تستطيعه ـ أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟». قال: فدعا الله له فشفاه[4].

---

(١) هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن منصور الحيري النيسابوري، وأصله من الري، ثم انتقل إلى نيسابور وأقام بها حتى توفي سنة ٢٩٨هـ. من كلامه: من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة قال تعالى: ﴿وإن تطيعوه تهدوا﴾ سورة النور: (٥٤). انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ١٢٠ ـ ١٢١)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٤/ ٨٥ ـ ٨٨).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٤٢٥).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ١٣٣)، و«حلية الأولياء»: (١٠/ ٣١٠).

(٤) «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (٧)، ح٢٦٨٨/ ٢٣، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

ولهذا نهي المرء أن يعرض نفسه للبلاء بأن يوجب على نفسه شيئًا لم يوجبه الشارع عليه إما بعزم أو نذر، ونحو ذلك فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وعن تمني لقاء العدو[1]. وغالب من يفعل ذلك يبتلى بنقض العهود، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾[2]. وبهذا يتبين أن الرضا حقًّا يكون بعد القضاء وأما قبله فهو عزم على الرضا قد يدوم هذا العزم وقد ينفسخ.

### * البكاء على الميت هل ينافي الرضا؟

البكاء على الميت لا ينافي الرضا إذا كان على وجه الرحمة للميت، بل هو مستحب بخلاف البكاء على الميت لفوات حظه منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي ﷺ لما بكى على الميت، وقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[3].

فبكاء النبي ﷺ على الميت ليس كبكاء من يبكي جزعًا وفزعًا من القضاء أو لفوات حظه وإنما بكاؤه ﷺ رحمة بالميت. وقد روى أن الفضيل بن عياض ضحك لما مات ابنه «علي» فقيل له في ذلك فقال: (إن الله عز وجل أحب أمرًا فأحببت ما أحب الله)[4].

---

(١) تقدم الكلام في ذلك في (ص١٦٢).

(٢) سورة التوبة، الآيات: ٧٥ ـ ٧٨.

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الجنائز (١١)، باب (٦)، ح٩٢٣/ ١١، عن أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية: (١/ ٦٤)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (٤/ ٨/ ١٠٠).

وهذه منه حسنة بالنسبة إلى حال أهل الجزع. وحال النبي ﷺ أفضل وأكمل لأن قلبة ﷺ اتسع للرضا عن الله والبكاء رحمة للصبي. والفضيل لم يتسع قلبه للرضا والرحمة معاً[١].

*** بعض أقوال الصحابة وغيرهم في الرضا:**

كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنهما ـ: (أما بعد: فإن الخير كله في الرضا فإن استطعت وإلا فاصبر)[٢].

وقال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: (ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء)[٣].

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: (إذا قضى الله قضاء أحب أن يرضى بقضائه)[٤].

وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (ما أبالي إذا رجعت إلى أهلي على أي حال أراهم بسراء أم بضراء وما أصبحت على حال فتمنيت سواها)[٥].

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: (ذروة الإيمان أربع خلال: الصبر للحكم، والرضا بالقدر، والإخلاص للتوكل، والاستسلام للرب)[٦].

---

(١) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٤٧)، و«مدارج السالكين»: (٢/ ٢٠٩).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٤٢٧).

(٣) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (٢/ ٤٠).

(٤) انظر: «الزهد» لابن المبارك فيما زاده نعيم بن حماد على المروزي: (ص٣٢).

(٥) انظر: المصدر السابق: (ص٣٢).

(٦) انظر: «الزهد» لابن المبارك فيما زادة نعيم بن حماد: (ص٣١).

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أصبحت ومالي سرور إلا في انتظار مواقع القدر)[1].

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبشر الحافي: (الرضا أفضل من الزهد في الدنيا؛ لأن الراضي لا يتمنى فوق منزلته)[2]. وبهذا انتهى الكلام عن الرضا، ولله الحمد والمنة والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (٢/ ٤٠).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٤٢٥).

# الحــزن

## * تعريف الحزن :

الحَزَنُ لغة : ضد السرور، وقيل : الحُزْنُ ـ بالضم ويحرك ـ : الهم[1].

## * الحزن في الكتاب والسنة :

ذكر الحزن في القرآن كثيرًا منهيًّا عنه أو منفيًّا، وليس الحزن من خلق الرسول ﷺ (فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع، وإن تعلق الأمر بالدين)[2]، قال تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3]، وقال تعالى : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[4]، ونهى رسول الله ﷺ صاحبه أبا بكر عن الحزن كما في قوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[5].

ونهى الله ورسوله عن الحزن؛ (لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة، فلا فائدة فيه وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به)[6].

ولأن الحزن (لا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان، أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره ويوقفه عن سلوكه)[7]، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[8].

---

(1) «مختار الصحاح» للرازي : (ص١٣٤)، و«القاموس المحيط» : (٤/ ٢١٥).
(2) «السلوك» لابن تيمية : (١٠/ ١٦).
(3) سورة آل عمران، الآية : ١٣٩.
(4) سورة النحل، الآية : ١٢٧.
(5) سورة التوبة، الآية : ٤٠.
(6) «السلوك» لابن تيمية : (١٠/ ١٦).
(7) «مدارج السالكين» لابن القيم : (١/ ٥٠٦).
(8) سورة المجادلة، الآية : ١٠.

وقد تعوذ النبي ﷺ من الحزن فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن»[١].

* **ليس الحزن من منازل السائرين إلى الله:**

وقد غلط من جعل الحزن من منازل السائرين إلى الله، كالهروي في كتابه «منازل السائرين» قال: (ومن منازل ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ منزلة الحزن)[٢]. وكذلك أبو القاسم القشيري حيث بوب للحزن في رسالته وقال: (والحزن من أوصاف أهل السلوك)[٣]. وهذا خلاف ما دل عليه الكتاب والسنة.

وأما ما روى: «أن الله يحب كل قلب حزين»[٤] فالحزن مصيبة من المصائب، التي يبتلي الله بها عبده، فإذا ابتلى به العبد فصبر عليه، أحب صبره على بلائه[٤].

وأما الأثر الآخر: «إذا أحب الله عبدًا نصب في قلبه نائحه، وإذا أبغض عبدًا جعل في قلبه مزمارًا»[٥] فأثر إسرائيلي لا يحتج به، وإن كان له معنى صحيح؛ فإن المؤمن حزين على ذنوبه، والفاجر لاهٍ لاعب، مترنم فرح)[٦].

---

(١) ورد هذا في حديث طويل أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٦، كتاب الجهاد (٥٦)، باب (٧٤)، ح٢٨٩٣، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) «مدارج السالكين»: (١/ ٥٠٥).

(٣) «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٦٨).

(٤) انظر: «مدارج السالكين»: (١/ ٥٠٧).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩).

(٦) انظر: «مدارج السالكين»: (١/ ٥٠٧).

ولا يأثم صاحب الحزن إذا لم يقترن بحزنه محرم، كمن يحزن على المصائب لقول النبي ﷺ: «إن الله لا يؤاخذ بدمع العين ولا يحزن القلب، ولكن يؤاخذ على هذا ويرحم، وأشار بيده إلى لسانه»(١)، وقال ﷺ: «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا»(٢)، فيعفى عن الحزن (إذا لم يقترن به ما يكرهه الله)(٣). أما إذا كان الحزن على وجه التسخط للقضاء فهو منافٍ للرضا، وهذا منهي عنه.

وقد يثاب على الحزن إذا اقترن به ما يحمد عليه (كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عمومًا)(٤) فيثاب لما في قلبه من حب الخير وبغض الشر لا من جهة الحزن، ولقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله به من سيئاته»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، باب البكاء عند المريض (٤٤)، ح١٣٠٤، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، ح١٣٠٣، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٣) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٤٦).

(٤) المصدر السابق: (١٠/ ١٧).

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة والآداب (٤٥)، باب (١٤)، ح٢٥٧٣/ ٥٢، عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة بلفظه.
وصب، الوصب: الوجع اللازم ومنه قوله تعالى: ﴿وله عذاب واصب﴾ [الصافات: ٩]، أي: لازم ثابت. «مختار الصحاح» للرازي: (ص٧٢٤).
ولا نصب: النصب التعب. «مختار الصحاح» للرازي: (ص٦٦١). يهمه، أي: يغمه. =

وقد غلط أبو القاسم القشيري في رسالته حين قال: (وروي أن رسول الله ﷺ كان متواصل الأحزان دائم الفكر)[١]. فإن حديث هند بن أبي هالة[٢] في صفة النبي ﷺ: (أنه كان متواصل الأحزان) حديث لا يثبت وفي إسناده من لا يعرف[٣]. بل قد نهاه الله عن الحزن، كما أنه كان يتعوذ بالله من الحزن وقد تقدم ذلك، وكان ﷺ دائم البشر يبش في وجوه أصحابه. وأما قوله تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ﴾[٤] فهو إخبار عن حاله بمصابه بفقد ولده وحبيبه، وأنه ابتلاه بذلك.

والحزن من المصائب التي تصيب الناس في الدنيا، مؤمنهم وكافرهم، ولذلك يقول أهل الجنة إذا دخلوها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾[٥]، وينهى عن الحزن: (إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد، وجلب منفعة ودفع مضرة)[٦].

ويكون الحزن مذمومًا إذا (أفضى إلى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله به ورسوله)[٧]. والله أعلم.

---

(١) «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٦٩).

(٢) هو هند بن أبي هالة واسم أبي هالة النباش بن زرارة، ويقال: زرارة بن النباش التميمي. ويقال: مالك بن نباش بن زرارة، وفي حديثه من لا يعرف. وقال ابن عبد البر: كان هند فصيحًا بليغًا وصف حلية النبي ﷺ فأحسن وأمعن. قتل هند مع علي في وقعة الجمل وقال أبو حاتم الرازي: روى عنه قوم مجهولون فما ذنب «هند» حتى أدخله البخاري في الضعفاء؟ انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١١/ ٧٢ ـ ٧٣).

(٣) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم: (١/ ٥٠٧).

(٤) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٣٤.

(٦) «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ١٧).

(٧) المصدر السابق: نفسه.

# الرجـــاء

* **تعريف الرجاء :**

الرجاء بالمد في اللغة : من الأمل ضد اليأس[١] . يقال : فعلت رجاء كذا ورجاء كذا ، بمعنى : طمعي فيه وأملي[٢] . وقد يكون الرجاء بمعنى الخوف ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾[٣] ، أي : ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أحدكم بالعقوبة[٤] .

والرجا ـ بالقصر ـ : ناحية البئر وحافتاها وكل ناحية رجا[٥] .

وحقيقة الرجاء : تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل[٦] . وقيل : هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده[٧] . وقيل : هو استشراف القلب لنيل ما يرجوه[٨] .

والفرق بين الرجاء والتمني ، أن التمني يصاحبه الكسل ، فليس معه جد ولا اجتهاد . والرجاء يصاحبه الجد والاجتهاد بفعل الأسباب ، فالرجاء الحقيقي لا يصح إلا مع العمل[٩] . ورجاء العبد لربه تبارك وتعالى : هو طمعه في رحمته ومغفرته ، مع فعل الأسباب المشروعة .

---

(١) انظر : «القاموس المحيط» : (٤/ ٣٣٤) ، و«مختار الصحاح» للرازي : (ص٢٣٦) .
(٢) انظر : «غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب» للسفاريني : (١/ ٤٠١) .
(٣) سورة نوح ، الآية : ١٣ .
(٤) انظر : «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي : (١٨/ ٣٠٣) .
(٥) انظر : «القاموس المحيط» : (٤/ ٣٣٤) ، و«مختار الصحاح» : (ص٢٣٧) .
(٦) انظر : «الرسالة القشيرية» : (١/ ٣٥٦) ، و«التعريفات» للجرجاني : (ص١١٤) .
(٧) انظر : «إحياء علوم الدين» : (٤/ ١٣٣) .
(٨) انظر : «مدارج السالكين» : (٢/ ٤٧) .
(٩) انظر : «الرسالة القشيرية» : (١/ ٣٥٦) ، و«إحياء علوم الدين» : (٤/ ١٣٣) .

* **ذكر الرجاء في الكتاب والسنة :**

ثبت في الكتاب والسنة أن رجاء العبد لربه تعالى من العبادات القلبية التي لا تصرف إلا لله وحده لا شريك له. فمن يرجو من مخلوق كما يرجو من الله؛ فيما لا يقدر عليه إلا الله كغفران الذنوب وهداية القلوب، أو إنزال المطر أو حصول الولد، أو نحو ذلك فقد أشرك مع الله غيره، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾(1).

فالرجاء من عبودية القلب التي لا تصلح إلا لله تعالى، وهو أحد محركات القلوب إلى الله تعالى، التي هي: المحبة، والرجاء، والخوف.

وقد مدح الله المؤمنين بأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾(2)، ومعنى يرجون رحمة الله، أي: يطمعون فيها، والطمع في الشيء هو الحرص عليه(3).

وقال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾(4).

ومدح الله القراء العاملين بأنهم يرجون ثوابًا عند الله لابد من حصوله(5)، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(1) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(2) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.

(3) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٣/ ٥٠)، وانظر: «القاموس المحيط»: (٣/ ٦٢).

(4) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(5) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٤/ ٣٤٥)، و«تفسير ابن كثير»: (٣/ ٥٥٤).

﴿وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

وأخبر الله تبارك وتعالى أن المؤمنين يرجون من الله المثوبة والنصر والتأييد، وأن الذين لا يؤمنون بالله تعالى لا يرجون شيئًا[2]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[3].

فالكافرون لا يرجون الله عز وجل ولا يخافون البعث والحساب ولا يرجون الثواب لأنهم لا يؤمنون بذلك[4]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾[7]، أي: لا يخافون بأس الله وعظمته وهم المنافقون[8]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾[9]، أي: لا يخافون محاسبة على أعمالهم[10]. وجاء الرجاء في هذه الآيات بمعنى الخوف.

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩ ـ ٣٠.
(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (٥/ ٣٧٤)، و«تفسير ابن كثير»: (١/ ٥٥٠).
(٣) سورة النساء، الآية: ١٠٤.
(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (٨/ ٣١٨)، و(١٣/ ١٩ ـ ٣٤).
(٥) سورة يونس، الآية: ١٥.
(٦) سورة الفرقان، الآية: ٢١.
(٧) سورة الجاثية، الآية: ١٤.
(٨) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٦/ ١٦١).
(٩) سورة النبأ، الآية: ٢٧.
(١٠) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٩/ ١٦١).

وقد توعد الله ـ جل وعلا ـ الذين لا يرجون لقاءه بالنار، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[1].

وأما الذين يرجون لقاء الله عز وجل حقًّا، فهم الذين يعملون الصالحات، ولا يشركون بعبادة ربهم أحدًا، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾[2]، ومن كان يخاف هذا اللقاء ويؤمل الثواب من الله فليعمل صالحًا فإنه لابد أن يأتيه، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[3].

وأرجى آية في كتاب الله تبارك وتعالى قوله تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4]، قال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: هذه أرجى آية في القرآن[5]. وقال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أرجى آية في كتاب الله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ﴾[6]. والرجاء يستلزم الخوف ولولا ذلك لكان أمنًا، والخوف يستلزم الرجاء ولولا ذلك لكان قنوطًا ويأسًا، وليس الخوف ضد الرجاء بل رفيق له، فالرجاء قائد والخوف سائق.

(١) سورة يونس، الآيتان: ٧ ـ ٨.
(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٥.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٣.
(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٥/ ٢٦٩).
(٦) سورة الرعد، الآية: ٦، وانظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (٩/ ٢٨٥).

وقد مدح الله أهل الخوف والرجاء بقوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[2].

قال أبو علي الروذباري رحمه الله: (الخوف والرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت)[3].

وقال أبو عثمان المغربي: (من حمل نفسه على الرجاء تعطل، ومن حمل نفسه على الخوف قنط، ولكن من هذه مرة ومن هذه مرة)[4].

فلابد للعبد من الخوف والرجاء، والخوف والرجاء يستلزمان محبة الله تعالى (فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه، والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب)[5].

قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴾[6].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٢) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٥٧).

وأبو علي أحمد بن محمد الروذباري: من أهل بغداد، أقام بمصر ومات بها سنة ٣٢٢هـ، كان الجنيد أستاذه في التصوف. انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ١٦٢).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٥٨).

وأبو عثمان سعيد بن سلام المغربي من كبار الصوفية مات بنيسابور سنة ٣٧٣هـ.

انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ١٩١ ـ ١٩٢).

(٥) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٦١).

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

وقد جاء في السنة النبوية أحاديث تدل على فضل الرجاء وحسن الظن بالله تعالى، وأن رحمة الله واسعة وأنها تغلب غضبه، وأنه لن يدخل الجنة أحد بعمله.

ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعًا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المسلم بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار»(١).

ورحمة الله تبارك وتعالى تغلب غضبه، قال النبي ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابٍ فهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي»(٢).

ولن يدخل الجنة أحد بعمله، قال رسول الله ﷺ: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يُدخلُ أحدًا الجنةَ عملُه قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة»(٣).

وجاء في السنة الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، وهو أن يظن العبد أن الله يرحمه ويعفو عنه. ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ

---

(١) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق، (٨١)، باب (١٩)، ح٦٤٦٩.

(٢) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب التوبة (٤٩)، باب (٤)، ح٢٧٥١/ ١٤، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب (١٨)، ح٦٤٦٧، عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ.

قبل موته بثلاثة أيام قال: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل»(١). وفي هذا الحديث التحذير من القنوط واليأس من رحمة الله، وحث على الرجاء عند الخاتمة بل على العبد أن يظن بالله الظن الحسن، فإن الله عند ظن عبده فيه كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي فيَّ وأنا معه إذا دعاني»(٢).

* **من أقوال الصحابة وغيرهم في الرجاء:**

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: (لا يرجوَن عبد إلا ربه ولا يخافن إلا ذنبه)(٣). وقال أيضًا ـ رضي الله عنه ـ: (إنما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ـ تعالى ـ ولا يؤمنهم مكر الله تعالى)(٤).

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: (ليغفرن الله عز وجل يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر)(٥). وروى أن لقمان قال لابنه: يا بني ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله مخافة لا تيأس فيها من رحمته، قال: وكيف أستطيع ذلك يا أبه وإنما لي قلب واحد؟ قال: يا بني إن المؤمن كذي قلبين، قلب يرجو به وقلب يخاف به(٦).

---

(١) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الجنة (٥١)، باب (١٩)، ح٢٨٧٧/ ٨٢، عن جابر ابن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد (٣٧)، باب (٥١)، ح٢٣٨٨، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) انظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٣٦٨).

(٤) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (١/ ٢٢٢).

(٥) انظر: «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة المقدسي: (ص٣٠٢).

(٦) انظر: «الزهد» لابن المبارك: (ص٣١٨).

وهذه الآثار تدل على أن الرجاء عبادة لله تعالى، لا تصلح إلا له تبارك وتعالى وأن الرجاء المحمود هو الذي لا يأمن العبد فيه مكر الله تعالى وأن الرجاء المذموم هو الذي يؤدي بالعبد إلى الأمان من عذاب الله. فيدفع بصاحبه إلى التمادي في الباطل فلابد للعبد من الخوف والرجاء وهما وصفان يقومان بقلب العبد عبودية لله تعالى.

* **الرجاء للعامة والخاصة:**

رجاء العبد لربه ـ تعالى ـ من أجلِّ أنواع العبادات القلبية، وهو أحد محركات القلب إلى الله ـ تعالى ـ، وهو القائد له على الطريق إلى الله، فهو من أجلِّ المنازل وأشرفها للرسل فمن دونهم، ورجاؤهم له تبارك وتعالى، وهو طمعهم في رحمته ومغفرته وجعل صاحب منازل السائرين الرجاء من منازل العوام حيث قال: (الرجاء أضعف منازل المريدين)[١]، وهذا الكلام ليس بصحيح، وقد قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ تعقيبًا على هذا الكلام: (فأما قوله: والرجاء أضعف منازل المريدين) فليس كذلك، بل هو من أجل منازلهم وأعلاها وأشرفها وعليه وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله)[٢] اهـ.

قلت: فإن الرجاء من أشرف المنازل وأنفعها للقلب، حتى لا يقع به اليأس والقنوط من رحمة الله، فهذا قول إمام الحنفاء خليل الرحمن كما حكاه الله تعالى عنه في كتابه: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾[٣]، أي:

---

(١) انظر: «مدارج السالكين»: (٢/ ٣٧).

(٢) انظر: «مدارج السالكين»: (٢/ ٤١).

(٣) سورة الشعراء، الآية: ٨٢.

أرجو[1]. فقد علق عَلَيْهِ السَّلَامُ رجاءه وطمعه بمغفرة الله له، وأثنى الله تعالى على بعض أنبيائه، فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[2].

وقد مدح الله تعالى خواص خلقه وأعلمهم به، أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[3].

وقال تعالى يمدح أهل الرجاء ويثني عليهم: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[5].

وفي الحديث أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله يا رسول الله، إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه، وأمنه مما يخاف»[6].

فالرجاء من أعلى المنازل للأنبياء والمرسلين فمن دونهم. وروى أن الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ قال لابنه عند الموت: اذكر لي الأخبار التي

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٣/ ١١١).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٦) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٣، كتاب الجنائز (٨)، باب (١١)، ح٩٨٣، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

فيها الرجاء وحسن الظن[١]. فلولا أن الرجاء وحسن الظن بالله تعالى من أجل المنازل وأرفعها ما سأله العلماء في آخر العمر.

فيتبين من هذه الأدلة من الكتاب والسنة أن الرجاء من أعلى المنازل وأشرفها للعبد. قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: (فالرجاء ضروري للعبد فإنه دائر بين ذنب يرجو غفرانه وعيب يرجو إصلاحه، وعمل صالح يرجو قبوله، واستقامة يرجو حصولها ودوامها وقرب من الله ومنزلة عنده يرجو وصولها ولا ينفك أحد من السالكين عن هذه الأمور أو بعضها فكيف يكون الرجاء من أضعف منازله وهذا حاله)[٢] اهـ.

وشيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ لم يتكلم في كتابه هذا الذي نحن بصدد دراسته عن الخوف والرجاء، مع أنهما من أهم أعمال القلوب التي تعبدنا الله بها، وقد أشار إليهما إشارة في كلامه عن المحبة لله تعالى، حيث بين أن الرجاء والخوف يستلزمان محبة الله تعالى، فتكلمت عن الرجاء بهذا الاختصار وسيأتي بعده الكلام على الخوف. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (١/ ٢١٩).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم: (٢/ ٤٣) بتصرف.

# الخوف والخشية

* **تعريفهما :**

الخوف في اللغة: الفزع والهم(١).

و(خَشِيَ) بالكسر (خَشْيَةً) خاف، وهذا المكان (أَخْشَى) من ذاك، أي: أخوف(٢).

والخوف والخشية، والوجل والرهبة ألفاظ متقاربة.

فالخوف: عبارة عن تألم القلب بسبب توقع المكروه في المستقبل(٣).

والخشية: أخص من الخوف، فهي خوف مقرون بمعرفة(٤). وهي للعلماء كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(٥). وذلك (لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر)(٦).

وأما الرهبة: فهي مأخوذة من الرهب، وهو الخوف مع الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (٣/ ١٤٤)، و«مختار الصحاح» للرازي: (ص١٩٣).

(٢) انظر: «القاموس المحيط»: (٤/ ٣٢٦)، و«مختار الصحاح»: (ص١٧٦).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٤٢ ـ ٣٤٣)، و«إحياء علوم الدين»: (٤/ ١٤٥)، و«مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة: (ص٣٠٢).

(٤) انظر: «مدارج السالكين»: (١/ ٥١٢).

(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٥٥٣).

فيه[1]، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[2].

وأما الوجل: فهو الخوف مع رجفان القلب لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته أو لرؤيته[3]، كما حكى الله تعالى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾[4]، أي: فزعون خائفون[5]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[6]، أي: خافت[7].

والخوف والخشية من الله ـ تعالى ـ هو أن يخاف العبد أن يعاقبه الله ـ تعالى ـ إما في الدنيا أو الآخرة بسبب ترك مأمور أو فعل محظور. ولهذا قيل: الخوف سوط الله يقوم به الشاردين عن بابه[8].

والخوف المحمود: هو ما حجزك عن محارم الله[9].

والخوف المذموم: هو ما أدى بالعبد إلى اليأس والقنوط من رحمة الله.

---

(١) انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٢٥٩)، و«مدارج السالكين» لابن القيم: (١/ ٥١٢).

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٣) انظر: «القاموس المحيط»: (٤/ ٦٥)، و«مختار الصحاح»: (ص٧١١)، و«مدارج السالكين»: (١/ ٥١٣).

(٤) سورة الحجر، الآية: ٥٢.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٠/ ٣٥).

(٦) سورة الحج، الآية: ٣٥.

(٧) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٢/ ٥٩).

(٨) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٤٤).

(٩) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم: (١/ ٥١٤).

* **الخوف والخشية في الكتاب والسنة :**

ذكر الخوف والخشية في القرآن والسنة النبوية في مواضع كثيرة، ففي القرآن العظيم فرض الله الخوف والخشية منه على جميع المكلفين، فقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[2]، أي: خافون[3].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[5].

ومدح الله عز وجل الخائفين فقال: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾[7].

وقد جعل الله أهل الخوف والخشية من أولي الألباب، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴾[8].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٠.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ٣٣٢).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٠.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

(٦) سورة النور، الآيات: ٣٦ ـ ٣٨.

(٧) سورة السجدة، الآية: ١٦.

(٨) سورة الرعد، الآيات: ١٩ ـ ٢١.

ووعد الله الخائفين منه بالنصر وبالتمكين لهم في الأرض في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾[1].

وجمع الله لأهل الخوف الهدى والرحمة في قوله تعالى: ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[2].

ووعد الله أهل الخشية والخوف بالمغفرة والأجر الكبير والجنات والرضوان، في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾[6].

وأمر الله جل وعلا نبيه محمد ﷺ أن يخص الخائفين بالإنذار بالقرآن فقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[8].

---

(١) سورة إبراهيم، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٤.

(٣) سورة الملك، الآية: ١٢.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

(٥) سورة النازعات، الآيتان: ٤٠ ـ ٤١.

(٦) سورة البينة، الآية: ٨.

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٥١.

(٨) سورة ق، الآية: ٤٥.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: قالوا يا رسول الله، لو خوفتنا فنزلت ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ والوعيد: العذاب. والوعد: الثواب[1].

وكان قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: اللهم اجعلنا ممن يخافون وعيدك ويرجون وعدك[1].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾[2].

وخصهم الله بالإنذار وإن كان لجميع المكلفين؛ لأنهم الذين ينتفعون به، قال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾[3]، فلا تنفع الموعظة من لم يكن في قلبه مخافة الله.

وبيَّن الله تعالى في الكتاب العزيز أنه لا يجوز للعبد أن يخاف من الله أن يظلمه، فإن الله لا يظلم الناس شيئًا، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[4]، والظلم: الزيادة في السيئات، والهضم: النقص من الحسنات[5].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[6]، قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «لا يخاف أن ينقص من حسناته، ولا يزاد في سيئاته، لأن البخس: النقص، والرهق: العدوان وغشيان المحارم»[7].

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٧/ ٢٨ ـ ٢٩).
(٢) سورة يس، الآية: ١١.
(٣) سورة الأعلى، الآية: ١٠.
(٤) سورة طه، الآية: ١١٢.
(٥) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ١٦٦).
(٦) سورة الجن، الآية: ١٣.
(٧) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٩/ ١٦ ـ ١٧).

وضمن الله تعالى لمن اتبع هداه بأن لا يخاف ولا يحزن، فلا يخاف مما بين يديه في الآخرة ولا يحزن على ما فاته من الدنيا[١]، قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢].

وأخبر الله عز وجل أن من الحجارة ما يهبط من خشية الله ـ تعالى ـ، وأنه لو أنزل القرآن على جبل لتصدع من خشيته ـ سبحانه وتعالى ـ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[٤].

قال مجاهد: ما تردى حجر من رأس جبل، ولا تفجر نهر من حجر، ولا خرج منه ماء إلا من خشية الله، نزل بذلك القرآن الكريم[٥].

فإذا كانت الجبال والحجارة تخشى الله ـ عز وجل ـ، فالأولى بالعبد الذي تحمل الأمانة، بعد أن عرضها الله على السماوات والأرض، فأبين أن تحملنها وأشفقن منها، وحملها هذا العبد الضعيف أن يكون أخشى وأخوف لله تعالى من كل شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[٦]، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ٣٢٩).
(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٢١.
(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ٤٦٥).
(٦) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

وقد جاء في السنة النبوية ما بين فضل الخوف والخشية لله تعالى وما أعد لمن يخافه ويخشاه من النعيم والكرامة.

فثبت في «صحيح مسلم» وغيره عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، قال: «أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا مت فاحرقوني ثم اسحقوني، ثم ذروني في الريح في البحر، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا، قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدى ما أخذت فإذا هو قائم. فقال له: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: خشيتك يا رب ـ أو قال: ـ مخافتك، فغفر له بذلك»[1].

وجاء في حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قوله ﷺ: «... ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله»[2].

أقول: فبسبب خوفه من الله ترك ما حرم الله عليه فأظله الله بظله يوم لا ظل إلا ظله جل وعلا.

وفي حديث جبريل المشهور: «قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ فقال: أن تخشى الله كأنك تراه فإنك إن لا تكن تراه فإنه يراك»[3].

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب التوبة (٤٩)، باب (٤)، ح٢٧٥٧/ ٢٤.

(٢) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الآذان (١٠)، باب (٣٦)، ح٦٦٠، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.
وأخرجه مسلم في «صحيحه»: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب (٣٠)، ح١٠٣١/ ٩١، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ واللفظ لمسلم.

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (١)، ح٩/ ٧، وهذا جزء من حديث جبريل المشهور برواية أبي هريرة.

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم»(١). والأحاديث في هذا الباب كثيرة نكتفي منها بما أوردناه.

ويتبين لنا من الآيات والأحاديث السابقة أنّ الله أوجب الخوف والخشية منه تعالى على كل أحد من المكلفين، والخوف والخشية من أعمال القلوب، وهي من لازم الإيمان وشرطه، ودليل على صحته قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٣)، فالخوف والخشية من أنواع العبادة القلبية التي يجب صرفها لله وحده لا شريك له، وصرفها لغير الله شرك.

فالخوف والخشية من عبودية القلب التي لا تصلح إلا لله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾(٤)، فقرنها الله ـ عز وجل ـ بالإيمان والصلاة والزكاة.

أما الخوف والخشية الطبيعية كالخوف من عدو أو سبع أو هدم أو غرق، فهذا ليس من العبادة في شيء؛ لأنه خوف طبيعي، كالذي ذكره الله عن موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾(٥)، وكقول

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب فضائل الجهاد (٢٣)، باب (٨)، ح١٦٣٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٣.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٨.

(٥) سورة القصص، الآية: ٢١.

=

إبراهيم الخليل عليه السلام لما رأى أيدي الملائكة لا تصل إلى الطعام للأكل منه فقال: ﴿إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾[(١)]، أي: خائفون.

والخوف والخشية من محركات القلوب إلى الله ـ تعالى ـ، بهما تستقيم القلوب وتصلح، ولا تكون الخشية والخوف إلا عن سابق علم ومعرفة، وشعور بالمكروه المحذور وقوعه، ولا بد أن يكون مع هذا الخوف رجاء حتى لا يؤدي الخوف إلى اليأس من رحمة الله ـ تعالى ـ.

فالخوف مستلزم للرجاء، قال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[(٣)]، فلابد للعبد من الخوف والرجاء، يخاف عقاب الله ويرجو ثوابه، ولهذا قال مطرّف بن الشخير رحمه الله: لو وزن رجاء المؤمن وخوفه ما رجح أحدهما صاحبه[(٤)].

وقال أبو سليمان الداراني: ينبغي للقلب أن لا يكون الغالب عليه إلا الخوف فإنه إذا غلب الرجاء على القلب فسد القلب[(٥)].

---

= وانظر الكلام عن الخوف الطبيعي في «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»: (ص٤٢٨).

(١) سورة الحجر، الآية: ٥٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٦.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص٢٩٣).
وهو مطرّف بن عبد الله الشخير العامري أبو عبد الله، من أهل العبادة والزهد والتقشف، مات سنة سبع وستين.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٨٨).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٤٩). وانظر ترجمة الداراني في (ص٤٩٨).

والخوف ليس مقصودًا لذاته، بل هو مقصود لغيره، ولهذا فإنه يزول بضده وهو الأمن، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾(١) فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وقد أخرج ابن المبارك في «الزهد» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، قال: «يقول الله عز وجل: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، إذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة»(٢).

فالخوف ضد الأمن، فيزول الخوف بوجوده، قال تعالى: ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾(٣). فإذا حل خوف الله في قلب العبد كان دليلاً على الإيمان، وإذا رحل الخوف من القلب حل الأمان من العذاب، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٤).

فالخوف إذا فارق القلب فسد كما قال أبو سليمان الداراني: (ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب)(٥). اللهم اجعلنا ممن يخافك ويخشاك ولا يأمن مكرك.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٩.

(٢) انظر: «الزهد» لابن المبارك: (ص٥١)، وقال المحدث الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي في تخريجه لهذا الحديث في نفس الكتاب والصفحة: أخرجه البزار بهذا الإسناد عن محمد بن يحيى بن ميمون ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث قاله الهيثمي: (١٠/٣٠٨). انتهى كلامه.

(٣) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٤) سورة الأعراف، الآيات: ٩٧ ـ ٩٩.

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/٣٤٧).

* **من أقوال الصحابة وغيرهم في الخوف والخشية :**

قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ: والله لوددت أني كنت شجرة تؤكل وتعضد[1].

وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: وددت أني أنجو لا أجر ولا وزر[2].

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: إن أخوف ما أخاف إذا لقيت ربي تبارك وتعالى أن يقول لي: قد علمت فماذا عملت فيما علمت[3].

وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: كفى بخشية الله تعالى علمًا وبالاغترار جهلاً[4].

وقال كعب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو أن رجلاً كان له مثل عمل سبعين نبيًّا لخشي أن لا ينجو من شر يوم القيامة[5].

وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيته بينك وبين معصيته، فتلك الخشية[6].

وقال مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما العالم من خشي الله عز وجل[7].

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الذي يهيج من الخوف حتى يسكن في القلب دوام المراقبة في السر والعلانية[8].

---

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص١٣٩).

(٢) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص١٥٤).

(٣) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص١٧٠).

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٤/ ٢٤٣)، و«الزهد» للإمام أحمد: (ص١٩٧).

(٥) انظر: «الزهد» لابن المبارك: (ص٥١).

(٦) انظر: «الزهد» لابن المبارك في زيادة نعيم بن حماد: (ص٣٥).

(٧) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٤/ ٢٤٣).

(٨) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٤٨).

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا قيل لك تخاف الله فاسكت، لأنك إن قلت: لا كفرت، وإن قلت: نعم فليس وصفك وصف من يخاف[1].

وهذه الآثار تدل على أن من كان بالله أعلم كان له أخوف وأخشى، فهذا أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بلغ به الخوف من الله تعالى أن يود لو كان شجرة تؤكل وتعضد. وعمر ـ رضي الله عنه ـ الفاروق يود النجاة من الحساب ولا أجر له ولا وزر عليه، مع أن رسول الله ﷺ فقد بشرهما بالجنة، ولكن صدق الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[2]. فهؤلاء القوم ومن جاء بعدهم من التابعين لهم بإحسان، ممن اهتدى بهديهم وسلك طريقهم قد امتلأت قلوبهم خوفًا وخشية لله تعالى؛ لأنهم عرفوا الله حق معرفته، فخافوا الله حق مخافته، وخشوا الله تعالى حق خشيته، وقد قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد»[3]. وقال رسول الله ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»[4].

فالخوف والخشية منه تعالى تكون على قدر العلم والمعرفة به ـ جلا وعلا ـ.

---

(١) انظر: «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (١/ ٢٢٦).

(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٣) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب التوبة (٤٩)، باب (٤)، ح٢٧٥٥/ ٢٣، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد، (٣٧)، باب (٩)، ح٢٣١٣، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. وقال الترمذي: هذا حديث صحيح. وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب (٢٧)، ح٦٤٨٥، عن أبي هريرة هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

* **الخوف والخشية للعامة والخاصة :**

بينت فيما سبق أن الله عز وجل فرض الخوف والخشية على جميع المكلفين فهما من لوازم الإيمان وموجباته، ولكن ذهب أبو العباس بن العريف في كتابه «محاسن المجالس» إلى أن الخوف من مقامات العوام، فقال في الخوف: (هو الانخلاع عن طمأنينة الأمن، والتيقظ لنداء الوعيد والحذر من سطوة العقاب، وهو من منازل العوام أيضًا، وليس في منازل الخواص خوف)[1].

وهذا الكلام لا يصح؛ لأنه مخالفة للكتاب والسنة، فإن الله عز وجل قد أمر جميع المكلفين بالخوف والخشية منه في قوله جلا وعلا: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4].

فالخوف والخشية لله تعالى من لوازم الإيمان، فهي واجبة في حق الخاصة والعامة، وقد مدح الله المرسلين المقربين الذين يخشونه تبارك وتعالى حق خشيته بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[5]، أي: يخافونه ولا يخافون أحدًا سواه، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله تعالى[6].

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم: (ص٣٦٢).

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٠.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٣.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٦) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٤٩٢).

وقال عز وجل يثني على بعض أنبيائه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1]، أي: يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجاء ورهبة وخوف[2].

ووصف الله الملائكة بأنهم يخافونه في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩﴾[3]، وأيضًا وصفهم عز وجل بأنهم يخشونه في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[4]، وقال سبحانه وتعالى لنبيه محمدًا ﷺ: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾[5]، وقال: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾[6].

وقد كان رسول الله ﷺ أشد الناس خشية لربه تعالى، مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ففي الحديث الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: صنع النبي ﷺ شيئًا ترخص فيه، وتنزه عنه قومه فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم له خشية»[7].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

(٢) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١١/ ٣٣٦).

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٧) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب الاعتصام (٩٦)، باب (٥)، ح٧٣٠١.

وعن عمر بن أبي سلمة ـ رضي الله عنه ـ أنه سأل رسول الله ﷺ: أيقبل الصائم؟ فقال رسول الله ﷺ: «سل هذه» ـ لأم سلمة ـ فأخبرته أن رسول الله يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال له رسول الله ﷺ: «أما والله إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له»(١). وكان من دعائه ﷺ قوله: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك»(٢)، وقوله ﷺ: «وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة»(٣).
فإذا كان الخوف والخشية لله تعالى من صفات الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين فكيف تكون من منازل العوام دون الخواص؟

وهذا رسول الله ﷺ يسأل الله خشيته في الغيب والشهادة، وهو الأسوة الحسنة لأمته كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(٤).

فسؤال غيره لها أولى وأحرى مهما كانت منزلته من العبادة والصلاح.

ثم إن الله عز وجل قد جعل الخشية من صفات العلماء، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾(٥)، فكلما كان العبد بالله أعرف كان له أخوف.

---

(١) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الصيام (١٣)، باب (١٢)، ح١١٠٨/ ٧٤، بلفظه.

(٢) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (٨٠)، ح٣٥٠٢، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) انظر تخريجه في (ص. . .).

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

وقال الربيع بن أنس: من لم يخش الله تعالى فليس بعالم(١).

وقال الحسن البصري: العالم من خشي الرحمن بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه وزهد فيما سخط الله فيه(٢).

وبهذه الأدلة من الكتاب والسنة يتبين غلط من جعل الخوف من منازل العوام فالخوف من أجل العبادات القلبية وأنفعها للخاصة والعامة، وخوف المقربين عند ربهم من الأنبياء والمرسلين والصديقين أعظم من خوف غيرهم؛ لأن من كان بالله أعلم كان له أخوف وأخشى.

والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٤/ ٢٤٣).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٥٥٣ ـ ٥٥٤).

# الذكر

## * تعريفه :

الذكر في اللغة: ضد النسيان[١].

وذكر الله تعالى: هو كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب، مما يقرب إلى الله تعالى من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، أو تعلم علم أو تعليمه أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر ونحو ذلك[٢].

## * الذكر في الكتاب والسنة :

دل الكتاب والسنة النبوية على أن الله أمر المؤمنين بذكره تعالى، ذكرًا كثيرًا وحثهم على الاشتغال بذكره في كل الأحيان، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[٥]. وأمر الله عباده المؤمنين بأن يذكروا اسمه تعالى عند الذبح لبهيمة الأنعام والصيد مطلقًا، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾[٧]، أي: انحروها على اسم

---

(١) انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٢٢٣).

(٢) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٦٦١).

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٤١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٥٢.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٠٠.

(٦) سورة الحج، الآية: ٣٤.

(٧) سورة الحج، الآية: ٣٦.

الله تعالى[1]، وقال تعالى في الصيد: ﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ وَٱذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِۖ﴾[2].

ونهاهم عز وجل أن يأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾[3].

وأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يذكروه كثيرًا عند قتالهم للكفار، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[4]، كما أنه جلا وعلا أمرهم بأن يذكروه تبارك وتعالى بعد صلاة الخوف على أي حال كانوا، قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم[5]، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾[6].

قال محمد بن كعب القرطبي: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا يقول الله عز وجل: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزًاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[7]، ولرخص للرجل يكون في الحرب: ، قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[8].

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٢/ ٦١).
(٢) سورة المائدة، الآية: ٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٢١.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.
(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٥/ ٣٧٣).
(٦) سورة النساء، الآية: ١٠٣.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٤١.
(٨) سورة الأنفال، الآية: ٤٥.
وانظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٤/ ٨٢).

وقد أمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ بذكره جل وعلا فقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾(٤).

والمراد بالذكر هنا: الذكر المطلق سواء كان في الصلاة أو غيرها(٥).

ومدح الله عز وجل الذاكرين له، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾(٧).

ووصف الله تعالى قلوب المؤمنين بالوجل عند ذكره تبارك وتعالى لما في قلوبهم من الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾(٨)، أي: خافت(٩).

ووصف الله المنافقين بقلة الذكر له جل وعلا، قال تعالى: ﴿إِنَّ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.
(٢) سورة الكهف، الآية: ٢٤.
(٣) سورة المزمل، الآية: ٨.
(٤) سورة الإنسان، الآية: ٢٥.
(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٩/ ١٥٠).
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٩٠ ـ ١٩١.
(٧) سورة النور، الآية: ٣٧.
(٨) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٩) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٧/ ٣٦٥).

ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[1].

ووعد الله جل وعلا الذاكرين له والذاكرات بالمغفرة والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2]، وجعل الله ذكره تبارك وتعالى سببًا في الفلاح، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3]، وقد سمى الله عز وجل الصلاة ذكرًا[4]، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾[7].

وقد أخطأ من قال إن ذكر الله أكبر من الصلاة[8]، لقوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾[9]، فإن الصلاة فيها شيئان:

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٥، وسورة الجمعة، الآية: ١٠.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٣/ ٢٢٥)، و(١٨/ ١٠٧ ـ ١٢٩).

(٥) سورة الجمعة، الآية: ٩.

(٦) سورة المنافقون، الآية: ٩.

(٧) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٨) انظر: «مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية»: (٢٠/ ١٩٣).

(٩) سورة العنكبوت، الآية: ٤٥.

أحدهما: النهي عن الفحشاء والمنكر.

والثاني: ذكر الله تعالى، وهو أعظم من الأول؛ لأن (الصلاة فيها دفع للمكروه وهو الفحشاء والمنكر، وفيها تحصيل المحبوب وهو ذكر الله، وحصول هذا المحبوب أكبر من دفع المكروه، فإن ذكر الله عبادة الله وعبادة القلب لله مقصودة لذاتها، وأما اندفاع الشر عنه فهو مقصود لغيره على سبيل التبع)[1].

والأحاديث في فضل الذكر له تعالى كثيرة، منها:

قول النبي ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»[2].

وفي الحديث الصحيح: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ هم خير منه»[3].

ومدح رسول الله ﷺ الذاكرين لله كثيرًا والذاكرات، وأثنى عليهم فقال: «سبق المفردون، قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»[4].

---

(١) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ١٨٨).

(٢) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب (٦٦)، ح٦٤٠٧، عن أبي موسى - رضي الله عنه -.

(٣) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١)، ح٢٦٧٥/ ٢، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

(٤) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١)، ح٢٦٧٦/ ٤، عن أبي هريرة - رضي الله عنه -.

وجاء في فضل مجالس الله، قول النبي ﷺ: «لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده»(١).

وثبت أن الله جل وعلا يباهي ملائكته بالذين جلسوا مجلسًا يذكرون الله تعالى فيه، ففي «صحيح مسلم» عن أبي سعيد الخدري، قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد. فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال: آلله، ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟». قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا. قال: «آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟» قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة»(٢).

أما الذين يجلسون ولا يذكرون الله تعالى، فإنه يكون عليهم حسرة وندامة، كما روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه، ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»(٣).

---

(١) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١١)، ح٢٧٠٠/٣٩، عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهما ـ.

(٢) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١١)، ح٢٧٠١/ ٤٠، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (٨)، ح٣٣٨٠، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. والترة: الحسرة والندامة. =

وذكر الله تعالى ليس له وقت محدد، فهو جائز في كل الأحيان، لما ثبت عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ، قالت: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه[1].

والأحاديث في فضل ذكر الله تبارك وتعالى وثوابه كثيرة مبسوطة في مواضعها.

* **من أقوال الصحابة وغيرهم في فضل ذكر الله تعالى:**

قال عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء[2].

وقال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله[3].

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لم يعذر أحد في ترك ذكر الله إلا من غلب على عقله[4].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ: ذكر الله سبحانه وتعالى بالغدو والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله وإعطاء المال سحا[5].

وقال سعيد بن جبير رحمه الله: الذكر طاعة الله، فمن لم يطعه لم يذكره، وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن[6].

---

(١) في «صحيح مسلم»: ج١، كتاب الحيض (٣)، باب (٣٠)، ح٣٧٣/ ١١٧.
(٢) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص١٥١).
(٣) في «سنن الترمذي»: (٥/ ٤٥٩)، كتاب الدعاء (٤٩)، باب (٦).
(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٤/ ١٩٧).
(٥) انظر: «الزهد» لابن المبارك: (ص٣٩٤).
(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٢/ ١٧١).

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يكون ذاكرًا الله تعالى كثيرًا حتى يذكره قائمًا وجالسًا ومضطجعًا[1].

وقال الثوري: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف بالله انقطاعه عن الذكر[2].

وقال سهل بن عبد الله: ما أعرف معصية أقبح من نسيان الرب تعالى[3].

* **درجات الناس في ذكر الله تعالى:**

دل الكتاب والسنة على أن ذكر الله تعالى يكون بالقلب واللسان، ولكن الناس في ذكره تبارك وتعالى على أربع درجات[4]:

١ - الذكر بالقلب، وهو تنبه القلب للمذكور، والتيقظ له[5].

وقد أخبر الله تبارك وتعالى أن قلوب المؤمنين تطمئن بذكره جلا وعلا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[6].

ووصف الله قلوب المؤمنين باللين عند سماع ذكره تعالى، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[7].

---

(١) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٤/ ١٨٦).
(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٤٧٠).
(٣) انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٤٧١).
(٤) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٥٦٦).
(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٢/ ١٧١).
(٦) سورة الرعد، الآية: ٢٨.
(٧) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

وعاتب الله المؤمنين بقوله تعالى: ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1]، قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين[2].

وهذه الآية تدل على أن قلوب المؤمنين تخشع بذكر الله تعالى.

وقد توعد الله القاسية قلوبهم من ذكره عز وجل: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3].

وأخبر الله أن قلوب الكافرين تشمئز من ذكر الله وحده، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[4].

ومعنى الآية: إذا ذكر الله انقبضت قلوب الكافرين ونفرت واستكبرت، وإذا ذكرت الأوثان ظهر عليهم البشر والسرور[5].

وخاطب الله نبيه ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾[6].

والكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب. وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فيما روى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة

---

(١) سورة الحديد، الآية: ١٦.

(٢) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب التفسير (٥٤)، باب (١)، ح٣٠٢٧/ ٢٤.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٤٥.

(٥) انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٥/ ٢٦٤).

(٦) سورة الكهف، الآية: ٢٨.

للقلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي»[١].

فذكر الله تبارك وتعالى إذا قام بالقلب لان ورق، واطمأن بذكر الله الذي ما طابت الدنيا للمؤمنين إلا به، وكان القلب في حصن منيع من أعداء الله، وذكر الله في القلب سيف الذاكرين له[٢]. والذكر بالقلب فقط مع عجز اللسان حسن، وإن كان مع قدرة اللسان عليه فقد ترك الأفضل.

٢ ـ الذكر باللسان فقط، وهو كون لسانه رطبًا بذكر الله تبارك وتعالى، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن بسر ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به[٣]، قال: «لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله»[٤].

وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال الله تعالى: «أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه»[٥]،

---

(١) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد (٣٧)، باب (٦١)، ح٢٤١١، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٤٦٥).

(٣) التَّشَبُّث بالشيء: التعلق به. انظر: «مختار الصحاح»: (ص٣٢٧).

(٤) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (٤)، ح٣٣٧٥. وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وتعقبه الشيخ الألباني في تخريجه لأحاديث «الكلم الطيب» لابن تيمية في الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ، في (ص٢١)، فقال الألباني: هذا قصور فالحديث صحيح الإسناد، وكذا قال الحاكم ووافقه الذهبي. انتهى.

(٥) أخرجه البخاري معلقًا في «صحيحه بشرحه فتح الباري»: (١٣/ ٤٩٦)، كتاب التوحيد (٩٧)، باب (٤٣)، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٤٩٦)، كتاب الدعاء. وقال الحاكم: صحيح. وأقره الذهبي.

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: إن الذين ألسنتهم رطبة بذكر الله يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك(١).

٣ ـ الذكر بالقلب واللسان معاً وهو ما يجتمع فيه ذكر اللسان والقلب بالتفكر في المعنى واستحضار عظمة الله تعالى، وهو الذكر الكامل المأمور به. وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: (أفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان، وكان من الأذكار النبوية، وشهد الذاكر معانيه ومقاصده)(٢). وقال بعض العارفين: الذكر على سبعة أنحاء: فذكر العينين بالبكاء وذكر الأذنين بالإصغاء، وذكر اللسان بالثناء، وذكر اليدين بالعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضا(٣).

٤ ـ عدم الذكر له تعالى لا بالقلب ولا باللسان؛ وهو حال الغافلين المعرضين الخاسرين الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾(٤)، وقال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٥).

قد حذر الله نبيه ﷺ من هؤلاء الغافلين فقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا

---

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص١٦٩).
(٢) انظر: «الفوائد» لابن القيم: (ص١٩٢).
(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر: (١١/ ٢٠٩).
(٤) سورة طه، الآية: ١٢٤ ـ ١٢٦.
(٥) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[١]، والذي لا يذكر الله بالقلب واللسان فهو ميت، أو كالميت كما جاء في الحديث: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»[٢].

* **الذكر المشروع :**

لقد بينت السنة النبوية جنس الذكر المشروع المستحب، فإن ذكر الله تعالى طاعة له جل وعلا، أمر بها عباده المؤمنين، وهي ثابتة بالكتاب والسنة. وقد سبق بيان ذلك، ولكن لابد لكل عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى من شرطين:

١ ـ إخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[٥].

٢ ـ عبادة الله عز وجل بما شرع وأذن به، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[٦]. فعبادته تكون بما شرع سبحانه وتعالى ولا تتحقق إلا بمتابعة الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٨.
(٢) سبق تخريجه (ص٢٥٣).
(٣) سورة البينة، الآية: ٥.
(٤) سورة الكهف، الآية: ١١٠.
(٥) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٦) سورة الشورى، الآية: ٢١.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[2].

ومن الذكر المشروع ما ثبت في «صحيح البخاري» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»[3]، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر»[4].

وثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمٰن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[5].

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

(٢) في «صحيح مسلم»: ج٣، كتاب الأقضية (٣٠)، باب (٨)، ح١٧١٨/١٧، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

(٣) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب (٦٤)، ح٦٤٠٣.

(٤) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب (٦٥)، ح٦٤٠٥.

(٥) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب (٦٥)، ح٦٤٠٦، وهو في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٠)، ح٢٦٩٤/٣١.

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس»[1].

وفيه أيضًا عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله؟ قلت: يا رسول الله، أخبرني بأحب الكلام إلى الله، فقال: «إن أحب الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»[2].

وفي «صحيح مسلم» أيضًا عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»[3].

إلى أمثال ذلك من الأذكار النبوية المشروعة المستحبة، في أول النهار وآخره، وعند النوم وعند الاستيقاظ، وما يقال عند دخول المنزل والمسجد والخلاء وعند الخروج منها، وما يقال عند الأكل والشرب وبعده، وعند الجماع ورؤية الهلال والمطر، وعند سماع الرعد إلى غير ذلك من الأذكار المأثورة المستحبة، وقد صنفت لها الكتب المشهورة، ككتاب «عمل اليوم والليلة» لأبي بكر بن السني، وكتاب «الأذكار» للنووي، و«الكلم الطيب» لابن تيمية.

أما الذكر بالاسم المفرد الذي لهج به بعض المتأخرين من الصوفية الذين ضلوا السبيل كقولهم: (الله، الله، الله)، أو (هو، هو، هو) فليس

---

(١) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٠)، ح٢٦٩٥/ ٣٢.

(٢) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (٢٢)، ح٢٧٣١/ ٨٥.

(٣) هذا جزء من حديث في «صحيح مسلم»: ج٣، كتاب الآداب (٣٨)، باب (٢)، ح٢١٣٧/ ١٢.

بمشروع لا في الكتاب ولا في السنة ولا هو مأثور عن الصحابة ولا عن أحد من سلف الأمة، وربما غلا بعضهم في ذلك فيجعل ذكر العامة أو المؤمنين: (لا إله إلا الله)، وذكر الخاصة أو العارفين (الله، الله)، وذكر خاصة الخاصة والمحققين (هو، هو)، أو (يا هو)، أو (لا هو إلا هو)[1].

ويستدلون على قولهم: (الله، الله) بأن النبي ﷺ لقن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أن يقول: (الله، الله) فقالها النبي ﷺ ثلاثًا، ثم أمر عليًّا فقالها ثلاثًا، وهذا حديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث[2]، وربما احتج بعضهم بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾[3]. وهذا من تحريفهم للكلم عن مواضعه فإنه سبحانه وتعالى قال: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾[3]. فمعنى الآية: (أي: قل الله أنزل الكتاب الذي جاء به موسى. فهذا كلام تام وجملة اسمية، مركبة من مبتدأ وخبر، حذف الخبر منها لدلالة السؤال على الجواب)[4].

وزعم بعض هؤلاء المنحرفين أن معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[5]، أي: وما يعلم تأويل هذا الاسم الذي هو (الهو) الذي هو ذكر خاصة الخاصة، أو المحققين منهم، وهذا معلوم الفساد والبطلان.

---

(١) انظر: «العبودية» لابن تيمية: (ص٧٣)، و«السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٥٥٧).
(٢) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٥٥٧).
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩١.
(٤) انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٥٥٩).
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ لشخص من هؤلاء المنحرفين في هذه الآية: (لو كان هذا كما قلته لكتبت الآية: وما يعلم تأويل «هو» منفصلة ولم تكتب متصلة)[١] اهـ.

أقول: وأما زعمهم بأن (لا إله إلا الله) ذكر العامة دون الخاصة. فهذا من غلطهم وضلالهم فإنها أفضل الذكر. كما جاء ذلك مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»[٢].

ولا إله إلا الله أحب الكلام إلى الله، كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت»[٣].

ولا إله إلا الله أفضل شعب الإيمان وأعلاها لقول رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[٤].

فكيف يصح لهؤلاء بعد هذه الأحاديث النبوية أن يزعموا أن لا إله إلا الله ذكر العامة دون الخاصة؟ وبهذا يتبين أن المشروع في ذكر الله سبحانه وتعالى ما كان كلامًا تامًّا مفيدًا مما ثبت في السنة النبوية مثل: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله العظيم. أما الذكر

---

(١) انظر: «العبودية» لابن تيمية: (ص٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب الدعاء (٤٩)، باب (٩)، ح٣٣٨٣، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٣) سبق تخريجه (ص٢٦٢).

(٤) في «صحيح مسلم»: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب (١٢)، ح٣٥/ ٥٧، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

بالاسم المفرد المجرد فليس بمشروع فضلاً عن أن يكون ذكر الخاصة أو العارفين.

ويستحب لمن يذكر الله عز وجل، خفض الصوت بالذكر فإن رفع الصوت بذكر الله تعالى لا يجوز، لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[(١)].

ولما ثبت في «صحيح مسلم» عن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال ﷺ: «أيها الناس، أربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم»[(٢)].

أما ما يفعله الصوفية في ذكرهم الصوفي المبتدع، من الزعيق والصياح والرقص والصفق والتمايل فليس من هدي النبوة في شيء (فما هكذا ذكر الرسول ربه، وما هكذا ذكر الصحابة من بعده ربهم، ما ذكروه باسمه المفرد، ولا ذكروه في ميل وتأوّد ما ذكروه بقيادة واحد منهم ينطق بالاسم مصفقًا وينطقون به وراءه، وما ذكروه ولهم منشد يغازل ليلى ما ذكروه وأصواتهم من ضجيجها تفزع الليل، وتصك جنباته، ما ذكروه بالنايات والطبول والدفوف، ولكنهم ذكروه كما علمهم رسوله، أما من ذكر الله ذكر الصوفية فهم مشركو الجاهلية ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾)[(٣)].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

(٢) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٣)، ح٢٧٠٤/ ٤٤.

(٣) انظر: «هذه هي الصوفية» لعبد الرحمن الوكيل: (ص١٤٢ ـ ١٤٣)، والآية في سورة الأنفال: ٣٥.

وهذا ما يفعله صوفية اليوم، الذين ضلوا وأضلوا، والله عز وجل قد أكمل الدين بنبيه ﷺ قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[1].

فمن عمل عملاً ليس عليه أمر الله ورسوله فهو مردود عليه، كائنًا من كان، فالدين بالاتباع وليس بالابتداع، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، فأفضل الذكر وأنفعه مطلقًا هو ما كان على هدي المصطفى ﷺ. والله تعالى أعلم.

* * *

(١) سورة، المائدة، الآية: ٣.

# الشكر

* **تعريفه :**

الشكر في اللغة : الثناء على المحسن بما أوْلاكه من المعروف[1].

واصطلاحًا : هو ظهور أثر نعمة الله على عبده ثناء واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة[2]. وقيل : هو الثناء على المنعم، ومحبته والعمل بطاعته[3].

* **الشكر في الكتاب والسنة :**

دل الكتاب على أمر الله جل وعلا لعباده؛ بأن يشكروه تبارك وتعالى على ما أولاهم من النعم، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ ﴾[4]، وقال تعالى : ﴿ وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[5]، وقال تعالى : ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[6]، وقال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[7].

ووعد الله أهل الشكر بأحسن الجزاء قال تعالى : ﴿ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[8]، وقال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴾[9].

---

(١) انظر : «مختار الصحاح» للرازي : (ص٣٤٤).
(٢) انظر : «مدارج السالكين» لابن القيم : (٢/ ٢٤٤).
(٣) انظر : «طريق الهجرتين» لابن القيم : (ص٤٤٩).
(٤) سورة البقرة، الآية : ١٧٢.
(٥) سورة النحل، الآية : ١١٤.
(٦) سورة البقرة، الآية : ١٥٢.
(٧) سورة العنكبوت، الآية : ١٧.
(٨) سورة آل عمران، الآية : ١٤٤.
(٩) سورة القمر، الآية : ٣٥.

ووعد الله تبارك وتعالى أهل الشكر بالمزيد وأهل الكفر بالعذاب الشديد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

ومدح الله الشاكرين فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[2].

وأخبر الله عز وجل عن رضاه بشكر الشاكرين، قال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾[3].

والشكر من أعلى المنازل، فلا يناله إلا القليل، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[5].

وأخبر تعالى أن منفعة الشكر تعود إلى الشاكر نفسه، فالله جل وعلا غني عن شكر الشاكرين، قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[7].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣١.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٤) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٤٣.

(٦) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٧) سورة لقمان، الآية: ١٢.

وجاء في السنة النبوية أحاديث في الشكر منها قوله ﷺ لمعاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: «يا معاذ، والله إني لأحبك فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(١).

وأثنى رسول الله ﷺ على المؤمن؛ بأنه إذا أصابته سراء شكر، وإذا أصابته ضراء صبر، قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له»(٢). وجاء الأمر بشكر المسلم لمن أحسن إليه في قوله ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله»(٣). وهذا شكر مكافأة لا شكر عبادة.

ومعنى الحديث كما قال الخطابي: (هذا الكلام يتأول على معنيين: أحدهما أن من كان طبعه كفران نعمة الناس، وترك الشكر لمعروفهم، كان من عادته كفران نعمة الله عز وجل وترك الشكر له.

والوجه الآخر: أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس إليه، ويكفر معروفهم؛ لاتصال أحد الأمرين بالآخر)(٤).

والثناء من الشكر، لقول النبي ﷺ: «من أعطى عطاء فوجد فليجز به،

---

(١) انظر تخريجه (ص٣١٧).

(٢) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الزهد والرقائق (٥٣)، باب (١٣)، ح٢٩٩٩/ ٦٤، عن صهيب ـ رضي الله عنه ـ.

(٣) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب البر والصلة (٢٨)، باب (٣٥)، ح١٩٥٤، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ٣٩٨).

ومن لم يجد فليثن، فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر[١]، ومن تحلى بما لم يعطه كان كلابس ثوبي زور»[٢].

ومما جاء في الشكر قول النبي ﷺ: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرًا صابرًا، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرًا ولا صابرًا، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فَضَّلَه به عليه كتبه الله شاكرًا صابرًا، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه، ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكرًا ولا صابرًا»[٣].

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر»[٤].

---

(١) معنى قوله «قد كفر»: قد كفر تلك النعمة. كما قال ذلك جابر بن عبد الله راوي الحديث ـ رضي الله عنه ـ.
انظر: «سنن الترمذي»: (٤/ ٣٨٠).

(٢) في «سنن الترمذي»: ج٤، كتاب البر والصلة (٢٨)، باب (٨٧)، ح٢٠٣٤، عن جابر ابن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٣) في «سنن الترمذي»: ج٤، كتاب البر والصلة (٢٨)، باب (٥٨)، ح٢٥١٢، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٤) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٩، كتاب الأطعمة (٧٠)، باب (٥٦) معلقًا.
وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب صفة القيامة (٣٨)، باب (٤٣)، ح٢٤٨٦، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.
وقال: هذا حديث حسن غريب.

* **من أقوال الصحابة وغيرهم في الشكر :**

قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: من رأى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني عليك وعلى جميع خلقه تفضيلاً، فقد أدى شكر تلك النعمة[1].

وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ما من عبد يشرب الماء القراح فيدخل بغير أذى ويخرج بغير أذى، إلا وجب عليه الشكر[2].

وقال مطرّف بن الشخير رحمه الله: لأن أعافى فأشكر أحب إليَّ من أبتلى فأصبر[3].

وقال أيضًا: نظرت ما هو خير لا شر فيه، فإذا هو أن يعافى العبد فيشكر[4].

وقال يزيد بن ميسرة رحمه الله: لا تضر نعمة معها شكر[5].

وقال محمد بن كعب القرظي رحمه الله: إن نوحًا عليه السلام كان إذا أكل قال: الحمد لله، وإذا شرب قال: الحمد لله. وإذا لبس قال: الحمد لله. فسماه الله عبدًا شكورًا[6].

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله يقول: عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلَّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم[7].

---

(١) انظر: «عدة الصابرين» لابن القيم: (ص١٤٤).

(٢) المصدر السابق: (ص١٤٥).

(٣) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص٢٩٧).

(٤) المصدر السابق: (ص٢٩٣).

(٥) المصدر السابق: (ص٤٦٢).

(٦) المصدر السابق: (ص٦٦ ـ ٦٧).

(٧) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي: (٤/ ١١٩).

* أنواع الشكر:

شكر العبد لربه ـ تعالى ـ يكون بالقلب واللسان والجوارح[1]، فللشكر ثلاثة أنواع هي:

١ ـ شكر القلب: وهو الإقرار بالوحدانية والعبادة لله تعالى، ومحبته والإنابة إليه، إلى غير ذلك من العبادات القلبية المشروعة، فإن قيامها بقلب العبد وهو من شكر القلب له تعالى. وقد دل على شكر القلب قول النبي ﷺ لما قال بعض الصحابة: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل، لو علمنا أي المال خير فنتخذه؟ فقال: «أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه»[2].

٢ ـ شكر اللسان لله ـ تعالى ـ: بالثناء والحمد والتسبيح والتهليل والتحدث بنعم الله تعالى والاعتراف بها، ولهذا قيل: حقيقة الشكر: الثناء على المحسن بذكر إحسانه[3].

٣ ـ شكر الجوارح بالعبادات البدنية: فشكرها استعمالها في طاعة الله ـ تبارك وتعالى ـ وكفها عن معاصيه، ولهذا لما سئل الجنيد عن الشكر؟ قال: ألا تعصي الله بنعمة[4].

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٤٣٨)، و«مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة: (ص٢٧٧)، و«عدة الصابرين» لابن القيم: (ص١٥١).

(٢) في «سنن الترمذي»: ج٥، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب (١٠)، ح٣٠٩٤، عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٤٣٧).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٤٤٠).

* **الشكر للعامة والخاصة:**

دل الكتاب والسنة على أن الشكر لله ـ تعالى ـ واجب على جميع المكلفين المرسلين والأنبياء فمن دونهم، فلا يخرج عنه أحد؛ لأن الشكر لله تعالى؛ هو القيام بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهرًا وباطنًا[1].

وذهب صاحب «منازل السائرين» إلى أن الشكر للعامة دون الخاصة، قال في الشكر: (وهو أيضًا من سبل العامة)[2]. وهذا الكلام ليس بصحيح. قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ: (يا ليت الشيخ صان كتابه عن هذا التعليل؛ إذ جعل نصف الإسلام والإيمان أضعف السبل.

بل الشكر سبيل رسل الله وأنبيائه ـ صلى الله عليهم وسلم أجمعين ـ أخص خلقه وأقربهم إليه، ويا عجبا: أي مقام أرفع من الشكر الذي يندرج فيه جميع مقامات الإيمان حتى المحبة والرضا والتوكل وغيرها؟ فإن الشكر لا يصح إلا بعد حصولها، وتالله ليس لخواص أولياء الله وأهل القرب منه سبيل أرفع من الشكر ولا أعلى)[3] اهـ.

أقول: قد جاء في الكتاب وصف الرسل والأنبياء بالشكر له تعالى بل قد أمرهم جل وعلا بالشكر له تبارك وتعالى، قال تعالى عن خليلة إبراهيم عليه السلام مثنيًا عليه بالشكر: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4].

---

(١) انظر: «الفوائد» لابن القيم: (ص١٢٨).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم: (٢/ ٢٤٩).

(٣) المصدر السابق: (٢/ ٢٤٩).

(٤) سورة النحل، الآيتان: ١٢٠ ـ ١٢١.

وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[1].

وسأل سليمان عليه السلام الله تعالى أن يجعله ممن يشكر نعمته فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾[2].

وقال سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾[3].

وأمر الله تعالى آل داود بالشكر، قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[4].

وأمر الله تعالى لقمان عليه السلام بالشكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾[5].

وقال الله تعالى لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[6].

وأمر الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ بالشكر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[7].

وثبت في «صحيح البخاري» عن المغيرة بن شعبة[8] ـ رضي الله عنه ـ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٩.

(٣) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٤) سورة سبأ، الآية: ١٣.

(٥) سورة لقمان، الآية: ١٢.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٤.

(٧) سورة الزمر، الآيتان: ٦٥ ـ ٦٦.

(٨) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، أبو عبد الله، وقد قيل: أبو عيسى، مات =

قال: إن كان النبي ﷺ ليقوم، أو ليصلي - حتى ترم قدماه، أو ساقاه فيقال له، فيقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»[(١)].

وفي الحديث عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «رب أعنِّي ولا تُعِنْ عَلَيَّ، وانْصُرْني ولا تنصر عَلَيَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسر الهدى لي، وانصرني على من بغى عَلَيَّ، رب اجعلني لك شكارًا، لك ذكارًا، لك رهابًا، لك مطواعًا، لك مُخْبِتًا، إليك أوَّاهًا مُنيبًا، رب تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثبت حجتي، وسدد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري»[(٢)].

ففي هذا الحديث سأل رسول الله ﷺ ربه - تعالى - أن يجعله من الشاكرين له.

وبهذا يتبين أن الشكر من أعلى المنازل، وأرفعها للعامة والخاصة، أفلا يستحيي من جعله للعامة دون الخاصة؟

ولم يتكلم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «التحفة العراقية» عن الشكر، ولكونه من أهم أعمال القلوب وأشرفها تكلمت عليه باختصار. والله تعالى أعلم.

---

= بالكوفة وهو وال عليها سنة خمسين، وله سبعون سنة وكان من دهاة قريش.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٤٣).

(١) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب التهجد، (١٩)، باب (٦)، ح١١٣٠.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (١٠٢)، ح٣٥٥١، بلفظه عن ابن عباس - رضي الله عنهما -. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
والمراد بسخيمة صدره: غشه وحقده وغله.
انظر: «سنن الترمذي»: (٥/ ٥٥٤).

# الخشوع

* **تعريفه:**

الخشوع في اللغة: الخضوع والسكون والتذلل[١].

وقال الجنيد لما سئل عن الخشوع: تذلل القلوب لعلام الغيوب[٢].

قلت: الخشوع: خضوع القلب وذله وسكونه وانكساره لله ـ تعالى.

* **الخشوع من عمل القلب:**

دل الكتاب والسنة على أن محل الخشوع هو القلب؛ فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[٤].

قال قتادة[٥]: (الخشوع في القلب وهو الخوف وغض البصر في الصلاة)[٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[٧].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (٣/ ١٨)، مادة: «خشع»، و«مختار الصحاح» للرازي: (ص١٧٦).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٨١).

(٣) سورة الحديد، الآية: ١٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٥) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن ربيعة بن عمرو بن الحارث، ولد وهو أعمى، وعني بالعلم فصار من حفاظ أهل زمانه وعلمائهم بالقرآن، والفقه، مات بواسط سنة سبع عشرة ومائة، وهو ابن ست وخمسين سنة.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٩٦).

(٦) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ٣٧٤).

(٧) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

قال الحسن البصري في هذه الآية: هو الخوف الدائم في القلب[1].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2].

قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: (الخشوع خشوع القلب)[3].

ويدل على أن الخشوع من عمل القلب من السنة ما ثبت في «صحيح مسلم» أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»[4].

فالخشوع محله القلب، فإذا خشع القلب خشعت الجوارح كلها لخشوعه، فإن الأعضاء تابعة للقلب تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده، ولهذا لما رأى سعيد بن المسيب[5] ـ رحمه الله تعالى ـ رجلاً يعبث في صلاته، قال: (لو خشع قلب هذا خشعت جوارحه)[6].

وحكى القشيري وابن القيم ـ رحمهما الله تعالى ـ إجماع العارفين بالله على أن الخشوع محله القلب[7]، وهو أول شيء يفقد من الدين، كما قال

(١) انظر: «الزهد» لابن المبارك: (ص٥٥).

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١ ـ ٢.

(٣) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ٣٧٥)، و«تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣٨).

(٤) في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب الذكر والدعاء (٤٨)، باب (١٨)، ح٢٧٢٢/ ٧٣، عن زيد بن أرقم ـ رضي الله عنه ـ.

(٥) هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، أبو محمد القرشي، كان مولده لسنتين مضتا من خلافة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وكان من كبار التابعين فقهًا وورعًا وعبادة وفضلاً وزهادة وعلمًا، مات سنة ثلاث وتسعين ـ رحمه الله تعالى ـ. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٦٣).

(٦) انظر: «الزهد» لابن المبارك: (ص٤١٩).

(٧) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٨٢)، و«مدارج السالكين»: (١/ ٥٢١).

حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ: (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع)[1].

وقال عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ: (أول علم يرفع من الناس الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه خاشعًا)[2].

وبهذا يتبين أن الخشوع من عمل القلب، والله عز وجل قد مدح الخاشعين وأثنى عليهم في قوله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[4].

ووعد الله تعالى الخاشعين والخاشعات بالمغفرة والأجر العظيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ

---

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص٢٢٤).
وحذيفة بن اليمان العبسي من الصحابة وكنيته أبو عبد الله، من المهاجرين، وهو صاحب سر الرسول ﷺ، مات بعد قتل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بأربعين ليلة ـ رضي الله عنه ـ. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٤٣).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب العلم (٤٢)، باب (٥)، ح٢٦٥٣، من حديث جبير بن نفير. وقال: هذا حديث حسن غريب.
وهو: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم أبو الوليد، من كبار الصحابة، وكان أول من ولي قضاء فلسطين، مات سنة ٣٤هـ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة فرحمه الله ورضي الله عنه. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥١).

(٣) سورة الإسراء، الآية: ١٠٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٩.

﴿وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(1).

* **من أقوال الصحابة وغيرهم في الخشوع :**

قيل لعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدى به المؤمن(2).

وقال أبو الدرداء ـ رضي الله عنه ـ: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يرى الجسد خاشعًا والقلب ليس بخاشع(3).

ورأى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ رجلاً طأطأ رقبته في الصلاة فقال: (يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب)(4).

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: (كان يكره أن يرى على الرجل من الخشوع أكثر مما في قلبه)(5).

فثبت بهذه الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أن الخشوع من عمل القلب. والله تعالى أعلم.

* * *

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: ٣٥.

(2) انظر: «الزهد» للإمام أحمد: (ص١٦٣).

(3) انظر: المصدر السابق: (ص١٧٦).

(4) انظر: «مدارج السالكين»: (١/ ٥٢١).

(5) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٣٨٣).

# الإنابة إلى الله تعالى

* **تعريفها :**

الإنابة في اللغة: الرجوع(١).

والإنابة إلى الله تعالى: هي رجوع القلب إلى الله عز وجل عبودية ومحبة، وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه، مع عكوف الجوارح على طاعته والإخلاص له والمتابعة لرسوله(٢).

والإنابة إلى الله ـ تعالى ـ من عمل القلب، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾(٣).

* **ذكر الإنابة في الكتاب والسنة :**

تكرر ذكر الإنابة إلى الله تعالى في القرآن كثيرًا، وقد أمر الله تبارك وتعالى بها عبادة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(٤).

وأثنى الله تعالى على بعض أنبيائه بها، كما في قوله تعالى عن خليله عليه السلام: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾(٥)، وقال تعالى عن داود عليه السلام: ﴿ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾(٦)، وحكى الله عز وجل

---

(١) انظر: «القاموس المحيط»: (١/ ٣٩)، وانظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٣٢).

(٢) انظر: «الفوائد» لابن القيم: (ص١٩٦)، و«مدارج السالكين»: (١/ ٤٣٤)، و«طريق الهجرتين»: (ص٢١٨).

(٣) سورة ق، الآية: ٣٣.

(٤) سورة الزمر، الآية: ٥٤.

(٥) سورة هود، الآية: ٧٥.

(٦) سورة ص، الآية: ٢٤.

عن شعيب عليه السلام أنه قال: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1]، وقال إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام والذين آمنوا معه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

وأمر الله تبارك وتعالى رسوله محمدًا ﷺ وأمته بالإنابة إليه في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3].

وأمر الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يقول للمؤمنين[4]: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[5].

وأمر الله تعالى باتباع سبيل أهل الإنابة إليه، في قوله تعالى: ﴿مَعْرُوفًاۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّۚ﴾[6].

ووعد الله تعالى أهل الإنابة إليه بالهداية في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾[7]، وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[8].

---

(١) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٣) سورة الروم، الآيتان: ٣٠ ـ ٣١.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٦/ ٧).

(٥) سورة الشورى، الآية: ١٠.

(٦) سورة لقمان، الآية: ١٥.

(٧) سورة الرعد، الآية: ٢٧.

(٨) سورة الشورى، الآية: ١٣.

وأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ أن أهل الإنابة إليه هم الذين ينتفعون بآيات الله فيتذكرون، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[3].

وأخبر الله ـ عز وجل ـ أن لأهل الإنابة إليه البشرى في الحياة الدنيا والآخرة بالجنة[4]، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾[5].

ووعدهم الله ـ عز وجل ـ بالمغفرة، قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[6].

وجاء ذكر الإنابة في السنة في دعائه ﷺ، حيث كان يقول في دعائه «رب اجعلني لك شكارًا، لك ذكارًا، لك رهابًا، لك مطواعًا، لك مخبتًا، إليك أواهًا منيبًا»[7].

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٣.

(٢) سورة ق، الآية: ٨.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٩.

(٤) انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١٥/ ٢٤٤)، و«تفسير ابن كثير»: (٤/ ٤٨).

(٥) سورة الزمر، الآية: ١٧.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٢٥.

(٧) هذا جزء من حديث أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (١٠٣)، ح٣٥٥١، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

* **أقسام الإنابة إلى الله :**

تنقسم الإنابة إلى الله تعالى إلى قسمين[1] :

١ ـ إنابة عامة: وهي لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم، وذلك لربوبيته ـ تعالى ـ وهي لا تستلزم الإسلام، بل قد تكون من الشرك والكفر وهذه الإنابة العامة مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾[3].

٢ ـ إنابة خاصة بأوليائه: وهي إنابة لألوهيته، إنابة عبودية ومحبة لله تعالى، وهذه الإنابة الخاصة مذكورة في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾[4]، وفي قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾[5]، وفي قوله تعالى: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾[7]، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: «مدارج السالكين»: (١/ ٤٣٤).
(٢) سورة الروم، الآيتان: ٣٣ ـ ٣٤.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٨.
(٤) سورة الزمر، الآية: ١٧.
(٥) سورة ق، الآية: ٣٣.
(٦) سورة ق، الآية: ٨.
(٧) سورة الشورى، الآية: ١٣.

# القسم الثاني

# «الكـــتاب محققـــا»

# التحفة العراقية

## في الأعمال القلبية

**تحقيق ودراسة**

تأليف

شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى

(٦٦١ - ٧٢٨هـ)

**إعداد**

**يحيى بن محمد بن عبد الله الهنيدي**

مكتبة الرشد

بسم الله الرحمن الرحيم (١)

[الحمد لله نستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده[٢] الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي له. ونشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا][٣]، أما بعد:

فهذه كلمات مختصرة في أعمال القلوب التي قد تسمى المقامات أو[٤] الأحوال، وهي من أصول الإيمان وقواعد الدين مثل: محبة الله ورسوله، والتوكل على الله، وإخلاص الدين له، والشكر له[٥]، والصبر على حكمه، والخوف منه، والرجاء له[٦]، وما يتبع ذلك، اقتضى ذلك[٧] بعض من[٨] أوجب الله حقه من أهل الإيمان واستكتبها وكل منا عجلان.

---

(١) في «ص» بعد البسملة: «وبه نستعين» قاعدة في التصوف والأعمال القلبية، تعرف بالتحفة العراقية، قال شيخ الإسلام ومفتي الأنام فريد دهره ووحيد عصره بقية المجتهدين قدوة المحققين تاج العارفين لسان المتكلمين تقي الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني، رفع الله في الثقلين ذكره وأعلا في الدارين قدره، وغفر لنا وله ولجميع المسلمين.

وفي «ش» بعد البسملة: «وبه نستعين ولا حول ولا قوة إلا بالله». وفي «س» بعد البسملة: «وبه نستعين، رب يسر وأعن يا كريم». وفي «د» بعد البسملة: «وبه أثق».

(٢) في «ش»: «يهدي».

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «د».

(٤) في «د»: «والأحوال».

(٥) «والشكر له» ساقط من «س» و«ش».

(٦) «له» ساقط من «س».

(٧) «ذلك» ساقط من «س».

(٨) في «س»: «ما».

فأقول: هذه الأعمال جمعيها[1] واجبة على جميع الخلق المأمورين باتفاق أئمة الدين.

والناس فيها على ثلاث درجات، كما هم في أعمال الأبدان على ثلاث درجات: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات[2]، فالظالم لنفسه: العاصي بترك مأمور أو فعل محظور[3]، والمقتصد: المؤدي للواجبات، والتارك للمحرمات، والسابق بالخيرات: المتقرب بما يقدر عليه من واجب ومستحب، والتارك للمحرم والمكروه، وإن كان كل من المقتصد والسابق قد تكون له ذنوب تمحى عنه إما بتوبة ـ والله يحب التوابين ويحب المتطهرين ـ، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب[4] مكفرة، وإما بغير ذلك، وكل من الصنفين: المقتصدين والسابقين من أولياء الله، وإن أولياء الله: هم الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾[5]، فحد أولياء الله؛ هم المؤمنون المتقون، ولكن ذلك ينقسم إلى عام: وهم المقتصدون، وخاص: وهم السابقون، وإن كان السابقون على درجات كالأنبياء والصديقين، وقد ذكر النبي ﷺ القسمين في

---

(١) في «ش»: «على» بعد «جميعها»، وزيادتها خطأ لا يستقيم معها الكلام.

(٢) وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة فاطر، الآية: ٣٢].

(٣) في «د»: «مأمورًا وفعل محظورًا»، وفي «ش»: «مأمورًا أو فعل محظورًا»، وكلاهما خطأ.

(٤) في «ص» بياض.

(٥) سورة يونس، الآيتان: ٦٢ ـ ٦٣.

الحديث الذي رواه البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: من عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء[1] ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي[2]، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني

---

(١) «أداء» ساقط من «س».

(٢) ليس في هذا الحديث دليل للحلولية فقد دل الحديث على الفرق بين الرب والعبد من وجوه متعددة لقوله: «ما عادى لي وليًّا فقد بارزني بالمحاربة» ففرق بين نفسه ووليه وعدوه، فهو لم يقل أنا أسمع، وأنا أبصر، ولا أنا أبطش، ولا أنا أمشي، ثم قال: «وما تقرب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه» ففرق بين المتقرب والمتقرب إليه، ثم قال: «فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به» إلى آخره. ولم يقل: كنت إياه، ولا فيه أن فعل أحدهما هو فعل الآخر، ولكن أخبر أن إحساس العبد وفعله يقع به؛ لأن العبد إذا صار موافقًا لله فيما يحبه ويرضاه، يحب ما يحب، ويبغض ما يبغض، ويرضى بما يرضى، ويأمر بما يأمر، وينهى عما ينهى، صار الإيمان به ومعرفته وتوحيده في قلبه، فإحساسه وأفعاله تقع به، وهذا ما في القلب نظير قوله في ما في اللسان: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه» [ذكر هذا الحديث في «صحيح البخاري: (١٣/ ٨٧)، كتاب التوحيد (٩٧) تعليقًا، وقد أخرجه موصولاً في كتاب خلق أفعال العباد، في باب ما كان النبي يذكره ويرويه عن ربه عز وجل. وهو في «المستدرك» للحاكم: (١/ ٤٩٦)، كتاب الدعاء، وقال الحاكم: صحيح. وأقره الزهبي]. فقال تحركت بي وإنما تحركت باسمه، كذلك قوله «فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي»، أي: بما في قلبه من الإيمان بي، وبهذا يتضح معنى الحديث وأن هناك فرقًا بين فعل الرب وفعل. انظر: كتابه «الاستغاثة» المعروف بـ «الرد على البكري» لابن تيمية: (ص١٧٦ ـ ١٧٧). وانظر كلام ابن تيمية عليه في هذه الرسالة في (ص٤٣٩، وما بعدها). وانظر: «فتاوى ابن تيمية»: (١٧/ ١٣٤).

لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه»[١].

وأما الظالم لنفسه من أهل الإيمان، فمعه[٢] من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره؛ إذ[٣] الشخص الواحد قد يجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب، وهذا قول جميع أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة الإسلام وأهل السنة والجماعة الذين يقولون: إنه لا يخلد في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وأما القائلون بالتخليد؛ من[٤] الخوارج

---

(١) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب التواضع (٣٨)، ح٦٥٠٢، ولفظه هناك ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته». كذلك «مسند الإمام أحمد»: (٦/ ٢٥٦)، بلفظ مقارب وهو عن عائشة.

(٢) في «س»: «ففيه».

(٣) في «س»: «فالشخص».

(٤) في «س»: «كالخوارج».

والخوارج يقال لهم: النواصب والحرورية، نسبة إلى حروراء، موضع خرج فيه أولهم على عليّ ـ رضي الله تعالى عنه ـ، وهم المحبون لأبي بكر وعمر، والمبغضون لعلي ابن أبي طالب وعثمان، والخوارج لما اختلفت صارت عشرين فرقة. وقال أبو الحسن الأشعري: الذي يجمعها إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين، ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين أو أحدهما، ووجوب الخروج على السلطان الجائر ولم يرض ما حكاه الكعبي: من إجماعهم على تكفير مرتكبي الذنوب. =

والمعتزلة القائلون بأنه[1] لا يخرج من النار من دخلها من أهل القبلة، وأنه لا شفاعة للرسول ولا غيره في أهل الكبائر لا قبل دخول النار ولا بعدها[2].

فعندهم لا يجتمع[3] في الشخص الواحد ثواب وعقاب وحسنات وسيئات، بل من أثيب لم[4] يعاقب، ومن عوقب لم يثب.

ودلائل هذا الأصل من الكتاب والسنة وإجماع سلف[5] الأمة كثيرة[6]، ليس هذا موضعه قد بسطناه في مواضعه[7]. وينبني[8] عليه أمور

---

= انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص٥٤ ـ ٩٢). وانظر: «خطط المقريزي»: (٢/ ٣٥٤)، و«مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري: (١/ ١٦٧، وما بعدها)، و«الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ١١٤، وما بعدها).

والمعتزلة هم أصحاب واصل بن عطاء، ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية ويقولون بخلق القرآن، ويثبتون الذات وينفون الصفات، وأن الله لا يخلق الشر والظلم، وأن مرتكب الكبيرة يخلد في النار، والعاصي بين المنزلتين، لا هو مؤمن ولا هو كافر وهم فرق.

انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ٤٣)، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص٩٣).

(١) في «س» و«د»: «أنه».

(٢) في «د»: «ولا بعد»، وانظر هذا الكلام ونحوه في «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم: (٤/ ٤٤ ـ ٦٣)، وكذلك في «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ٤٨).

(٣) في «ص»: «لا يجمع».

(٤) في «س» و«د»: «لا يعاقب».

(٥) في «س»: «السلف والأمة» وهو خطأ ظاهر.

(٦) في «د» و«س»: «كثير» وهو خطأ.

(٧) انظر على سبيل المثال: «مجموع فتاوى ابن تيمية» جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد: (١١/ ١٧٣ ـ ١٧٥).

(٨) في «د»: «بينا» وهو تصحيف.

كثيرة، ولهذا من كان معه إيمان حقيقي، فلابد أن يكون معه[1] من هذه الأعمال بقدر إيمانه، وإن كان له ذنوب، كما روى البخاري[2] في «صحيحه» عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «أن رجلاً كان يدعى حمارًا، وكان يُضحك[3] النبي ﷺ، وكان يشرب الخمر ويجلده النبي ﷺ فأُتي به مرة، فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى[4] النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»[5].

---

(١) في «س»: «منه» وهو خطأ.

(٢) وهو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، الإمام في علم الحديث، حافظ، وُلد سنة ١٩٤هـ في بخارى ورحل في طلب العلم إلى خراسان والعراق ومصر والشام، ودُفن بـ«خرتنك» قرية على فرسخين من سمرقند سنة ٢٥٦هـ من تصانيفه: «الجامع الصحيح»، و«التاريخ الكبير»، و«السنن في الفقه»، و«خلق أفعال العباد»، و«الأدب المفرد». انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي: الجزء الأول من القسم الثاني: (٦٧)، و«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي: (٢/ ٤ ـ ٣٤)، و«الأعلام» لخير الدين الزركلي: (٦/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩).

(٣) في «س» أخر قوله: «يضحك» بعد الصلاة والسلام على النبي، وهو خطأ واضح، والرجل هو عبد الله الملقب بالحمار، كان صاحب مزاح يضحك النبي ﷺ ويهدي إليه العكة من السمن والعسل، فإذا جاء صاحبه يتقاضاه جاء به إلى النبي ﷺ فقال: أعط هذا متاعه، فما يزيد النبي ﷺ أن يبتسم ويأمر به فيعطى.
انظر: «أسد الغابة في معرفة الصحابة»: (٣/ ٢١٦، ترجمة رقم: ٢٩٠٢)، و«فتح الباري» لابن حجر العسقلاني: (١٢/ ٧٧).

(٤) «إلى» ساقط من «د».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٢، كتاب الحدود (٨٦)، باب ما يكره من لعن شارب الخمر، وأنه ليس بخارج من الملة (٥)، ح٦٧٨٠، ولفظه هناك عن ابن عمر بن الخطاب؛ أن رجلاً كان على عهد النبي ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب حماراً، وكان يضحك رسول الله ﷺ، وكان النبي=

فهذا يبين أن المذنب(١) بالشرب وغيره قد يكون محبًّا لله ولرسوله.
وحب الله ورسوله أوثق عرى الإيمان، كما أن العابد الزاهد؛ قد يكون لما في قلبه من(٢) بدعة ونفاق مسخوطًا من ذلك الوجه عند الله ورسوله، كما استفاض في الصحاح وغيرها من حديث علي بن أبي طالب وأبي سعيد الخدري(٣) وغيرهما(٤) عن النبي ﷺ أنه ذكر الخوارج فقال: «يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته من قراءتهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»(٥).

---

= ﷺ قد جلده في الشراب، فأتي به يومًا فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم اللعنه ما أكثر ما يؤتى به، فقال النبي ﷺ: «لا تلعنوه، فوالله ما علمت، إنه يحب الله ورسوله».

(١) في «س»: «الذنب» وهذا تصحيف.

(٢) «من» ساقط من «س».

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، استصغر بأُحد، واستشهد أبوه بها، وغزا هو ما بعدها، كان أبو سعيد من الحفاظ المكثرين، روى عن النبي ﷺ الكثير وروى عن بعض الصحابة كأبي بكر وعمر وروى عنه من الصحابة: ابن عباس وابن عمر وغيرهما. مات سنة أربع وسبعين، وقيل: أربع وستين، وقيل: مات سنة ثلاث وستين، وقيل: مات سنة خمس وستين.
انظر: «الإصابة» لابن حجر: (٤/ ١٦٥)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر المطبوع بذيل «الإصابة» لابن حجر: (١١/ ٢٨٣).

(٤) «غيرهما» ساقط من «س».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٦، كتاب الأنبياء (٦٠)، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ=

وهؤلاء قاتلهم أصحاب رسول الله ﷺ، مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأمر النبي ﷺ. وقال فيهم النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «تمرق مارقة على حين[1] فرقة من المسلمين يقتلهم أدنى[2] الطائفتين إلى الحق[3]»[4].

---

= . . .﴾ إلخ [هود: ٥٠]، ح٣٣٤٤، ولفظه هناك عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ قال: «بعث علي ـ رضي الله عنه ـ إلى النبي ﷺ بذهيبة، فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري أحد بني كلاب. فغضبت قريش والأنصار قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا. قال: إنما أتألفهم. فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتىء الجبين كث اللحية محلوق فقال: اتق الله يا محمد فقال: من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟ فسأله رجل قتله ـ أحسبه خالد ابن الوليد ـ فمنعه، فلما ولي قال: إن من ضئضيء هذا ـ أو في عقب هذا ـ قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد».

وانظره أيضًا في كتاب المناقب (٦١)، باب (٢٥) حديث (٣٦١٠) عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وعن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ في نفس الكتاب والباب حديث (٣٦١١).

وأخرجه مسلم في «صحيحه»: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب ذكر الخوارج وصفتهم (٤٧)، ح١٠٦٤/١٤٣، عن أبي سعيد الخدري بلفظ نحوه. وكذلك أيضًا في «صحيح مسلم»: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب (٤٨)، ح١٠٦٦/ ١٥٤، عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مقارب.

(١) في «س» و«د»: «خير» وهو تصحيف دل عليه سياق الحديث.

(٢) في «س»: «إحدى» وهو تصحيف.

(٣) «إلى الحق» ساقط من «س».

(٤) في «صحيح مسلم»: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٤٧)، ح١٠٦٥/ ١٥٠، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق».

ولهذا قال أئمة المسلمين كسفيان الثوري[1] وغيره[2]: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها[3].

ومعنى قولهم: إن البدعة لا يتاب منها؛ أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ورسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب مادام يراه حسنًا[4]؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيء ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنًا مأمورًا به أمر يجاب أو أمر[5] استحباب ليتوب فيفعله.

فمادام يرى فعله حسنًا وهو سيء في نفس الأمر، فإنه لا يتوب ولكن التوبة منه ممكنة وواقعة[6]، بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى ـ سبحانه وتعالى ـ من هدى[7] من الكفار والمنافقين وطوائف

---

(١) هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي. قال شعبة وابن عيينة وغيرهم من العلماء: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. وقال ابن المبارك: كتبت عن ألف ومائة شيخ ما كتبت عن أفضل من سفيان، وُلد سنة ٩٧هـ، وقيل غير ذلك، وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ، محدث فقيه، وله من الكتب: «الجامع الكبير»، و«الجامع الصغير»، و«الفرائض». انظر: «حلية الأولياء» للأصفهاني: (٦/ ٣٥٦)، و(٧/ ٣)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٤/ ١١١ ـ ١١٥)، و«معجم المؤلفين»: (٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥)، و«صفة الصفوة»: (٣/ ١٤٧ ـ ١٥٢)، و«مشاهير علماء الأمصار» للبستي: (ص١٦٩)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي: (١/ ٢٠٣ ـ ٢٠٧).

(٢) «غيره» ساقط من «س».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» للأصفهاني: (٧/ ٢٦)، و«مجموع الفتاوى» لابن تيمية: (١١/ ٦٨٤ ـ ٦٨٥).

(٤) قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [سورة فاطر، الآية: ٨]، ولا ريب أن المزين لهم عملهم هم أهل الأهواء والبدع، الذين لا مستند لهم في مأخذهم سوى التقليد واتباع الهوى.

(٥) «أمر» ساقط من «د».

(٦) واو العطف ساقطة من «ص».

(٧) في «ص»: «هداه».

من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع[1] من الحق ما علمه[2] «فمن عمل بما علم أورثه[3] الله علم ما لم يعلم»[4]، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ [وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ][9]﴾[10].

---

(١) في «س»: «تتبع».

(٢) في «س»: «علمته» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٣) في «ص» و«د»: «ورثه».

(٤) هذا ليس بحديث، وإنما هو فيما يروى من كلام عيسى بن مريم عليه السلام. قال الحافظ أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٥) بعد أن ساقه بسنده مرفوعًا، ما نصه: (ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ، فوضع هذا الإسناد عليه) انتهى.

(٥) سورة محمد، الآية: ١٧.

(٦) سورة النساء، الآيات: ٦٦ ـ ٦٨.

(٧) سورة الحديد، الآية: ٢٨.

(٨) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧.

(٩) ما بين القوسين المعقوفين ساقط من «س».

(١٠) سورة المائدة، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

وشواهد هذا[١] كثيرة في الكتاب والسنة.

وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعًا[٢] لهواه، فأن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمي قلبه عن الحق الواضح، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ][٣]﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ[٦] مَرَّةٍۢ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ][٧]﴾[٨].

وهذا استفهام نفي[٩] وإنكار، أي: وما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون وإنا لنقلب[١٠] أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، على قراءة من قرأ «إنها» بالكسر[١١] تكون ................

(١) في «ص»: «ذلك».

(٢) في «ص»: «متبعا».

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٤) سورة الصف، الآية: ٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٦) «أول» ساقط من «د».

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٨) سورة الأنعام، الآيتان: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٩) «نفي» ساقط من «س».

(١٠) في «د» و«س»: «نقلب».

(١١) في همزة أنها قراءتان؛ الكسر والفتح ذكرها ابن الجزري في كتابه المسمى «تقريب النشر في القراءات العشر» فقال فيه: (قرأ ابن كثير والبصريان وخلف وأبو بكر بخلاف عنه «إنها إذا» بكسر الهمزة من «أنها» والباقون بالفتح). =

جزمًا[1] بأنها إذا جاءت لا يؤمنون، ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة [ونذرهم في طغيانهم يعمهون][2]، ولهذا قال من قال من السلف كسعيد بن جبير[3] وغيره[4]: إن من ثواب الحسنة الحسنة

---

= انظر: «تقريب النشر في القراءات العشر» لمحمد بن محمد بن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ.
وقد ذكر القراءتين ووجه كل قراءة منهما ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٦٥) فقال: (قوله تعالى: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ قيل: المخاطب بما يشعركم المشركون، وإليه ذهب مجاهد، كأنه يقول لهم: وما يدريكم بصدقهم في هذه الأيمان التي تقسمون بها وعلى هذا فالقراءة ﴿إنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾ بكسر إن على أنها على استئناف الخبر عنهم بنفي الإيمان عند مجيء الآيات التي طلبوها، وقرأ بعضهم ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾) انتهى.
وكذلك ذكرها ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان»: (٥/ ٢١١)، وكذلك النيسابوري في تفسيره «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» المطبوع على هامش «الطبري»: (٥/ ٢١٣).

(١) في «د»: هكذا «حرامًا».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «ص» و«س».

(٣) هو أبو عبد الله سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، الوالبي الكوفي، الفقيه البكاء، الشهيد تابعي، روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وأبي سعيد الخدري وغيرهم من الصحابة.
قال عمرو بن ميمون عن أبيه: لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه. وقال أبو القاسم الطبري: هو ثقة إمام حجة على المسلمين. قتل في شعبان سنة خمس وتسعين وهو ابن (٤٩) سنة، وقيل: إن قتله كان في آخر سنة (٩٤)، قتله الحجاج ثم مات الحجاج بعده بأيام.
انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٤/ ١١ ـ ١٤)، و«حلية الأولياء» للأصبهاني: (٤/ ٢٧٢ ـ ٣١٠)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٣/ ٧٧ ـ ٨٦)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي: (١/ ٧٦ ـ ٧٧).

(٤) «وغيره» ساقط من «د» و«س».

بعدها، وإن من عقوبة السيئة السيئة بعدها[١].

وقد ثبت في «الصحيحين» عن ابن مسعود[٢] ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار[٣]، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابًا»[٤].

فأخبر النبي ﷺ أن الصدق أصل يستلزم البر، وأن الكذب يستلزم الفجور. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[٥].

---

(١) لم أجد هذا القول له أو لغيره.

(٢) عبد الله بن مسعود بن الحارث، وقيل: ابن غافل بن هذيل، كنيته أبو عبد الرحمن، ممن شهد بدرًا وسائر المشاهد، وكان من فقهاء الصحابة، سكن الكوفة حين كان يلي بيت المال بها ومات بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين، ودُفن بالبقيع وكان له يوم مات بضع وستون سنة.

انظر: «الإصابة» لابن حجر: (٢/ ٣٦٨)، و«مشاهير علماء الأمصار» للبستي: (ص١٠)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/ ٣٩٥).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٤) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: (٤/ . . .، ٦٠٧/ ١٠٥)، كتاب البر والصلة (٤٥)، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلفظه، إلا أن بدل قوله: «ولا يزال» كلمة «وما يزال». وكذلك هو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٠، كتاب الأدب (٧٨)، باب (٦٩)، ح٦٠٩٤؛ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مقارب.

(٥) سورة الانفطار، الآيتان: ١٣ ـ ١٤.

ولهذا كان بعض المشائخ إذا أمر بعض[1] متبعيه بالتوبة، وأحب أن لا ينفره ويتعب قلبه، أمره بالصدق. ولهذا يكثر في كلام[2] مشائخ الدين وأئمته ذكر الصدق والإخلاص حتى يقولوا[3]: قل لمن لا يصدق لا يتبعنا[4].

ويقولوا[5]: الصدق سيف الله في الأرض، ما وضع على شيء إلا قطعه[6].

ويقول يوسف بن أسباط وغيره: ما صدق الله عبد إلا صنع له[7]. وأمثال هذا كثير.

---

(١) «بعض» ساقط من «س».

(٢) «كلام» ساقط من «س».

(٣) في «ص» و«د»: «يقولون» وهو خطأ، لأن الفعل المضارع منصوب بأن المضمرة بعد حتى.

(٤) في «ص» و«د»: «يتبعني» وهو خطأ؛ لأن الضمير يعود على المتكلم وهو جماعة وليس مفرد، وفي «تلبيس إبليس» لابن الجوزي: (ص١٥٢) قال مالك بن دينار: قولوا لمن لم يكن صادقًا لا تتعب.

(٥) في «ص» و«د»: «ويقولون» وهو خطأ؛ لأن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه وهو معطوف على منصوب وهو «يقولوا» الذي جاء بعد «حتى» وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة.

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٥٢): (قال ذو النون المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصدق سيف الله، ما وضع على شيء إلا قطعه).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» للأصبهاني: (٨/ ٢٤٣)، ونصه هناك: (وإن علم الله منك الصدق رجوت أن يصنع الله لك). وهو يوسف بن أسباط بن واصل، الشيباني، الكوفي، نزل قرية بين حلب وإنطاكية تسمى «شيح»، حدث عن عامر بن شريح، وسفيان الثوري، وياسين الزيات. قال يحيى بن معين: ثقة ويكنى أبا محمد. وقال ابن حبان: في «الثقات». كان من عباد أهل الشام وقرائهم، مات سنة خمس وتسعين ومائة، وقيل: توفي قبل المائتين بسنة. انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨)، و«حلية الأولياء» للأصبهاني: (٨/ ٢٣٧ ـ ٢٥٣)، و«صفوة الصفوة» لابن الجوزي: (٤/ ٢٦١ـ٢٦٦)، و«مشاهير علماء الأمصار» للبستي: (ص١٨٦ ـ ١٨٧). =

والصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام، فإن المظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق، والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق. فأساس النفاق الذي ينبني عليه هو الكذب، ولهذا إذا ذكر الله[1] حقيقة الإيمان نعته بالصدق، كما في قوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا [وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾][2] إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[4]. فأخبر أن الصادقين في دعوى الإيمان، هم المؤمنون الذين لم يتعقب[5] إيمانهم ريبة وجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم، وذلك أن هذا هو[6] العهد المأخوذ على الأولين والآخرين كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي [قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ][7]﴾[8] قال ابن

---

(١) لفظ الجلالة ساقط من «د».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «س» وبدلاً منه «إلى قوله».

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ١٤ ـ ١٥.

(٤) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٥) في «س»: «تتعقب».

(٦) في «د»: «العهد هو» بتأخير الضمير.

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من «س» وبدلاً منه كلمة «الآية».

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

عباس: ما بعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهم أحياء[1] ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ليؤمنن به ولينصرنه[2]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

فذكر ـ سبحانه ـ أنه أنزل الكتاب والميزان، وأنه أنزل الحديد لأجل القيام بالقسط، وليعلم الله من ينصره ورسله[4] ولهذا كان قوام الدين بكتاب[5] يهدي وسيف ينصر، وكفى بربك هاديًا ونصيرًا، والكتاب[6] والحديد وإن اشتركا في الإنزال، فلا يمنع أن يكون أحدهما نزل من حيث لم ينزل الآخر، حيث نزل الكتاب من الله كما قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[8].

---

(١) في «س»: «وهو حي».

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير»: (١/ ٣٧٨). وهو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، كنيته أبو عباس، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنين، كان حبر الأمة وترجمان القرآن، ابن عم رسول الله ﷺ دعا له الرسول ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين»، مات بالطائف سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» للبستي: (ص٩)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/ ٧٤٦)، و«الإصابة» لابن حجر: (٢/ ٣٣٠)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٥/ ٢٧٦).

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٤) في «ص»: «وليعلم من ينصر الله ورسوله».

(٥) في «د»: «الكتاب».

(٦) «والكتاب» ساقط من «س».

(٧) سورة الزمر، الآية: ١.

(٨) سورة هود، الآية: ١.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾(1).

والحديد أنزل من الجبال التي يخلق فيها(2)، وكذلك وصف(3) الصادقين في دعوى البر الذي هو جماع الإيمان(4) في قوله: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ [ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ](5) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(6)، وأما المنافقون فوصفهم سبحانه بالكذب في آيات متعددة، كقوله تعالى: ﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾(7)، وقوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾(8)، وقوله تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾(9)، ونحو ذلك في(10) القرآن كثير.

---

(1) سورة النمل، الآية: ٦.
(2) في «ص»: «منها».
(3) «وصف» ساقط من «د».
(4) في «س»: «الدين».
(5) ما بين المعقوفين ساقط من «س» وبدلاً منه: «إلى قوله».
(6) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.
(7) سورة البقرة، الآية: ١٠.
(8) سورة المنافقون، الآية: ١.
(9) سورة التوبة، الآية: ٧٧.
(10) في «س»: «من».

ومما ينبغي أن يعرف أن[1] الصدق والتصديق يكون في الأقوال[2] والأعمال كقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «كتب على ابن آدم حظه من الزنا، فهو[3] مدرك ذلك لا محالة، فالعينان تزنيان وزناهما النظر، والأذنان تزنيان وزناهما السمع، واليدان تزنيان وزناهما البطش، والرجلان تزنيان وزناهما المشي، والقلب يتمنى ويشتهي، والفرج يصدق ذلك أو[4] يكذبه»[5].

ويقال: حملوا على العدو حملة صادقة، إذا كانت إرادتهم للقتال ثابتة[6] جازمة. ويقال: فلان صادق الحب والمودة ونحو ذلك. ولهذا يريدون بالصادق، الصادق في إرادته وقصده وطلبه، وهو الصادق في

---

(١) «أن» ساقط من «د».

(٢) في «د»: «وفي الأعمال».

(٣) في «ص»: «وهو».

(٤) في «س»: «ويكذبه».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الاستئذان (٧٩)، باب زنا الجوارح دون الفرج (١٢)، ح٦٢٤٣، ولفظه: قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهيد والفرج يصدق ذلك ويكذبه».
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (٥)، ح٢٦٥٧، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا، مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليدان زناهما البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه».

(٦) في «د»: «ثانية» وهذا تصحيف وهو خطأ واضح.

عمله، ويريدون الصادق في خبره وكلامه، والمنافق ضد المؤمن الصادق، وهو الذي يكون كاذبًا في خبره أو كاذبًا في عمله، كالمرائي بعمله[1].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ [يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ]﴾[2].

وأما الإخلاص لله[3] فهو حقيقة الإسلام؛ إذ الإسلام هو الاستسلام لله لا لغيره، كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ[4]﴾. فمن لم يستسلم لله[5] فقد استكبر، ومن استسلم له[6] ولغيره فقد أشرك، وكل من الكبر والشرك [ضد الإسلام، والإسلام ضد الكبر والشرك][7]، ويستعمل لازمًا ومتعديًا، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[8]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ][9]﴾، وأمثال ذلك في القرآن[10] كثير.

---

(١) في «س»: «في عمله بعمله».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «س»، وبدلاً منه فيها: «الآيتين» سورة النساء: ١٤٢-١٤٣.

(٣) لفظ الجلالة ساقط من «ص».

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من «س»، وبدلاً منه الآية، وفي «د» سقط قوله: ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢٩].

(٥) لفظ الجلالة ساقط من «س».

(٦) في «س»: «لله».

(٧) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٣١.

(٩) ما بين المعقوفين ساقط من «س»، وبدلاً منه الآية وهي في سورة البقرة: ١١٢.

(١٠) «القرآن» ساقط من «د».

ولهذا كان عنوان(١) الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وهي متضمنة عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه، وهو الإسلام العام الذي لا يقبل الله من أحد من الأولين والآخرين دينًا سواه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(٣).

وهذا الذي ذكرناه مما يبين أن أصل الدين في الحقيقة: هي الأمور الباطنة من العلوم والأعمال، وأن الأعمال الظاهرة لا تنفع بدونها، كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد(٤) في «مسنده»: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب»(٥).

---

(١) «عنوان» ساقط من «س»، وفي «د» بدلاً منه: «رأس».

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ١٨ ـ ١٩.

(٤) أحمد بن حنبل: الإمام المحدث، وُلد ببغداد سنة ١٦٤هـ، ونشأ بها، وكان رحمه الله زعيم المعارضين لأحمد بن داود في مسألة خلق القرآن. قال ابن المدني: إن الله أعز الإسلام برجلين أبي بكر يوم الرد، وابن حنبل يوم المحنة. وقال الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من ابن حنبل. ومن أشهر كتبه «المسند» جمع فيه ثلاثين ألف حديث توفي رحمه الله سنة ٢٤١هـ.
انظر: «طبقات الحنابلة» لابن يعلى: (١/ ٤ ـ ٢٠)، و«تاريخ بغداد»: (٤/ ٤١٢)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (١/ ٩ ـ ١٦١).

(٥) «مسند الإمام أحمد بن حنبل»: (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥)، عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «الإسلام علانية، والإيمان في القلب، قال: ويشير بيده إلى صدره ثلاث مرات قال: ثم يقول: التقوى ههنا التقوى ههنا».
وذكره الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته»: حديث رقم (٢٢٨٠) وعزاه إلى=

ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه عن النعمان بن بشير[1] عن النبي ﷺ: «الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبين ذلك أمور مشتبهات، لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه[2]، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى[3] حول الحمى يوشك أن يواقعه[4]، ألا وإن لكل ملك حمى ألا[5] وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد كله، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد ألا[5] وهي القلب»[6].

---

= ابن أبي شيبة عن أنس، وقال عنه: ضعيف. وأعله بأن فيه علي بن مسعدة قال العقيلي: في الضعفاء. قال البخاري: فيه نظر. وانظر: «تخريج الألباني على شرح الطحاوية»: (ص٣٢٨).

(١) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري، أبو عبد الله، سكن الكوفة مدة، وكان أميرها في عهد معاوية، ثم خرج إلى الشام وولي قضاء دمشق، وقتل بحمص، وكان عاملاً لابن الزبير على حمص سنة خمس وستين، وقيل: قتل سنة ست وستين. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥٠، رقم٣٣٢)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١٠/٤٤٧).

(٢) في «س»: «لعرضه ودينه».

(٣) «يرعى» ساقط من «ص».

(٤) في «س»: «أن يقع فيه».

(٥) «ألا» ساقطة من «س» و«ص» في الموضعين.

(٦) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب فضل من استبرأ لدينه (٣٩)، ح٥٢، عن النعمان ابن بشير يقول: سمع رسول الله ﷺ يقول: «الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». =

وعن أبي هريرة[1] قال: «القلب ملك، والأعضاء جنوده، [فإذا طاب الملك طابت جنوده][2] وإذا خبث الملك خبث جنوده»[3].

* * *

= وهو في «صحيح مسلم»: ج٣، كتاب المساقاة (٢٢)، باب (٢٠)، ح١٥٩٩/١٠٧، بلفظ نحوه.

(١) أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، اليماني، صاحب رسول الله ﷺ وحافظ الصحابة، اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافًا كثيرًا، وهو أكثر الصحابة رواية لحديث رسول الله ﷺ. مات أبو هريرة سنة سبع وخمسين، وقيل غير ذلك.
انظر: «الإصابة» لابن حجر: (٤/ ٢٠٢)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١٢/ ٢٦٢)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص١٥، رقم٤٦).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٣) أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير». انظر: «فيض القدير»: (٤/ ٥٣٨)، وذكر أنه في «شعب الإيمان» للبيهقي. وذكره الألباني في «ضعيف الجامع الصغير»: (٤/ ١٣١، رقم٤٠١٤٢)، وهو في «سلسلة الأحاديث الضعيفة: برقم (٤٠٧٤).

# فصل

وهذه الأعمال الباطنية ـ كمحبة الله، والإخلاص له، والتوكل عليه، والرضا عنه، ونحو ذلك، كلها مأمور بها في حق الخاصة والعامة، لا يكون تركها محمودًا في حال أحد، وإن ارتقى مقامه.

وأما الحزن فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع وإن تعلق بأمر الدين كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[2]، وكقوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[5]. وأمثال ذلك كثير[6].

وذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به، نعم لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم، كما يُحزن على المصائب[7] كما قال النبي ﷺ: «إن الله لا يؤاخذ بدمع[8] العين،

---

(١) «إن كنتم مؤمنين» ساقط من «س» و«ص». سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

(٢) «مما يمكرون» ساقط من «س». سورة النحل، الآية: ١٢٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٠.

(٤) سورة يونس، الآية: ٦٥.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٢٣.

(٦) «كثير» ساقط من «ص».

(٧) في «س»: «كما يحرم على المعتدي».

(٨) في «د» و«س»: «على دمع».

ولا بحزن[1] القلب، ولكن يؤاخذ على هذا ويرحم وأشار بيده[2] إلى لسانه»[3]. وقال[4] ﷺ: «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي الرب»[5]. ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[6].

وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه ويكون محمودًا من تلك الجهة لا من جهة الحزن؛ كالحزين على مصيبة في دينه وعلى مصائب المسلمين عمومًا، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير

---

(١) في «س» و«د»: «ولا على حزن».

(٢) «بيده» ساقط من «د».

(٣) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، باب البكاء عند المريض (٤٤)، ح١٣٠٤، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: «اشتكى سعد بن عبادة شكوى له، فأتاه النبي ﷺ يعوده مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم -، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي ﷺ، فلما رأى القوم بكاء النبي ﷺ بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه».

(٤) في «ص»: «قوله».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، باب قول النبي ﷺ: «إنا بك لمحزونون»، ح١٣٠٣، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - بلفظ مقارب وفيه: فقال ﷺ: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربَّنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» مع زيادة في أول الحديث.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٨٤.

وبغض الشر وتوابع ذلك. ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى[1] ترك مأمور من الصبر والجهاد، وجلب منفعة ودفع مضرة نهي عنه[2]، وإلا[3] كان حسب صاحبه رفع الإثم عنه من جهة الحزن.

وأما إن أفضى إلى ضعف القلب، واشتغاله به عن فعل ما أمر الله به ورسوله، كان مذمومًا عليه من تلك الجهة، وإن كان محمودًا من جهة أخرى.

وأما المحبة لله والتوكل عليه والإخلاص له[4] ونحو ذلك، فهذه كلها خير محض، وهي حسنة محبوبة[5] في حقِّ كل النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ومن قال: إن هذه المقامات تكون للعامة دون الخاصة فقد غلط في ذلك، إن أراد خروج الخاصة عنها، فإن هذه لا يخرج عنها مؤمن قط، وإنما يخرج عنها كافر[6] ومنافق، وقد تكلم بعضهم في ذلك بكلام بيَّنَّا غلطه فيه، وأنه تقصير في تحقيق هذه المقامات من مدة بكلام مبسوط[7] وليس هذا موضعه[8].

ولكن هذه المقامات ينقسم الناس فيها إلى خصوص وعموم،

---

(١) في «س»: «على».

(٢) في «س»: «منهي عنه».

(٣) في «س»: «ولا».

(٤) «له» ساقط من «س».

(٥) في «س»: «محسوبة» وهو تصحيف.

(٦) في «ص»، و«د»: «كافرًا» وهو خطأ؛ لأنه فاعل ليخرج، وحكمه الرفع لا النصب.

(٧) الواو ساقط من «ص».

(٨) انظر على سبيل المثال: «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١/ ٢٤٢)، وقد سبق بيان من جعل بعض أعمال القلوب للعامة دون الخاصة في القسم الأول من هذه الرسالة.

فللخاصة خاصها وللعامة عامها، مثل ذلك؛ أن هؤلاء قالوا: التوكل مناضلة عن النفس في طلب القوت، والخاص لا يناضل عن نفسه. وقالوا: المتوكل يطلب بتوكله أمرًا من الأمور، والعارف يشهد الأمور[1] مفروغًا[2] منها[3] فلا يطلب شيئًا.

فيقال: أما الأول فإن التوكل أعم من التوكل[4] في مصالح الدين أو[5] الدنيا، فإن التوكل يتوكل على الله سبحانه في صلاح قلبه ودينه وحفظ إيمانه وزيادته[6]، وهذا أهم[7] الأمور إليه، ولهذا[8] يناجي ربه في كل[9] صلاة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[10]، كما في قوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ﴾[11]، وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[12]. [وقوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾][13]،

---

(١) في «ص»: «الأمر».

(٢) في «س»: «بفروعها» وهذا تصحيف.

(٣) في «ص»: «منه».

(٤) في «ص»: «المتوكل» وهذا تصحيف.

(٥) قوله: «الدين أو» ساقط من «س» و«د».

(٦) في «س»: «وحفظه لسانه وإرادته».
وفي «د»: «وحفظ لسانه وإرادته».

(٧) في «د»: «لأهم» وهذا تصحيف.

(٨) في «د»: «وهذا» وهذا تصحيف.

(٩) «كل» ساقط من «س».

(١٠) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(١١) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(١٢) سورة هود، الآية: ٨٨، وكذلك سورة الشورى، الآية: ١٠.

(١٣) ما بين المعقوفين ساقط من «س»، والآية في سورة الرعد الآية: ٣٠.

فهو[١] قد جمع بين العبادة والتوكل في عدة مواضع؛ لأن هذين يجمعان الدين كله، ولهذا قال من قال من السلف: إن الله جمع الكتب المنزلة في القرآن، وجمع علم القرآن في المفصل وجمع علم المفصل في فاتحة الكتاب، وجمع علم فاتحة الكتاب في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢]، وهاتان الكلمتان هما الجامعتان اللتان للرب والعبد، كما جاء[٣] في الحديث الصحيح الذي في «صحيح مسلم»[٤] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله سبحانه وتعالى[٥]: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل»،

---

(١) في «س» و«د»: «فهذا» وهو خطأ.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥، وفي «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى» (١٦/١٧) ما نصه: (وقال الحسن البصري: أنزل الله مائة كتاب وأربعة كتب من السماء أودع علومها أربعة منها: التوراة والإنجيل والزبور والقرآن، ثم أودع علوم هذه الأربعة الفرقان، ثم أودع علوم القرآن المفصل، ثم أودع علوم المفصل فاتحة الكتاب. فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة، ومن قرأها فكأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن) اهـ.
وقال ابن القيم في «مدارج السالكين» (١/ ٧٤): (وسر الخلق والأمر والكتب والشرائع، والثواب والعقاب، انتهى إلى هاتين الكلمتين، وعليهما مدار العبودية والتوحيد) اهـ.

(٣) كلمة «جاء» ساقطة من «س» و«د».

(٤) الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، النيسابوري، صاحب كتاب «الصحيح» وُلد سنة أربع ومائتين، وتوفي بنيسابور عشية الأحد، ودُفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين من الهجرة. انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١٠/ ١٢٧)، و«تذكرة الحفاظ»: (ص١١١٤ ـ ١١٣٧).

(٥) في «د»: «يقول عز وجل».

قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: الحمد لله رب العالمين. يقول الله: حمدني عبدي. يقول: الرحمن الرحيم. يقول الله: أثنى عليَّ عبدي. يقول: مالك[١] يوم الدين. يقول الله: مجدني عبدي. يقول العبد: إياك نعبد وإياك نستعين. يقول الله: فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل. يقول العبد: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. يقول الله: فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل»[٢].

---

(١) في «د»: «ملك».
وهي قراءة صحيحة في الآية، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٤) ما نصه: (قرأ بعض القراء ﴿ملك يوم الدين﴾ وقرأ آخرون ﴿مالك﴾ وكلاهما صحيح متواتر في السبع) اهـ.
وقال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ١٤٠): (اختلف العلماء أيهما أبلغ ملك أو مالك؟ والقراءتان مرويتان عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر) اهـ.
وفي كتاب «التبصرة في القراءات السبع» لمكي بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٣٧هـ/ ١٠٤٥م بتصحيح وتعليق محمد غوث الندوي، ما نصه: (قرأ عاصم والكسائي ﴿مالك﴾ بالألف، وقد روى أبو الحارث عن الكسائي ﴿ملك﴾ بغير ألف، وقرأ الباقون بغير ألف، وأجمعوا على كسر الكاف من ملك، من غير البلوغ ياءً) اهـ.

(٢) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: (١/ . . . ، ح٣٨)، كتاب الصلاة (٤)، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة . . . إلخ (١١)، عن أبي هريرة . . . فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل. فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين. قال الله تعالى: حمدني عبدي. وإذا قال: الرحمن الرحيم. قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي. وإذا قال: مالك يوم الدين. قال: مجدني عبدي (وقال مرة: فوض إلي عبدي) فإذا قال: إياك نعبد، وإياك نستعين. قال: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل. فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل». =

فالرب سبحانه له نصف الثناء والخير[1]، والعبد له نصف الدعاء والطلب، وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد. فإياك نعبد للرب، وإياك نستعين للعبد. وفي[2] «الصحيحين» عن معاذ[3] ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنت رديف النبي[4] ﷺ فقال[5]: يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على عباده[6] أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا. أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: حقهم عليه أن لا يعذبهم»[7].

---

(١) في «س» و«د»: «الخير.

(٢) في «ص»: «كما».

(٣) هو الصحابي الفقيه العالم أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي، أسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة، وشهد المشاهد مع رسول الله ﷺ، هو أعلم الأمة بالحلال والحرام، وقد أصيب بالطاعون عندما وقع بالشام، توفي ـ رضي الله عنه ـ سنة ١٧هـ. انظر: «البداية والنهاية»: (٧/ ٨٧٠)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (١/ ٢٢٨)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥٠).

(٤) في «ص»: «رسول الله».

(٥) في «ص»: «فقال لي».

(٦) في «س»: «العباد».

(٧) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٦، كتاب الجهاد (٥٦)، باب اسم الفرس والحمار (٤٦)، ح٢٨٥٦، عن معاذ ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عفير، فقال: يا معاذ، هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا. فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا».

والعبادة هي: الغاية التي خلق الله لها العباد من جهة أمر الله ومحبته ورضاه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وبها أرسل الله[2] الرسل وأنزل الكتب، وهي اسم يجمع كمال الحب ونهايته، وكمال الذل لله ونهايته، فالحب الخلي عن ذل، والذل الخلي عن حب لا يكون عبادة، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين. ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله، وهي وإن كانت منفعتها للعبد، والله غني عن العالمين، فهي له من جهة محبته لها ورضاه بها، ولهذا كان الله أشد فرحًا بتوبة العبد من الفاقد لراحلته عليها طعامه وشرابه في أرض دوية[3] مهلكة، إذ[4] نام آيسًا منها ثم استيقظ فوجدها، فالله أشد فرحًا بتوبة عبده من هذا براحلته[5] وهذا يتعلق به أمور جليلة قد بسطناها وشرحناها في غير هذا الموضع[6].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٢) لفظ الجلالة ساقط من «س».

(٣) الأرض الدّوّية: المفازة. انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٢١٧)، و«لسان العرب» لابن منظور: (١/ ١٠٣٩)، مادة: «دوا».

(٤) في «س» و«ص»: «إذا».

(٥) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب التوبة (٤٩)، باب في الحض على التوبة والفرح بها (١)، ح٢٧٤٤، عن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

(٦) انظر على سبيل المثال: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية رحمه الله تعالى: (١٠/ ٣٠٤)، وكذلك «جامع الرسائل» لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، رسالة في التوبة: (ص٢١٧ ـ ٢٧٩).

والتوكل والاستعانة للعبد؛ لأنه هو الوسيلة والطريق الذي ينال به مقصوده ومطلوبه من العبادة، فالاستعانة كالدعاء والمسئلة. وقد روى الطبراني[(١)] في كتاب «الدعاء» عن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل: يا ابن آدم إنما هي أربع: واحدة لي وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين خلقي، فأما التي هي[(٢)] لي، فتعبدني لا تشرك بي شيئًا، وأما التي هي لك، فعملك[(٣)] أجازيك[(٤)] به أحوج ما تكون إليه، وأما التي بيني وبينك، فمنك الدعاء وعليّ الإجابة، وأما التي بينك وبين خلقي، فأت إلى الناس ما تحب أن يأتوه إليك[(٥)]»[(٦)].

---

(١) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم من كبار المحدثين أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته، ولد بعكا ورحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، وتوفي بأصبهان، له ثلاثة معاجم في الحديث، وله كتب في التفسير وغير ذلك. انظر: «الأعلام» لخير الدين الزركلي: (٣/ ١٨٢)، و«تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٣/ ٩١٢).

(٢) «هي» ساقط من «س» و«د».

(٣) قوله «فعملك» ساقط من «س».

(٤) في «د»: «أجزيك».

(٥) في «س»: «لك».

(٦) والحديث في «فيض القدير»: (٤/ ٤٩٧)، لكن بلفظ: «ثلاثة». قال الله تعالى: (يا ابن آدم ثلاث: واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، فأما التي لي: فتعبدني ولا تشرك بي شيئًا، وأما التي لك: فما عملت من عمل جزيتك به، فإن أغفر فأنا الغفور الرحيم، وأما التي بيني وبينك: فعليك الدعاء والمسألة وعلى الاستجابة والعطاء) في الطبراني عن سلمان الفارسي، رمز له السيوطي بأنه حسن. قال الهيثمي: وفيه حميد بن الربيع مدلس وفيه ضعف. وذكره الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته»: (٤/ برقم٤٠٦٢)، وعزاه إلى الطبراني في «الأوسط» عن سلمان، وقال: ضعيف وهو في «الأحاديث الضعيفة»: برقم (٤١٥٢).

وكون هذا للرب[1] وهذا للعبد، هو باعتبار تعلق المحبة والرضا ابتداء، فإن العبد ابتداء يحب[2] ويريد ما يراه ملائمًا له [والله تعالى يحب ويرضى ما هو الغاية المقصودة في رضاه، وحبه[3] الوسيلة تبعًا لذلك][4]، وإلا فكل مأمور به فمنفعته[5] عائدة على العبد، وكل ذلك يحبه الله ويرضاه، وعلى هذا فالذي ظن أن التوكل من المقامات العامة ظن أن التوكل لا يطلب به[6] إلا حظوظ الدنيا، وهو غلط بل التوكل في الأمور الدينية أعظم.

وأيضًا فالأمور[7] الدينية التي لا تتم الواجبات أو المستحبات إلا بها هي من الدين، والزاهد[8] فيها زاهد[9] فيما يحبه الله ويأمر به ويرضاه.

والزهد المشروع: هو ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهي[10] فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله، كما أن الورع المشروع: هو ترك ما قد يضر في الدار الآخرة وهو ترك المحرمات والشبهات التي[11] لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرجح منها؛ كالواجبات.

---

(١) في «س» و«د»: «لله».
(٢) قوله: «فإن العبد ابتداء يحب» ساقط من «د».
(٣) في «د»: «ويحب».
(٤) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».
(٥) في «د»: «فمنعنه» وهو تصحيف.
(٦) في «د»: «منه به».
(٧) الفاء ساقطة من «س» و«د».
(٨) في «ص»: «والزهد».
(٩) في «ص»: «زهد».
(١٠) في «س»: «وهو».
(١١) «التي» ساقط من «د».

فأما[1] ما ينفع في الدار الآخرة بنفسه أو يعين[2] على ما ينفع في الدار الآخرة فالزهد فيه ليس من الدين، بل صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[3]، كما أن الاشتغال بفضول المباحات هو ضد الزهد المشروع، فإن اشتغل بها عن واجب أو فعل بها[4] محرمًا[5] كان عاصيًا وإلا كان منقوصًا عن درجة المقربين إلى درجة المقتصدين، وأيضًا فالتوكل هو محبوب لله مرضي له[6] مأمور به دائمًا، وما كان محبوبًا لله مرضيًا له[7] مأمورًا به دائمًا لا يكون من فعل المقتصدين دون المقربين. فهذه ثلاثة أجوبة عن قولهم: المتوكل لا يطلب حظوظه. وأما قولهم: إن الأمور قد فرغ منها: فهذا نظير ما قاله بعضهم في الدعاء: (إنه لا حاجة إليه؛ لأن المطلوب إن كان مقدرًا فلا حاجة إليه، وإن لم يكن مقدرًا لم ينفع الدعاء). وهذا القول من أفسد الأقوال شرعًا وعقلاً.

وكذلك قول من قال: (التوكل و[8] الدعاء لا يجلب به منفعة ولا يدفع به مضرة وإنما هو عبادة محضة، وأن حقيقة التوكل بمنزلة حقيقة التفويض المحض). وهذا وإن كان قاله طائفة من المشايخ، فهو غلط أيضًا،

---

(١) في «د»: «وأما».

(٢) «يعين» ساقط من «س».

(٣) سورة المائدة، الآية: ٨٧.

(٤) «بها» ساقط من «س» و«ص».

(٥) في «س» و«ص»: «محرم» وهو خطأ؛ لأنه مفعول به فحكمه النصب.

(٦) «له» ساقط من «س» و«ص».

(٧) «له» ساقط من «س» و«ص».

(٨) في «د»: «أو».

وكذلك قول من قال: (إن[1] الدعاء إنما هو علامة[2] محضة). فهذه الأقوال وما أشبهها يجمعها أصل واحد، وهو أن هؤلاء ظنوا أن كون الأمور مقدرة مقضية يمنع أن يتوقف على أسباب مقدرة أيضًا تكون من العبد، ولم يعلموا أن الله ـ سبحانه ـ يقدر الأمور ويقضيها بالأسباب التي جعلها[3] معلقة بها من أفعال العباد وغير أفعالهم، ولهذا كان طرد قولهم يوجب تعطيل الأعمال بالكلية، وقد سئل النبي ﷺ عن هذا الأصل فأجاب عنه، كما أخرجاه[4] في «الصحيحين» عن عمران بن حصين[5] قال: «قيل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله[6]، أَعُلم أهل الجنة من أهل النار؟! قال: نعم، قيل[7]: ففيم العمل؟! قال: كلٌّ ميسرٌ لما خُلق له»[8].

---

(١) «أن» ساقط من «س» و«ص».

(٢) في مطبوعة «الفتاوى» (١٠/ ٢٢): «عبادة» وهو خطأ وكذلك مطبوعة المكتب الإسلام، نشر قصي محب الدين الخطيب: (ص٤٤).

(٣) في «س»: «يجعلها».

(٤) في «س» و«ص»: «أخرجا».

(٥) هو عمران بن حصين الخزاعي الأزدي، كنيته أبو نجيد، من عباد الصحابة مات سنة ٥٢هـ. انظر: «مشاهير علماء الأمصار» للبستي: (ص٣٧).

(٦) قوله: «يا رسول الله» ساقط من «د».

(٧) في «س» و«ص»: «قال».

(٨) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب القدر (٨٢)، باب جف القلم على علم الله . . . إلخ (٢)، ح٦٥٩٦، عن عمران بن حصين قال: قال رجل: يا رسول الله، أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: نعم. قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق له، أو لما يسر له».
وهو في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، باب (١)، ح٩/٩٦٤٩، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

وفي «الصحيحين» عن علي بن أبي طالب[1] قال: «كنا في جنازة فيها رسول الله ﷺ فجلس ومعه مخصرة، فجعل[2] ينكت بالمخصرة في الأرض ثم رفع رأسه وقال: ما منكم من أحد[3]، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من النار أو الجنة إلا[4] وقد كتبت شقية أو سعيدة. قال: فقال رجل من القوم: يا نبي الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل، فمن كان من أهل السعادة ليكونن إلى السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة ليكونن إلى الشقاوة، قال: اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلق له».

أما أهل السعادة فييسرون للسعادة، وأما أهل الشقاوة فيصيرون[5] للشقاوة، ثم قرأ[6] نبي الله ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾»[7].

---

(١) هو علي بن أبي طالب، ويكنى أبا الحسن ـ رضي الله عنه ـ، وُلد سنة ٢٢ قبل الهجرة وهو رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وابن عم النبي وصهره، استشهد في سنة ٤٠هـ. انظر: «صفة الصفوة»: (١/٣٠٨ ـ ٣٣٥)، و«الاستيعاب» لابن عبد البر: (ص١٠٨٩)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص٦).

(٢) «فجعل» ساقط من «س» و«ص».

(٣) قوله: «ما منكم من أحد» ساقط من «س» و«ص».

(٤) الواو ساقطة من «د».

(٥) في «د» و«ص»: «فييسرون».

(٦) في «س» و«د»: «قال».

(٧) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، ح١٣٦٢، باب موعظة المحدث عند القبر، وقعود أصحابه حوله (٨٢)، عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا النبي ﷺ فقعد، وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو=

أخرجه الجماعة في الصحاح والسنن والمسانيد.

وروى الترمذي[١]: «أن النبي ﷺ سئل فقيل: يا رسول الله[٢]، أرأيت أدوية نتداوى بها، ورقى نسترقي[٣] بها، وتقى نتقيها[٤]، هل ترد من[٥] قدر الله شيئًا؟ فقال: هي من قدر الله»[٦].

وقد جاء هذا المعنى عن النبي ﷺ في عدة أحاديث، فبين ﷺ أن

---

= سعيدة. فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: أما أهل السعادة فييسرون لعمل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل الشقاوة. ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى﴾ الآية [سورة الليل، الآيات: ٥ ـ ١٠]».

وهو في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، باب (١)، ح٢٦٤٧/٦، عن علي ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(١) في «ص» بياض.

والترمذي هو الإمام الحافظ أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي، مصنف «الجامع» وكتاب «العلل». ومات في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ.

انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٢/ ٦٣٣).

(٢) قوله: «فقيل: يا رسول الله، أرأيت» ساقط من «د»، وبدلاً منه «عن».

(٣) في «ص» و«د»: «يسترقى».

(٤) في «س»: «نتقي بها».

(٥) في «س»: «عن».

(٦) «سنن الترمذي»: ج٤، كتاب الطب (٢٩)، باب ما جاء في الرقي والأدوية (٢١)، ح٢٠٦٥، عن أبي خزامة عن أبيه قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أرأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «هي من قدر الله».

قال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

تقدم العلم والكتاب[1] بالسعيد والشقي، لا ينافي أن تكون سعادة هذا بالأعمال الصالحة وشقاوة هذا بالأعمال السيئة، فإنه ـ سبحانه وتعالى ـ يعلم الأمور على ما هي عليه[2]، وكذلك[3] يكتبها، فهو يعلم أن السعيد يسعد[4] بالأعمال الصالحة، والشقي يشقى[5] بالأعمال السيئة. فمن كان سعيدًا يسر للأعمال الصالحة التي تقتضي السعادة، ومن كان شقيًّا يسر للأعمال السيئة التي تقتضي الشقاوة، وكلاهما ميسر لما خُلق له، وهو ما يصير إليه من مشيئة الله العامة الكونية التي ذكرها الله سبحانه في كتابه في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[6]، وأما ما خلقوا له من محبة الله ورضاه، وهو إرادته الدينية التي[7] أمروا[8] بموجبها، فذلك مذكور[9] في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[10].

والله سبحانه قد بيّن في كتابه[11]، في كل واحدة من الكلمات

---

(١) في «س»: «العمل والكتابة» وفيه تصحيف ظاهر خطأه.

(٢) «عليه» ساقط من «د».

(٣) «كذلك» ساقط من «ص».

(٤) في «د»: «سعيد».

(٥) في «د»: «شقي».

(٦) سورة هود، الآيتان: ١١٨ ـ ١١٩.

(٧) «التي» ساقط من «س».

(٨) في «س»: «أمر».

(٩) في «س»: «مذكر» وهذا تصحيف.

(١٠) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(١١) في «س» أخر قوله: «في كتابه» بعد قوله: «في كل واحدة».

والأمر[1]، والإرادة، والإذن والكتاب، والحكم والقضاء، والتحريم، ونحو ذلك؛ ما هو ديني موافق لمحبة الله ورضاه[2]، وأمره الشرعي، وما هو كوني موافق لمشيئته الكونية.

مثال ذلك أنه قال في الأمر الديني: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[4]، ونحو ذلك. وقال في الكوني: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[5]، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[6] [على أحد الأقوال[7] في هذه الآية][8].

---

(١) في «د»: «والأمور».

(٢) في «ص»: «لمحبته ورضاه».

(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٤) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٥) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ١٦، وقوله تعالى ﴿فدمرناها تدميرًا﴾ ساقط من «س».

(٧) في «تقريب النشر في القراءات العشر» لابن الجوزي (ص١٣٣) قال: (قرأ يعقوب ﴿أمرنا﴾ بمد الهمزة والباقون بقصرها) وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٣٢): (اختلف القراء في قراءة قوله ﴿أمرنا﴾ فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون في معناها فقيل معناه: أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمرًا قدريًّا كقوله تعالى: ﴿أتاها أمرنا ليلاً أو نهارًا﴾ فإن الله لا يأمر بالفحشاء. قالوا: معناه: أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب. وقيل: معناه: أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة) انتهى.

وانظر في ذلك: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (١/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤).

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».

وقال في الإرادة الدينية: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[1]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[2]، ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ﴾[3]. وقال في الإرادة الكونية: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[4]، وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[5]. وقال نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[6]، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[7].

وقال في الإذن الديني[8]: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[9]، وقال تعالى في الكوني: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[10].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ٢٦.
وقوله تعالى: ﴿ويتوب عليكم﴾ ساقط من «س».

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة هود، الآية: ٣٤.

(٧) سورة يس، الآية: ٨٢.

(٨) قوله: «الديني» ساقط من «س».

(٩) سورة الحشر، الآية: ٥.

(١٠) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

وقال في القضاء الديني: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1]، أي: أمر. وقال تعالى في الكوني: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾[2].

وقال تعالى في الحكم الديني: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾[4]، وقال تعالى في الكوني عن ابن يعقوب: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[6].

وقال تعالى في التحريم الديني: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾[8] الآية. وقال تعالى في التحريم الكوني: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾[9]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[10].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٢.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١.

(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.

(٥) سورة يوسف، الآية: ٨٠.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١١٢.

(٧) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٨) سورة النساء، الآية: ٢٣.
وفي «د» أورد الآية بكاملها.

(٩) سورة المائدة، الآية: ٢٦.

(١٠) هاتان الآيتان ساقطتان من «س». وهما في سورة المعارج، الآيتان: ٢٤ ـ ٢٥.

وقال في الكلمات الدينية: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[1]، وقال تعالى في الكونية: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾[2]. ومنه قوله ﷺ المستفيض عنه من وجوه في الصحاح[3] والسنن[4] والمسانيد[5] أنه كان يقول في استعاذته: «أعوذ بكلمات الله

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٣) «صحيح البخاري بشرح فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٦، كتاب الأنبياء (٦٠)، باب (١٠)، ح٣٣٧١، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: إن أباكما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق: أعوذ بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة».
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره (١٦)، ح٢٧٠٩، عن أبي هريرة أنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ قال: «أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك».

(٤) وكذلك الحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده في «سنن أبي داود»: (٤/ ١٢)، كتاب الطب، باب كيف الرقى.
وأخرج الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (٤١)، عن خولة بنت حكيم السلمية عن رسول الله ﷺ، قال: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك». قال: هذا حسن صحيح غريب.

(٥) وأخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٩): حدثنا عبد الله، حدثني أبي، حدثنا عفان، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا أبو التياح، قال: «سأل رجل عبد الرحمن بن حنبش كيف صنع رسول الله ﷺ حين كادته الشياطين، قال: جاءت الشياطين إلى رسول الله ﷺ من الأودية وتحدرت عليه من الجبال وفيهم شيطان ومعه شعلة من نار يريد أن=

التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر».

ومن المعلوم أن هذا هو الكوني الذي لا[1] يخرج منه شيء عن مشيئته وتكوينه، وأما كلمات دينه[2] فقد خالفها الفجار بمعصيته.

والمقصود هنا: أنه ﷺ بيّن أن العواقب التي خلق لها الناس من سعادة وشقاوة ييسرون لها بالأعمال التي يصيرون بها إلى ذلك. كما أن سائر المخلوقات كذلك فهو ـ سبحانه ـ يخلق الولد وسائر الحيوان[3] في الأرحام بما يقدره من اجتماع الأبوين[4] على النكاح واجتماع المائين في الرحم، فلو قال الإنسان: أنا أتوكل ولا أطأ زوجتي فإن كان الله[5] قد قضى لي بولد وجد[6] وإلا لم يوجد، ولا حاجة لي إلى وطء، كان أحمق

---

= يحرق بها رسول الله ﷺ قال: فرعب، قال جعفر: أحسبه قال: جعل يتأخر قال وجاء جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، قل. قال: ما أقول. قال: قل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن، فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله عز وجل».

وقال في «الفتح الرباني لترتيب مسند امام أحمد» تأليف أحمد عبد الرحمن البنا: (١٤/ ٢٦٠) في كتاب الأذكار والدعوات، باب ما يقال لدفع كيد الشياطين وتمردهم على الإنسان، قال: سنده جيد.

(١) «لا» ساقط من «د».

(٢) في «س»: «دينية».

(٣) في «د»: «الحيوانات».

(٤) في «د»: «من اجتماع على النكاح الأبوين».

(٥) لفظ الجلالة ساقط من «د» و«س».

(٦) «وجد» ساقط من «د».

بخلاف ما إذا وطيء وعزل[1] الماء، فإن عزل الماء لا يمنع انعقاد الولد إذا شاءه[2] الله؛ إذ قد يسبق بغير اختياره.

وقد ثبت[3] في «الصحيح» عن أبي سعيد الخدري قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة[4] بني المصطلق فأصبنا سبيًا من العرب، فاشتهينا النساء، واشتدت علينا العزبة وأحببنا العزل، فسألنا عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما عليكم إلا تفعلوا، فإن الله قد كتب ما هو خالق إلى يوم القيامة»[5].

وفي «صحيح مسلم» عن جابر[6] «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمتنا وسانيتنا[7] في النخل، وأنا أطوف عليها وأكره أن

---

(١) في «د»: «فإن عزل».

(٢) الهاء، الضمير ساقط من «س» و«د».

(٣) في «ص»: «ولهذا ثبت»، وفي «د»: «ومن هذا ما ثبت».

(٤) في «س»: «غزاة».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: (٢/ ، ح١٤٣٨)، كتاب النكاح (١٦)، باب حكم العزل (٢٢)، عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ وقد سئل عن العزل فقال: نعم. غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بالمصطلق فسبينا كرائم العرب فطالت علينا العزبة ورغبنا في الفداء. فأردنا أن نستمتع ونعزل. فقلنا: نفعل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا لا نسأله. فسألنا رسول الله ﷺ فقال: «لا عليكم أن لا تفعلوا. ما كتب الله خلق نسمة هي كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون».

(٦) الصحابي الجليل جابر بن عبد الله شهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها، توفي بالمدينة سنة ثلاث وسبعين وكان في الرابعة والتسعين من عمره.
انظر ترجمته في: «طبقات ابن سعد»: (٣/ ١٦٤)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص١١).

(٧) في «ص» هكذا: «فساسا»، وفي «س»: «وساقيتنا».

تحمل. فقال: اعزل عنها إن شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها»[١].

وهذا[٢] مع أن الله سبحانه قادر على ما قد فعله من خلق الإنسان من غير أبوين كما خلق آدم، ومن خلقه من أب فقط، كما خلق حواء من ضلع آدم القصير، ومن خلقه من أم فقط؛ كما خلق المسيح ابن مريم عليه السلام، لكن خلق ذلك بأسباب أخرى غير معتادة[٣] وهذا الموضع وإن كان إنما يجحده الزنادقة المعطلون للشرائع، فقد وقع في كثير من دقته كثير من المشايخ المعظمين، يسترسل أحدهم مع القدر غير محقق[٤] لما أمر به ونهى عنه، ويجعل ذلك من باب التفويض والتوكل والتجري مع الحقيقة القدرية، ويحسب أن قول القائل: ينبغي للعبد أن يكون مع الله كالميت بين يدي الغاسل[٥]. يتضمن ترك العمل بالأمر والنهي حتى يترك ما أمر به ويفعل ما نهي عنه وحتى يضعف عنده[٦] النور والفرقان الذي يفرق به بين

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب النكاح، (١٦)، باب حكم العزل (٢٢)، ح١٤٣٩، عن جابر بلفظه إلا أن في «صحيح مسلم» زيادة هي «فلبث الرجل ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حبلت. فقال: «قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها».

(٢) الواو ساقطة من «ص».

(٣) في «ص»: «المعتادة».

(٤) في «س»: «مختف» وهذا تصحيف.

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٤١٦). (قال سهل بن عبد الله: أول مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء، لا يكون له حركة ولا تدبير) وهذا القول لا يصلح ولا يسوغ على الإطلاق عن أحد من المسلمين وإنما يقال ذلك في بعض المواضع ومع هذا فإنما ذلك لخفاء أمر الله عليه، وإلا فإذا علم ما أمر الله به وأحبه فلابد أن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله.
انظر: «السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٤٨٥).

(٦) في «س»: «عنه».

ما أمر الله به. وأحبه ورضي به، وبين ما نهى عنه وأبغضه وسخطه فيسوي بين ما فرق الله بينه كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ﴾[5]، وأمثال ذلك، حتى يفضي الأمر بغلاتهم إلى عدم التمييز بين الأمر بالمأمور[6] الإلهي النبوي الفرقاني الديني الشرعي، الذي دل عليه الكتاب والسنة.

وبين ما يكون في الوجود من الأحوال التي تجري على أيدي الكفار والفجار، فيشهدون وجه الجمع من جهة أن[7] الجميع بقضاء الله وقدره وربوبيته وإرادته العامة، وأنه داخل في ملكه، ولا يشهدون وجه الفرق الذي فرق الله به بين أوليائه وأعدائه والأبرار والفجار والمؤمنين والكافرين

---

(١) سورة الجاثية، الآية: ٢١.
(٢) سورة ص، الآية: ٢٨.
(٣) سورة القلم، الآية: ٣٥ ـ ٣٦.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٥) سورة فاطر، الآية: ١٩ ـ ٢٢.
(٦) في «ص»: «بالأمر».
(٧) في «د»: «كون»، وفي «س» ساقط.

وأهل طاعته[1] الذين أطاعوا[2] أمره الديني[3].

وأهل معصيته الذين عصوا هذا الأمر الديني[4] وهم[5] يستشهدون في ذلك[6] بكلمات مجملة نقلت عن بعض الأشياخ، أو ببعض غلطات بعضهم، وهذا أصل عظيم من أعظم[7] ما يجب الاعتناء به على أهل طريق الله السالكين[8] سبيل الإرادة؛ إرادة[9] الذين يريدون وجهه، فإنه قد دخل بسبب إهمال ذلك على طوائف منهم من الكفر والفسوق والعصيان ما لا يعلمه إلا الله، حتى يصيروا معاونين على البغي والعدوان للمسلطين في الأرض من أهل الظلم والعلو، كالذين يتوجهون بقلوبهم في معاونة من يهوونه من أهل العلو في الأرض والفساد، ظانين أنهم إذا كانت لهم أحوال أثرّوا[10] بها في ذلك، كانوا بذلك[11] من أولياء الله، فإن القلوب لها من التأثير أعظم مما للأبدان. لكن إن كانت صالحة كان تأثيرها صالحًا، وإن كانت فاسدة كان تأثيرها فاسدًا، فالأحوال يكون تأثيرها

---

(١) في «د»: «طاعة».

(٢) في «س»: «طاعوا».

(٣) «الديني» ساقط من «د».

(٤) «الديني» ساقط من «س» و«د».

(٥) «هم» ساقط من «ص» و«س».

(٦) في «س»: «في بعض ذلك».

(٧) قوله: «من أعظم» ساقط من «س».

(٨) في «ص»: «وسالكي».

(٩) «إرادة» ساقط من «ص».

(١٠) في «ص» بياض.

(١١) قوله: «كانوا بذلك» ساقط من «ص» و«س».

محبوبًا لله تارة، ومكروهًا لله أخرى. وقد تكلم الفقهاء على وجوب القود على من يقتل غيره في الباطن حيث يجب القود في ذلك. وهؤلاء[١] يستشهدون ببواطنهم وقلوبهم[٢] الأمر الكوني، ويعدون مجرد خرق العادة لأحدهم بكشف يكشف له[٣]، أو بتأثير يوافق إرادته، هو كرامة من الله له ولا يعلمون أنه في الحقيقة استدراج[٤].

وإنما الكرامة لزوم الاستقامة، وأن الله تعالى لم يكرم عبده بكرامة أعظم من موافقته فيما يحبه ويرضاه، وهو طاعته وطاعة رسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وهؤلاء هم أولياء الله الذين قال الله فيهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٥]، فإن كانوا موافقين له فيما أوجبه الله عليهم فهم من المقتصدين، وإن كانوا موافقين فيما أوجبه عليهم[٦] وأحبه فهم من المقربين، مع أن كل واجب محبوب، وليس كل محبوب واجبًا[٧]. وأما ما يبتلي الله به عبده من السراء[٨] بخرق العادة[٩] أو بغيرها أو بالضراء فليس ذلك لأجل كرامة العبد على ربه ولا هوانه[١٠]

(١) «هؤلاء» ساقط من «ص».

(٢) «وقلوبهم» ساقط من «د».

(٣) قوله: «يكشف له» ساقط من «ص»، وفي «س»: «يكشف لهم».

(٤) «استدراج» ساقط من «س» و«د».

(٥) سورة يونس، الآية: ٦٢.

(٦) «عليهم» ساقط من «د» و«س».

(٧) في «س»: «واجب» وهو خطأ، لأنه خبر ليس وحكمه النصب لا الرفع.

(٨) في «س»: هكذا «الشر» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٩) في «ص»: «عادة».

(١٠) في «ص»: «ولا لهوانه».

عليه، بل قد يسعد بها قوم إذا أطاعوه في ذلك، وقد يشقى بها قوم إذا عصوه في ذلك.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾[1].

ولهذا كان الناس في هذه الأمور على ثلاثة أقسام:

قسم ترتفع درجاتهم بخرق العادة إذا استعملوها في طاعة الله. وقسم يتعرضون بها لعذاب الله إذا استعملوها في معصيته، كبلعام[2] وغيره. وقسم تكون في حقهم بمنزلة المباحات، والقسم الأول: هم المؤمنون حقًّا؛ المتبعون لنبيهم سيد ولد آدم، الذي إنما كانت خوارقه لحجة يقيم بها دين الله، أو لحاجة يستعين بها على طاعة الله.

ولكثرة الغلط في هذا الأصل نهى رسول الله ﷺ عن الاسترسال مع القدر بدون الحرص على فعل المأمور الذي ينفع العبد، فروى مسلم في «صحيحه» عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان[3]

---

(١) سورة الفجر، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

(٢) هو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ في [سورة الأعراف، الآية: ١٧٥] كما قاله ابن عباس وابن مسعود.
انظر: «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٧/ ٣١٩)، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير: (٢/ ٢٦٤)، و«جامع البيان في تفسير القرآن» للطبري: (٥/ ٩/ ٨٢).

(٣) في «س»: «فعلت كذا كان كذا وكذا»، وفي «ص»: «لكان».

كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو[1] تفتح عمل الشيطان»[2]. وفي «سنن أبي داود»[3] أن رجلين اختصما إلى النبي ﷺ فقضى على أحدهما، فقال المقضي عليه: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال النبي ﷺ: «إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل»[4].

فأمر النبي ﷺ المؤمن أن يحرص[5] على ما ينفعه، وأن يستعين بالله، وهذا مطابق[6] لقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[7]،

---

(١) في جميع النسخ المخطوطة هكذا: «اللو»، والذي أثبته في النص من «صحيح مسلم».

(٢) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، ح٢٦٦٤، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (٨)، عن أبي هريرة بلفظه.

(٣) هو الإمام الثبت سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني، صاحب «السنن»، وُلد سنة اثنتين ومائتين، ومات سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة.
انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٢/ ٥٩١ ـ ٥٩٣).

(٤) «مختصر سنن أبي داود» للحافظ المنذري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد حامد الفقي: ج٥، كتاب الأقضية، ح٣٤٨٠، عن عوف بن مالك «أن النبي ﷺ قضى بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر، حسبي الله ونعم الوكيل، فقال النبي ﷺ: إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكيس فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل».
قال محمد حامد الفقي أخرجه النسائي وفي إسناده: بقية بن الوليد وفيه مقال. وكذلك ذكر ابن حجر في «تهذيب التهذيب»: (أن بقية بنب الوليد فيه مقال). انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (١/ ٤٧٥).

(٥) قوله: «أن يحرص» ساقط من «س».

(٦) في «س»: «يطابق».

(٧) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[1]. فإن الحرص على ما ينفع العبد هو طاعة الله وعبادته؛ إذ النافع له هو طاعة الله ولا شيء أنفع له من ذلك، فكل[2] ما يستعان[3] به على الطاعة فهو طاعة[4]، وإن كان من جنس المباح. قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح لسعد[5]: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة التي تضعها في في امرأتك»[6]، وأخبر[7] النبي ﷺ أن الله يلوم على العجز الذي هو ضد الكيس وهو التفريط فيما يؤمر بفعله، فإن ذلك ينافي القدرة المقارنة للفعل[8]، وإن كان لا ينافي القدرة المتقدمة[9] التي هي مناط الأمر والنهي،

---

(١) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٢) في «س» و«د»: «وكل ما».

(٣) في «د»: «استعان».

(٤) في «س»: «على طاعته فهو طاعته».

(٥) هو سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكنيته أبو إسحاق، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، شهد سائر الغزوات والذي فتح مدائن كسرى يوم القادسية. وقد اعتزل الفتن بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ مات بالعقيق سنة خمس وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين، ودُفن بالبقيع.
انظر: «طبقات ابن سعد»: (٣/١٠٦)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص٨٠).

(٦) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الوصية (٢٥)، باب الوصية بالثلث (١)، ح١٦٢٨/٥، عن سعد بن أبي وقاص بلفظ مقارب وفيه: «... ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك» مع زيادة قبل هذا وبعده.

(٧) في «س»: «فأخبر».

(٨) في «س»: «فان».

(٩) في «د»: «المقدمة»، وفي «س» ساقطة.

فإن الاستطاعة التي توجب الفعل، ويكون بها مقارنة له ولا تصلح إلا لمقدورها[١] كما ذكرها[٢] في قوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾[٣]، وفي قوله: ﴿وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[٤]، وأما الاستطاعة التي يتعلق بها الأمر والنهي، فتلك قد يقترن بها الفعل وقد لا يقترن، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٥]. وقول النبي ﷺ لعمران بن حصين[٦]: «صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا[٧]، فإن لم تستطع فعلى جنب»[٨].

وهذا الموضع قد انقسم فيه بنو آدم[٩] أربعة أقسام: قوم[١٠] ينظرون إلى جانب الأمر والنهي والعبادة والطاعة شاهدين لألوهية الرب سبحانه، الذي أمروا أن يعبدوه، ولا ينظرون إلى جانب القضاء والقدر والتوكل

---

(١) في «س»: «لمقدورتها».

(٢) في «س»: «ذكره» وهذا خطأ.

(٣) قوله تعالى: ﴿ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ﴾ ساقط من «د»، والآية (٢٠) من سورة هود.

(٤) في «س»: ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ الآية في سورة الكهف (١٠١).

(٥) سورة آل عمران، الآية: ٩٧.

(٦) قوله: «ابن حصين» ساقط من «ص» و«س».

(٧) قوله: «فإن لم تستطع فقاعدًا» ساقط من «س».

(٨) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب تقصير الصلاة (١٩)، باب إذا لم يطق قاعدًا صلى على جنب (١٩)، ح١١١٧، عن عمران بن حصين ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت بي بواسير فسألت النبي ﷺ عن الصلاة فقال: «صل قائمًا فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب».

(٩) في «س» و«د»: «الناس».

(١٠) في «د»: «فقوم».

والاستعانة، وهو حال كثير من المتفقهة المتعبدة، فهم مع حسن قصدهم وتعظيمهم لحرمات الله ولشعائره، يغلب عليهم الضعف والعجز والخذلان؛ لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه واللجأ إليه والدعاء له، هي التي تقوي العبد وتيسر عليه الأمور، ولهذا قال بعض السلف: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله[(١)].

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن عمرو[(٢)] «أن رسول الله ﷺ صفته في التوراة إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأمِّيين، أنت عبدي ورسولي[(٣)]، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويغفر[(٤)]، ولن[(٥)] أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء، فأفتح بك[(٦)] أعينًا عميًا، وآذنًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا، بأن يقولوا: لا إله إلا الله»[(٧)].

---

(١) ذكره ابن القيم في «زاد المعاد»: (٢/ ١٣). قال بعض السلف، وذكره . . . إلخ. وذكره ابن رجب مرفوعًا في «جامع العلوم والحكم» (ص٤٠٩) فقال: (وفي حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله») اهـ. ولم أجده عند غيرهما.

(٢) في «ص» و«د»: «عمر» وهو خطأ؛ لأن راوي الحديث هو ابن عمرو بن العاص كما في «صحيح البخاري، وهو الصحابي العابد عبد الله بن عمرو بن العاص، أسلم قبل أبيه وكان كثير العلم كثير الأخذ للحديث عن الرسول ﷺ، شهد فتح الشام واليرموك، توفي عن اثنتين وسبعين سنة. انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/ ٦٥٥)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥٥)، و«أسد الغابة» لابن الأثير: (٣/ ٣٤٩).

(٣) قوله: «ورسولي» ساقط من «س».

(٤) «ويغفر» ساقط من «ص».

(٥) في «د»: «ولكن» وهذا تصحيف.

(٦) في «د»: «به».

(٧) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، =

ولهذا روي أن حملة العرش إنما أطاقوا حمل[1] العرش[2] بقولهم: لا حول ولا قوة إلا بالله[3]. وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ

---

= كتاب التفسير (٦٥)، سورة الفتح (٤٨)، ح٤٨٣٨، باب ﴿إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا﴾ (٣)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ إن هذه الآية التي في القرآن (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا﴾ قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا).

(١) في «س»: «حملة»، وفي «د»: «حمله».

(٢) قوله: «العرش» ساقط من «د».

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره «جامع البيان في تفسير القرآن»: (١٠/ ٢٩/ ٣٧ ـ ٣٨)، ولفظه: «قال ابن زيد الأربعة قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: لما خلقهم الله، قال: تدرون لم خلقتكم؟ قالوا: خلقتنا ربنا لما تشاء. قال لهم: تحملون عرشي. ثم قال: سلوني من القوة ما شئتم أجعلها فيكم. فقال واحد منهم: قد كان عرش ربنا على الماء فاجعل في قوة الماء. قال: قد جعلت فيك قوة الماء. وقال آخر: اجعل في قوة السموات. قال: قد جعلت فيك قوة السموات. وقال آخر: اجعل في قوة الأرض. قال: قد جعلت فيك قوة الأرض والجبال. وقال آخر: اجعل في قوة الرياح. قال: قد جعلت فيك قوة الرياح. ثم قال: احملوا، فوضعوا العرش على كواهلهم فلم يزولوا. قال: فجاء علم آخر، وإنما كان علمهم الذي سألوه القوة. فقال لهم: قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله. فقالوا: لا حول ولا قوة إلا بالله. فجعل الله فيهم من الحول والقوة ما لم يبلغه علمهم فحملوا) اهـ.

وأخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على بشر المريسي عن عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية بن صالح: (ص٢٤٨) بلفظ مقارب لما ذكره الطبري. وأورده الذهبي في كتاب «العلو» بتحقيق عبد الرزاق عفيفي: (ص٧٦) من طريق عبد الله بن صالح بن معاوية بن صالح عن بعض المشيخة مختصرًا وسكت عنه. وقد ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية هنا بصيغة التمريض فقال: روى أن حملة العرش . . . إلخ. =

«أنها كنز من كنوز الجنة»(١)، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(٣).

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا(٤) ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾(٥): «قالها إبراهيم الخليل حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قال لهم الناس: إن الناس قد جمعوا لكم»(٦).

---

(١) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب لا حول ولا قوة إلا بالله (٦٧)، ح٦٤٠٩، عن أبي موسى الأشعري قال: أخذ النبي ﷺ في عقبه ـ أو قال في ثنية ـ قال: فلما علا عليها رجل نادى فرفع صوته لا إله إلا الله والله أكبر. قال: ورسول الله ﷺ على بغلته قال: «فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، ثم قال: يا أبا موسى ـ أو يا عبد الله ـ ألا أدلك على كلمة من كنز الجنة قلت: بلى، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله».

وفي «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب (٤٨)، باب (١٣)، ح٢٧٠٤/٤٧، عن أبي موسى الأشعري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة ـ أو قال ـ على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى، فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله».

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣ ـ ١٧٥.

(٤) في «ص»: «حسبي الله» وهو خطأ.

(٥) في «د»: «قال: قالها».

(٦) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب التفسير (٦٥)، سورة آل عمران (٣)، ح٤٥٦٣، باب ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ الآية (١٣)، عن ابن عباس: «حسبنا الله ونعم الوكيل». قالها=

وقسم ثان يشهدون ربوبية الحق[1] وافتقارهم إليه ويستعينون به، لكن على أهوائهم وأذواقهم غير ناظرين إلى حقيقة أمره ونهيه ورضاه[2] وغضبه ومحبته وبغضه[3]، وهذا حال كثير من المتفقرة[4] والمتصوفة، ولهذا كثيرًا[5] ما يعملون على الأحوال التي يتصرفون بها في الوجود ولا يقصدون ما يرضي الرب سبحانه ويحبه[6]، وكثيرًا ما يغلطون فيظنون أن معصيته هي مرضاته[7] فيعودون إلى تعطيل الأمر والنهي، وقد[8] يُسَمُّون هذا حقيقة[9]، ويظنون أن هذه الحقيقة القدرية يجب الاسترسال معها، دون مراعاة الحقيقة الأمرية الدينية التي هي تحرِّي[10] مرضاة الرب سبحانه وتعالى، ومحبته وأمره ونهيه ظاهرًا وباطنًا، وهؤلاء كثيرًا ما يسلبون أحوالهم، وقد يعودون إلى أنواع[11] من المعاصي والفسوق بل كثيرًا منهم[12] يرتد عن الإسلام؛ لأن العاقبة للتقوى، ومن لم يقف عند

---

= إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾.

(١) في «د»: «الخالق».

(٢) قوله: «ورضاه» ساقط من «ص».

(٣) «وبغضه» ساقط من «س» و«د».

(٤) في «س»: «المتفق».

(٥) في «س»: «أكثر».

(٦) في «ص»: «وتحبه» وهذا تصحيف وهو خطأ؛ لعود الضمير على الغائب لا المخاطب.

(٧) في «ص» و«د»: «مرضية»، والكلام لا يستقيم على هذا.

(٨) «قد» ساقط من «س» و«د».

(٩) في «س»: «حقيقته».

(١٠) في «ص»: «تحوي»، وهي ساقطة من «س».

(١١) في «س» و«د»: «نوع».

(١٢) قوله: «كثير منهم» ساقط من «ص».

أمر الله ونهيه فليس من المتقين، فهم يقعون في بعض ما وقع فيه المشركون تارة في[1] بدعة يظنونها شرعية[2]، وتارة في الاحتجاج بالقدر على الأمر، والله تعالى لما ذكر ما ذم به المشركين في سورة الأنعام والأعراف ذكر ما ابتدعوه في[3] الدين وجعلوه شرعة كما قال تعالى[4]: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ][5]﴾. وقد ذمهم على أن حرموا ما لم يحرم الله، وأن شرعوا ما لم يشرعه[6] الله، وذكر احتجاجهم بالقدر في[7] قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾[8]، ونظيرها في النحل ويس والزخرف[9]، وهؤلاء يكون فيهم شبه منهم[10] في هذا وهذا.

---

(١) في «س»: «من».

(٢) في «س»: «شرعة».

(٣) في «د»: «من».

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٨.

(٥) قوله تعالى: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ ساقط من «ص» و«س».

(٦) في «د»: «يشرع».

(٧) في «س»: «في قوله لهم».

(٨) سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

(٩) الآيات التي ذكر الله فيها احتجاج المشركين بالقدر في سورة النحل (٣٥) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الآية. وفي سورة يس (٤٧) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. وفي سورة الزخرف (٢٠) قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

(١٠) قوله: «شبه منهم» ساقط من «د».

وأما القسم الثالث: وهو من أعرض عن عبادة الله واستعانته به[١] فهؤلاء شر الأقسام.

والقسم الرابع: هو القسم المحمود، وهو حال الذين حققوا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٢]، وقوله: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[٣] فاستعانوا[٤] به على طاعته وشهدوا أنه إلٰههم الذي لا يجوز أن يعبدوا[٥] إلا إياه بطاعته[٦] وطاعة رسوله، وأنه ربهم الذي ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع، وأنه: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[٧]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[٨]، ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾[٩].

التوكل المأموربه

ولهذا قال طائفة من العلماء: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن

---

(١) «به» ساقط من «ص».

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٣) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٤) الفاء ساقطة من «س».

(٥) في «ص»: «يعبد».

(٦) في «س»: «وطاعته».

(٧) سورة فاطر، الآية: ٢.

(٨) سورة يونس، الآية: ١٠٧، وقوله تعالى: ﴿ويصيب به من يشاء من عباده﴾ ساقط من «س» و«د».

(٩) سورة الزمر، الآية: ٣٨، وقوله: ﴿قل حسبي الله﴾ ساقط من «س» و«د».

الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل المأمور به ما اجتمع[1] فيه مقتضى التوحيد والعقل والشرع[2]. فقد تبيَّن أن من ظن التوكل من مقامات عامة أهل الطريق فقد غلط غلطًا عظيمًا[3]، وإن كان قائل ذلك[4] من أعيان المشايخ كصاحب «علل المقامات» وهو من أجل[5] المشايخ[6]، وأخذ ذلك عنه صاحب «محاسن المجالس[7]»[8]، وأظهر[9] ضعف

---

(١) في «س»: «ما يجتمع».

(٢) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي: (٤/ ٢٢٥)، و«فتاوى ابن تيمية رحمه الله تعالى»: (٨/ ١٧٥)، و«شرح العقيدة الطحاوية»: (ص٤٥٧). وقال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص٣٣٢) ما نصه: (منع الأسباب أن تكون أسبابًا قدح في العقل والشرع، وإثباتها والوقوف معها وقطع النظر عن مسببها قدح في التوحيد، والقيام بها وتنزيلها منازلها والنظر إلى مسببها وتعلق القيام به جمع بين الأمر والتوحيد، وبين الشرع والقدر، وهو الكمال. والله أعلم) اهـ.

(٣) في «س» و«د»: «شديدًا».

(٤) قوله: «قائل ذلك» ساقط من «س» و«د».

(٥) في «د»: «أجلاء».

(٦) «علل المقامات» لشيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الهروي الحنبلي المتوفى سنة ٤٨١هـ، وُلد سنة ٣٩٧هـ.
انظر: «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»: (٤/ ١١١٨)، و«هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي: (١/ ٤٥٢ ـ ٤٥٣).

(٧) في «ص» و«د»: «المحاسن» وهو خطأ وهو تصحيف.

(٨) «محاسن المجالس» في التصوف لأبي العباس ابن عريف أحمد بن محمد الصنهاجي الأندلسي، المعروف بابن العريف المتوفى سنة ٥٣٦هـ بمراكش، وكان مولده سنة ٤٨١هـ. انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة: (٢/ ١٦٠٩)، و«هدية العارفين» لإسماعيل البغدادي: (١/ ٨٣).

(٩) في «س» و«ص»: «وظهر».

حجته من[1]، قال ذلك لظنه[2] أن المطلوب به حظ العامة فقط، وظنه أنه لا فائدة له في تحصيل المقصود، وهذه حال من جعل الدعاء كذلك، وذلك بمنزلة من جعل الأعمال المأمور بها كذلك، كمن اشتغل بالتوكل عما يجب عليه من سائر[3] الأسباب التي هي عبادة وطاعة مأمور بها، فإن غلط هذا في[4] ترك الأسباب المأمور بها التي هي داخلة في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾[5]، كغلط الأول في ترك التوكل المأمور به؛ الذي هو داخل في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾، لكن يقال: من كان توكله على الله ودعاؤه له هو في حصول مباحات فهو من[6] العامة، وإن كان في حصول مستحبات[7] وواجبات فهو من الخاصة، كما أن من دعاه وتوكل عليه في حصول محرمات فهو ظالم لنفسه، ومن أعرض عن التوكل فهو عاص لله[8] ورسوله، بل خارج عن[9] حقيقة الإيمان، فكيف يكون هذا المقام للعامة دون الخاصة[10]. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ[11] إِن

درجات الناس في التوكل

---

(١) في «ص» و«س»: «فمن».

(٢) في «ص» و«س»: «ظنه».

(٣) قوله: «سائر» ساقط من «س» و«د».

(٤) في «د» و«س»: «من».

(٥) سورة هود، الآية: ١٢٣.

(٦) في «د»: «في».

(٧) في «س»: «المستحبات».

(٨) في «د»: «الله».

(٩) في «س»: «من».

(١٠) قوله: «للعامة دون» ساقط من «د» و«س»، وفي «د»: «للخاصة».

(١١) في «س» و«د»: «القوم يا قوم» وهو خطأ.

كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[3]، وقد[4] ذكر الله هذه الكلمة ﴿حَسْبِىَ ٱللَّهُ﴾ في جلب المنفعة تارة، وفي دفع المضرة تارة أخرى، فالأولى في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾[5].

والثانية في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[6]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾، يتضمن[8] الأمر بالرضا والتوكل،

**الرضا والتوكل يكتنفان المقدور**

والرضا والتوكل يكتنفان[9] المقدور، فالتوكل قبل وقوعه والرضا بعد

---

(١) سورة يونس، الآيات: ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٠.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٤) في «د»: «فقد».

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٦٢.

(٨) في «ص»: «تضمن» وهذا تصحيف.

(٩) في «د»: «يكشفان» وهذا تصحيف وهو خطأ.

وقوعه، ولهذا كان النبي ﷺ يقول في الصلاة: «اللهم بعلمك الغيب وبقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت[1] الوفاة خيرًا لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضا، وأسألك القصد[2] في الفقر والغنى، وأسألك نعيمًا لا ينفد، وأسألك قرة عين لا تنقطع، اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت، وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، وأسألك الشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين»[3] رواه أحمد والنسائي[4] من حديث عمار بن ياسر[5].

---

(١) في «د»: «ما كانت».

(٢) في «د»: «الفضل».

(٣) أخرجه النسائي: (٢/ ٥٤ ـ ٥٥) في السهو، باب نوع آخر من الدعاء من حديث حماد قال: حدثنا عطاء بن السائب عن أبيه قال: صلى بنا عمار بن ياسر صلاة فأوجز فيها، فقال بعض القوم: لقد خففت أو أوجزت الصلاة. فقال: أما على ذلك، فقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله ﷺ . . . إلخ. وصححه الحاكم: (١/ ٥٢٤)، ووافقه الذهبي. وأخرجه الإمام أحمد: (٤/ ٢٦٤)، بلفظه عن عمار.

(٤) النسائي هو الحافظ الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر الخراساني، القاضي، صاحب السنن، وُلد سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل: مات بمكة، في شعبان سنة ثلاث وثلاث مائة. وقيل: توفي بفلسطين يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلاث مائة.
انظر: «تذكرة الحفاظ» للذهبي: (٢/ ٦٩٨ ـ ٧٠١).

(٥) عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن مالك، كنيته أبو اليقظان، قتل بصفين مع علي بن أبي طالب سنة سبع وثلاثين، وله ثلاث وتسعون سنة، وكان قد قال له النبي ﷺ: «يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية». انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٤٣). =

وأما ما يكون قبل القضاء، فهو عزم على الرضا لا حقيقة الرضا. ولهذا كان طائفة من المشايخ يعزمون على الرضا قبل وقوع البلاء؛ فإذا وقع انفسخت عزائمهم[1]، كما يقع نحو ذلك في الصبر وغيره، كما قال

---

(١) يذكر عن سمنون المحب أنه كان يقول:

وليس لي في سواك حظ فكيفما شئت فاختبرني

فأخذه العسر من ساعته، أي: حصر بوله، فكان يدور على المكاتب ويفرق الجوز على الصبيان ويقول: ادعوا لعمكم الكذاب.

وحكى أبو نعيم الأصبهاني عن أبي بكر الواسطي أنه قال سمنون: يا رب قد رضيت بكل ما تقتضيه علي، فاحتبس بوله أربعة عشر يومًا، فكان يتلوى كما تتلوى الحية، يتلوى يمينًا وشمالاً، فلما أطلق بوله قال: رب قد تبت إليك. قال أبو نعيم: فهذا الرضا الذي ادعى سمنون ظهر غلطه فيه بأدنى بلوى. مع أن سمنون هذا كان يضرب به المثل وله في المحبة مقام مشهور.

انظر: «فتاوى ابن تيمية»: (١٠/ ٦٩٠)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (١٠/ ٣١٠)، و«الرسالة القشيرية»: (١/ ١٣٣).

وقد أخرج مسلم في «صحيحه»: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا، ح٢٦٨٨/ ٢٣، عن أنس، أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ، فقال له رسول الله ﷺ: «هل كنت تدعو بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم. كنت أقول: اللهم! ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا. فقال رسول الله ﷺ: «سبحان الله، لا تطيقه ـ أو لا تستطيعه ـ أفلا قلت: اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار؟ قال: فدعا الله له فشفاه».

وفي «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب المغازي (٦٤)، باب (٥٦)، ح٤٣٢٥، عن عبد الله بن عمر قال: «لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف، فلم ينل منهم شيئًا، قال: إنا قافلون إن شاء الله، فثقل عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحه؟ وقال مرة: نقفل، فقال: اغدوا على القتال فغدوا فأصابهم جراح، فقال: إنا قافلون غدًا إن شاء الله، فأعجبهم فضحك النبي ﷺ. وقال سفيان مرة فتبسم».

تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[2].

نزلت هذه الآية لما قالوا: لو علمنا أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله آية الجهاد فكرهه من كرهه[3]، ولهذا كره للمرء أن يتعرض للبلاء، بأن يوجب على نفسه ما لا يوجبه الشارع عليه بالعهد والنذر ونحو ذلك، أو يطلب ولاية، أو يقدم على بلد فيه طاعون، كما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ من غير وجه أنه نهى عن النذر، وقال: «إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به[4] من[5] البخيل»[6].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٣.

(٢) سورة الصف، الآيات: ٢ ـ ٤.

(٣) انظر: «جامع البيان» للطبري: (١٢/ ٢٨/ ص٥٥) سورة الصف.
وانظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير: (٤/ ٣٥٨).
وقد أخرج الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب التفسير (٤٨)، باب (٦٢) في تفسير سورة الصف، ح٣٣٠٩، عن عبد الله بن سلام قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعلمناه، فأنزل الله تعالى: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم، يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ ... إلخ الحديث.

(٤) «به» ساقط من «س».

(٥) «من» ساقط من «د».

(٦) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الأيمان والنذور (٨٣)، باب الوفاء بالنذر، وقول الله تعالى: ﴿يوفون بالنذر﴾ (٢٦)، ح٦٦٩٢، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ يقول: أولم ينهوا=

وثبت في «الصحيحين» أنه قال لعبد الرحمن بن سمرة[(١)]: «لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أعطيتها من[(٢)] غير مسألة أعنت عليها، وإذا حلفت على يمين فرأيت[(٣)] غيرها خيرًا منها فأت الذي هو خير[(٤)] وكفر عن يمينك»[(٥)].

وثبت عنه في «الصحيحين» أنه قال في الطاعون: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها[(٦)] فرارًا[(٧)] منه»[(٨)].

---

= عن النذر؟ إن النبي ﷺ قال: «إن النذر لا يقدم شيئًا ولا يؤخر، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل».

وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب النذور (٢٦)، باب (٢)، ح١٦٣٩/ ٤، عن عبد الله بن عمر بلفظه.

(١) عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب القرشي أبو سعيد، مات سنة خمسين.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٤٥).

(٢) في «د»: «عن».

(٣) في «د»: «ورأيت».

(٤) في «س»: «خير منها».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب (٨٣)، باب (١)، ح٦٦٢٢، عن عبد الرحمن بلفظ نحوه.
وفي «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الإمارة (٣٣)، باب (٣)، ح١٦٥٢/ ١٣، عن عبد الرحمن بن سمرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه إلا أن قوله: «وإذا حلفت على يمين». وما بعده لم ترد في «صحيح مسلم» وهي في «صحيح البخاري».

(٦) قوله: «منها» ساقط من «ص».

(٧) قوله: «فرارًا منه» ساقط من «س».

(٨) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: =

وثبت في «الصحيحين» أنه قال: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية فإذا[1] لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»[2].

وأمثال ذلك مما يقتضي[3] أن الإنسان لا ينبغي له أن يسعى فيما يوجب عليه أشياء ويحرم عليه أشياء، فيبخل بالوفاء كما يفعله كثير ممن يعاهد الله عهودًا على أمور. وغالب هؤلاء يبتلون بنقض العهود. ويقتضي أن الإنسان إذا ابتلي فعليه أن يصبر ويثبت، ولا يكل[4] حتى يكون من الرجال الموقنين[5] القائمين بالواجبات. ولابد في جميع ذلك من الصبر.

ولهذا كان الصبر واجبًا باتفاق المسلمين على أداء الواجبات، وترك المحظورات.

---

= ج٦، كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠)، باب (٥٤)، ح٣٤٧٣، عن أسامة بن زيد بلفظه إلا أن في أوله قوله: قال رسول الله ﷺ: «الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل ـ أو على من كان قبلكم ـ فإذا . . . إلخ» الحديث.

(١) في «د»: «ولكن إذا لقيتموهم».

(٢) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٦، كتاب الجهاد (٥٦)، باب (٥٦)، ح٢٩٦٦، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس (١١٢)، بلفظ مقارب مع زيادة في أوله وآخره.
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجهاد والسير (٣٢)، باب (٦)، ح١٧٤٢/ ٢٠، عن عبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنه ـ بلفظه إلا أن فيه «يا أيها الناس لا تمنوا . . .» إلخ. الحديث.

(٣) في «س»: «مما لا يقتضي» وهذا خطأ واضح.

(٤) في «د»: «ولا ينكل»، وفي «س»: «ولايتكل»، وفي الحاشية تصحيح له هكذا: «يتكلم».

(٥) في «س»: «المؤمنين».

ويدخل في ذلك الصبر على المصائب عن أن يجزع فيها[١]، والصبر عن اتباع أهواء النفوس فيما نهى الله عنه. وقد ذكر الله سبحانه الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعًا وقرنه بالصلاة في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[٢]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٣]، وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[٤]، ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ﴾[٥]، ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[٦].

وجعل الإمامة في الدين موروثة عن الصبر واليقين بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٧].

فإن الدين كله علم بالحق وعمل به، والعمل به لابد فيه من اليقين[٨] والصبر، بل وطلب علمه[٩] يحتاج إلى الصبر، كما قال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ: «عليكم بالعلم، فإن طلبه لله عبادة، ومعرفته خشية،

---

(١) في «د»: «يعجز فيها».

(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٣.

(٤) سورة هود، الآيتان: ١١٤ ـ ١١٥.

(٥) سورة طه، الآية: ١٣٠.

(٦) سورة غافر، الآية: ٥٥.

(٧) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

(٨) «اليقين» ساقط من «س» و«د».

(٩) في «د»: «علمه بالعلم».

والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا[1] يعلمه صدقة، ومذاكرته تسبيح. به يعرف الله ويعبد، وبه يمجد الله ويوحد، يرفع الله بالعلم أقوامًا يجعلهم[2] للناس قادة وأئمة يهتدون[3] بهم، وينتهون إلى رأيهم[4][5] فجعل البحث عن العلم من الجهاد ولابد في الجهاد من الصبر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾[7].

فالعلم النافع هو أصل الهدى، والعمل بالحق هو الرشاد، وضد الأول الضلال، وضد الثاني الغي. فالضلال العمل بغير علم، والغي اتباع الهوى، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾[8]، فلا ينال الهدى إلا بالعلم، ولا ينال الرشاد إلا بالصبر، ولهذا قال

---

(١) «لا» ساقطة من «س».

(٢) في «ص»: «فجعلهم».

(٣) في «د»: «يقتدون».

(٤) في «ص»: «بهم» وهذا تصحيف.

(٥) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم: (١/ ٢٣٩)، و«أخلاق العلماء» لأبي بكر الآجري: (ص١٨، ١٩).
وأخرجه ابن عبد البر في كتابه المسمى «جامع بيان العلم وفضله»: (١/ ٦٥)، ولكنه ذكره بإسناده إلى معاذ بن جبل مرفوعًا إلى النبي ﷺ ثم قال ابن عبد البر بعد ذلك: (هكذا حدثنيه أبو عبيد بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالإسناد المذكور وهو حديث حسن جدًا. ولكن ليس له إسناد قوي. ورويناه من طرق شتى موقوفًا) اهـ.

(٦) سورة العصر.

(٧) سورة ص، الآية: ٤٥.

(٨) سورة النجم، الآيتان: ١ ـ ٢.

علي[1] ـ رضي الله عنه ـ: (ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا انقطع الرأس بان الجسد ـ ثم رفع صوته ـ فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له)[2].

وأما الرضا فقد تنازع العلماء والمشايخ من أصحاب الإمام أحمد وغيرهم في الرضاء بالقضاء، هل هو واجب أو مستحب؟ على قولين، فعلى الأول يكون من أعمال[3] المقتصدين، وعلى الثاني يكون من أعمال المقربين.

قال الحسن البصري: الرضاء عزيز لكن الصبر معول المؤمن[4].

وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس: «إن استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا»[5].

---

(١) «علي» ساقط من «س».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني: (١/ ٧٦)، و«الرسالة القشيرية»: (١/ ٤٥٤).

(٣) في «د»: «من فعل».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني: (١/ ٥/ ٣٤٢). ونصه هناك عن الحسن قال: (الرضا قليل، والصبر معول المؤمن). وفي «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: (١٠/ ٦٨٢) كتاب علم السلوك. قال الحسن: (الرضا عزيز، ولكن الصبر معول المؤمن). وفي «الزهد» للإمام أحمد: (ص٣٥٧)، قال عمر بن عبد العزيز: (الرضا قليل ولكن الصبر معول المؤمن).

والحسن البصري هو الحسن بن أبي الحسن، ويكنى أبا سعيد، من علماء التابعين، جمع بين العلم والعمل والعبادة، وهو إمام البصرة، وقد أدرك من الصحابة مائة وثلاثين، وُلد لسنتين بقيتا من خلالة عمر، وتوفي سنة عشر ومائة.

انظر: «حلية الأولياء»: (٢/ ١٣١)، «طبقات ابن سعد»: (٧/ ١٥٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير: (٩/ ٢٦٨ ـ ٢٧٤).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني: (١/ ١/ ٣١٤)، ولفظه هنا: «فاعمل لله=

ولهذا لم يجىء في القرآن إلا مدح الراضين، لا إيجاب ذلك، وهذا في الرضا بما يفعله الرب بعبده من المصائب كالمرض والفقر والزلزال، كما قال تعالى: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾[2].

فالبأساء في الأموال، والضراء في الأبدان، والزلزال في القلوب.

وأما الرضا بما أمر الله به فأصله واجب، وهو من الإيمان، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ نبيًّا»[3]، وهو من توابع المحبة كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

---

= تعالى بالرضا في اليقين واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا».

وقوله: «كثيرًا» ساقط من «س».

وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (١/ ٣٠٧)، بلفظ مقارب وفيه: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا» مع إسقاط قوله: «فاعمل لله تعالى بالرضا في اليقين».

وفي «قوت القلوب» لأبي طالب المكي: (٢/ ٣٨ ـ ٣٩): «الرضا هو حال الموفق، واليقين هو حقيقة الإنسان، وإلى هذا ندب النبي ﷺ ابن عباس في وصيته له فقال: اعمل لله باليقين في الرضا، فإن لم يكن فإن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا».

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٧، وهذه الآية ساقطة من «ص».

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٤.

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب الدليل على أن من رضي بالله ربًّا.. إلخ (١١)، ح٣٤، عن العباس بن عبد المطلب بلفظه إلا أن بدل قوله: «نبيًّا» قوله: «رسولاً».

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[(٤)].

ومن النوع الأول ما رواه الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن سعد[(٥)] عن النبي ﷺ أنه قال: «من[(٦)] سعادة ابن آدم استخارته لله، ورضاه بما قسم[(٧)] الله له، ومن شقاوة ابن آدم ترك استخارته لله، وسخطه بما يقسم[(٨)] الله له»[(٩)]. وأما الرضا بالمنهيات ـ من الكفر والفسوق والعصيان ـ فأكثر

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

(٣) سورة محمد، الآية: ٢٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٥٤.

(٥) في «س»: «سعيد» وهو خطأ؛ لأنه سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ وهذا تصحيف.

(٦) «من» ساقط من «س».

(٧) في «د»: «يقسم».

(٨) في «ص»: «قسم».

(٩) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (١٦٨/١)، عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم استخارته لله، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضاه الله، ومن شقوة ابن آدم تركه استخارة الله، ومن شقوة ابن آدم سخطه لما قضى الله عز وجل». =

العلماء يقولون: لا يشرع الرضا بهذه[1] كما لا يشرع[2] محبتها، فإن الله سبحانه لا يحبها ولا يرضاها، وإن كان قد[3] قدرها[4] وقضاها، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[6]، بل يسخطها كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[7].

وقال طائفة: ترضى من جهة كونها مضافة إلى الله خلقًا، وتسخط من جهة كونها مضافة إلى العبد فعلاً وكسبًا، وهذا القول لا ينافي الذي قبله بل هما يعودان إلى أصل واحد. وهو سبحانه إنما قدر الأشياء وكونها لحكمة، فهي لاعتبار[8] تلك الحكمة محبوبة مرضية، وقد تكون في

---

= وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٣ ، كتاب القدر (٣٠)، ح٢٢٤٢، باب ما جاء في الرضا بالقضاء (١٥)، عن سعد بن أبي وقاص بلفظ مقارب وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم المديني، فليس هو بالقوي عند أهل الحديث.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٥١٨/١)، في كتاب الدعاء عن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادة ابن آدم استخارته إلى الله، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله». قال الحاكم: صحيح. وأقره الزهبي.

(١) في «س»: «لهذه».

(٢) في «ص» و«د»: «يشرع».

(٣) «قد» ساقط من «ص».

(٤) في «ش»: «قدر لها».

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٧) سورة محمد، الآية: ٢٨.

(٨) في «د»: «باعتبار».

نفسها مكروهة[1] ومسخوطة، إذ الشيء الواحد يجتمع فيه وصفان: يحب من أحدهما ويكره من الآخر، كما في الحديث الصحيح: «ما ترددت عن[2] شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأكره مساءته، ولابد له منه»[3].

---

(١) الواو ساقطة من «ص».

(٢) في «س» و«ش»: «في».

(٣) سبق تخريجه في (ص٣١٤) وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ عن معنى تردد الله في هذا الحديث؟ فأجاب: هذا حديث شريف رواه البخاري من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ، وهو أشرف حديث روى في صفة الأولياء. وقد رد هذا الكلام طائفة وقالوا: إن الله لا يوصف بالتردد، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور والله عالم بالعواقب. وربما قال بعضهم: إن الله يعامله معاملة المتردد. والتحقيق: أن كلام رسول الله حق، وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح لأمته منه، ولا أفصح ولا أحسن بيانًا منه، فإذا كان كذلك كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوأهم أدبًا، بل يجب تأديبه وتعزيره، ويجب أن يصان كلام رسول الله ﷺ عن الظنون الباطلة والاعتقادات الفاسدة. والمتردد منا ـ وإن كان تردده في الأمر لأجل كونه ما يعلم عاقبة الأمور ـ لا يكون ما وصف الله به نفسه بمنزلة ما يوصف به الواحد منا، فإن الواحد منا يتردد تارة لعدم العلم بالعواقب، وتارة لما في الفعلين من المصالح والمفاسد، فيريد الفعل لما فيه من المصلحة ويكرهه لما فيه من المفسدة، لا لجهله به، كالشيء الواحد الذي يحب من وجه ويكره من وجه، فصار الموت مرادًا للحق من وجه مكروهًا له من وجه، وهذا حقيقة التردد، وإن كان لابد من ترجيح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت، لكن مع وجود كراهة الرب لمساءة عبده، وليس إرادته لموت المؤمن الذي يحبه ويكره مساءته، كإرادته لموت الكافر الذي يبغضه ولا يريده) انتهى كلامه رحمه الله بتصرف.

انظر: «الرسالة المدنية» لابن تيمية: (ص٢٠ ـ ٢٢).

وأما من قال بالرضا بالقضاء الذي هو وصف الله وفعله لا بالمقضي[1] الذي هو مفعوله فهو خروج منه عن مقصود الكلام، فإن الكلام ليس في الرضا بما[2] يقوم بذات الرب تعالى من صفاته وأفعاله، وإنما الكلام في الرضا بمفعولاته. والكلام[3] فيما يتعلق بهذا قد بيناه في غير هذا الموضع[4].

والرضا وإن كان من أعمال القلوب فكماله هو الحمد، حتى إن[5] بعضهم فسر الحمد بالرضا.

ولهذا جاء في الكتاب والسنة حمد الله على كل حال، وذلك يتضمن الرضا بقضائه، وفي الحديث: «أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء»[6]، وروي عن النبي ﷺ أنه «كان إذا أتاه الأمر يسر به[7] قال: الحمد لله الذي بنعمته[8] تتم الصالحات، وإذا أتاه

---

(١) في «س»: «بالمقتضي» وهو خطأ.

(٢) قوله: «في الرضا بما» ساقط من «ش».

(٣) قوله: «والكلام» ساقط من «ش».

(٤) انظر على سبيل المثال: «فتاوى ابن تيمية»: (١١/ ٦٨٢).

(٥) قوله: «الحمد حتى أن» بياض في «د».

(٦) أخرجه السيوطي في «الجامع الصغير»: (١/ ١١٣)، وعزاه إلى الطبراني في «الكبير»، والحاكم في «المستدرك»، والبيهقي في «الشعب»، عن ابن عباس، وقال عنه: حسن. وتعقبه الألباني فقال: ضعيف. انظر: «ضعيف الجامع الصغير وزيادته»: (٢/ ٢٤٠، رقم٢١٤٦). وخرجه في «الأحاديث الضعيفة»: (٢/ رقم٦٢٣).
وأخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٥٠٢)، كتاب الدعاء، وقال: صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.

(٧) في «د»: «بشر به» وهو خطأ.

(٨) في «د»: «بنعته».

الأمر يسوؤه[١] قال: الحمد لله على كل حال»[٢].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أبي موسى الأشعري[٣] عن النبي ﷺ قال: «إذا قبض ولد العبد يقول الله لملائكته: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: أقبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول: ابنوا[٤] لعبدي بيتًا في الجنة وسموه[٥] بيت الحمد»[٦].

ونبينا محمد ﷺ هو صاحب لواء الحمد[٧]، وأمته هم الحمادون،

---

(١) في «د»: «بسوء».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٤٩٩)، في كتاب الدعاء، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ وقال: صحيح. وسكت عنه الذهبي.

(٣) هو أبو موسى الأشعري؛ عبد الله بن قيس بن وهب الصحابي، ولي الكوفة والبصرة زمانًا، مات سنة أربع وأربعين، وهو ابن بضع وستين سنة.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٣٦).

(٤) في «ش»: «ابن».

(٥) الواو ساقط من «ش».

(٦) «مسند الإمام أحمد»: (٤/ ٤١٥)، عن أبي موسى الأشعري بلفظ نحوه.
وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٣، كتاب الجنائز (٨)، باب (٣٦)، ح١٠٢١، عن أبي موسى الأشعري بلفظ نحوه. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٧) أخرج الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب المناقب (٥٠)، باب (١)، ح٣٦١٥، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تشقق عنه الأرض ولا فخر».
قال أبو عيسى: وفي الحديث قصة، وهذا حديث حسن صحيح.
وهو في «المستدرك» للحاكم: (١/ ٣٠)، كتاب الإيمان، بلفظ غير هذا ذكر فيه: «وأنا معي لواء الحمد». وقال: صحيح. وأقره الذهبي.

الذين يحمدون الله على السراء والضراء[1]، والرضا[2] والحمد على الضراء يوجبه[3] مشهدان[4]:

أحدهما: علم العبد بأن الله[5] سبحانه وتعالى مستوجب لذلك، مستحق له لنفسه فإنه أحسن كل شيء خلقه، وأتقن كل شيء، وهو العليم الحكيم[6] الخبير الرحيم.

والثاني: علمه أن[7] اختيار الله لعبده المؤمن خير من اختياره لنفسه، كما روى مسلم في «صحيحه» وغيره عن النبي ﷺ أنه[8] قال: «والذي نفسي بيده، لا يقضي للمؤمن قضاءً[9] إلا كان خيرًا له، وليس ذلك لأحد[10] إلا للمؤمن: إن أصابته سراء شكر[11] فكان[12] خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر[13] فكان[14] خيرًا له»[15].

---

(١) في «س» و«ص» و«د»: «على الضراء والسراء».

(٢) قوله: «والرضا» ساقط من «د».

(٣) قوله: «يوجبه» ساقط من «د».

(٤) في المطبوعة (ص٥٥): «شاهدان»، وهو خطأ.

(٥) قوله: «بأن الله» بياض في «د».

(٦) قوله: «الحكيم» ساقط من «س».

(٧) في «د»: «بأن».

(٨) «أنه» ساقط من «د».

(٩) في «س» و«ش»: «بقضاء».

(١٠) «لأحد» ساقط من «ش» و«س».

(١١) في «س» و«ش»: «فشكر».

(١٢) في «س» و«ش»: «كان».

(١٣) في «س» و«ش»: «فصبر».

(١٤) في «س» و«ش»: «كان».

(١٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الزهد والرقائق (٥٣)، باب المؤمن أمره كله خير (١٣)، ح٢٩٩٩، عن صهيب قال: قال رسول الله=

فأخبر النبي ﷺ أن[1] كل قضاء يقضيه الله[2] للمؤمن الذي يصبر على البلاء ويشكر على الرخاء فهو خير له. قال الله[3] تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[4]، وذكرهما في أربعة مواضع[5] من كتابه.

فأما من لا يصبر على البلاء، ولا يشكر على الرخاء فلا يلزم أن يكون القضاء خيرًا له.

ولهذا أجيب[6] من أورد على[7] هذا بما[8] يقضي[9] على المؤمن من المعاصي بجوابين:

أحدهما: أن هذا إنما يتناول ما أصاب العبد لا ما فعله العبد، كما في قوله تعالى: ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾، أي: من سراء ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[10]، أي: من ضراء[11]، وكقوله تعالى: ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[12]، أي: بالسراء والضراء، كما قال

---

= ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له».

(١) في «س» و«ش»: «أنه».

(٢) لفظ الجلالة ساقط من «س» و«ش».

(٣) لفظ الجلالة ساقط من «ص» و«د» و«س».

(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٥، وسورة لقمان، الآية: ٣١، وسورة سبأ، الآية: ١٩، وسورة الشورى، الآية: ٣٣.

(٥) في «د»: «في كتابه».

(٦) في «س» و«ش»: «أجبت».

(٧) في «د»: قدم «هذا» قبل «على».

(٨) في «س»: «إنما»، وفي «د»: «ما».

(٩) في «د»: «يقضي به».

(١٠) سورة النساء، الآية: ٧٩.

(١١) في «س»: «ضر».

(١٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٨.

تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم[1] بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾[3]. فالحسنات والسيئات يراد بها المساء والمضار، ويراد[4] بها الطاعات[5] والمعاصي.

والجواب الثاني: أن هذا في حق المؤمن الصّبار[6] الشكور. والذنوب تنقص الإيمان[7]، فإذا تاب العبد أحبه[8] الله، وقد ترتفع درجته بالتوبة. كما[9] قال بعض السلف: كان داود بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة[10]. فمن قضى له بالتوبة كان كما قال سعيد بن جبير: إن العبد

---

(١) سورة «س»: «وبلوناهم» وهو خطأ واضح.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٣٥، وقوله تعالى: ﴿وإلينا ترجعون﴾ ساقط من «ص» و«ش» و«د».

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

(٤) الواو ساقط من «س».

(٥) في «س»: «الطاعة».

(٦) في «ص»: «الصابر».

(٧) في «د» زيادة واو هكذا: «والإيمان» وهو خطأ واضح.

(٨) في «س»: «حبه» بإسقاط الألف.

(٩) «كما» ساقط من «د» و«ش» و«س».

(١٠) في «د»: «من قبل» ووقع بعض المفسرين في خطأ فاحش عند كلامهم عن خطيئة داود التي تاب منها، حين نقلوا بعض القصص الإسرائيلية في تفاسيرهم اعتمادًا على ما يرويه القصاص عن أهل الكتاب، مما لم يصح به سنده، ولا يجوز اعتماده، ويتنافى مع عصمة الأنبياء، وتلك القصة الباطلة التي أوردوها؛ ما روي عن داود عليه السلام من أمر عشقه لزوجة أحد جنده وتعريض زوجها للقتل، حتى قتل ثم تزوجها بعد ذلك فولدت له سليمان عليه السلام وهذا زور وافتراء، ولذلك قال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة.
والصحيح في موضوع القصة هو ما حكاه الله عز وجل في كتابه الذي لا يأتيه الباطل.
والله تعالى أعلم. انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٥/ ١٨١)، و«تفسير ابن كثير»: =

ليعمل الحسنة فيدخل[1] بها النار، وإن العبد ليعمل السيئة فيدخل بها الجنة[2]. وذلك أنه يعمل الحسنة فتكون نصب عينه[3] ويعجب بها، ويعمل السيئة فتكون نصب عينيه[4] فيستغفر الله ويتوب إليه منها.

وقد ثبت في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «الأعمال بالخواتيم»[5]، والمؤمن إذا فعل سيئة فإن عقوبتها تندفع

---

= (٤/ ٣١)، و«صفوة التفاسير» للصابوني: (٣/ ٥٤ ـ ٥٥)، و«النبوة والأنبياء» للصابوني: (ص٢٧٨ ـ ٢٨١).

(١) في «س»: «يدخل».

(٢) انظر: «فتاوى ابن تيمية»: (١٠/ ٢٩٤)، وفي كتاب «طريق الهجرتين وباب السعادتين» لابن القيم: (ص٢١٦): (وقال بعض السلف: إن العبد ليعمل الخطيئة فيدخل بها الجنة ويعمل الحسنة فيدخل بها النار. قالوا: كيف؟ قال: يعمل الخطيئة فلا تزال نصب عينيه إذا ذكرها ندم واستقال وتضرع إلى الله وبادر إلى محوها، وانكسر وذل لربه، وزال عنه عجبه وكبره. ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه يراها، ويمن بها ويعتد بها ويتكبر بها، حتى يدخل النار).
وفي كتاب «الزهد» للإمام أحمد (ص٤٧٤): (عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد ليذنب الذنب فيدخله الله به الجنة، قالوا: يا رسول الله، وكيف يدخله الجنة؟ قال: يكون نصب عينه فارًا تائبًا حتى يدخله ذنبه الجنة».

(٣) في «س» و«د» و«ش»: «عينه».

(٤) في «س» و«د» و«ش»: «عينه».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترتيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الرقاق (٨١)، باب الأعمال بالخواتم وما يخاف منها (٣٣)، ح٦٤٩٣، عن سهل بن سعد الساعدي قال: «نظر النبي ﷺ إلى رجل يقاتل المشركين وكان من أعظم المسلمين غناء عنهم ـ فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا، فتبعه رجل، فلم يزل على ذلك حتى جرح، فاستعجل الموت فقال بذبابة سيفه فوضعه بين ثدييه فتحامل عليه حتى خرج من بين كتفيه، فقال النبي ﷺ إن العبد ليعمل ـ فيما يرى الناس عمل أهل الجنة، وإنه لمن أهل النار، ويعمل ـ فيما يرى الناس ـ عمل أهل النار وهو من أهل الجنة، وإنما الأعمال بخواتيمها». =

عنه[1] بعشرة أسباب: أن يتوب، فيتوب الله عليه، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، أو يستغفر الله فيغفر له[2]، أو يعمل حسنات تمحوها، فإن الحسنات يذهبن السيئات، أو يدعو له إخوانه المؤمنون ويستغفرون[3] له حيًّا وميتًا، أو يهدون له من ثواب أعمالهم ما ينفعه الله به، أو يشفع فيه نبيه محمد ﷺ، أو يبتليه الله في الدنيا بمصائب تكفر عنه، أو يبتليه في البرزخ بالفتنة والضغطة[4] فيكفر بها عنه، أو يبتليه في عرصات القيامة من أهوالها بما[5] يكفر عنه، أو يرحمه أرحم الراحمين.

فمن أخطأته هذه العشرة فلا يلومنَّ إلا نفسه، كما قال تعالى فيما يروي[6] عنه رسوله ﷺ: «يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها[7]، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»[8].

---

(١) «عنه» ساقط من «ص».

(٢) في «ش»: «فيغفر الله له».

(٣) في «ص» و«ش»: «ويشفعون»، وفي «س»: «أو يشفعوا».

(٤) في «س» و«د» و«ش»: «والصعقة».

(٥) في «د» و«ش»: «ما».

(٦) في «ص»: «يرويه»، وفي «س» و«ش»: «روى».

(٧) في جميع النسخ عبارة: «ترد عليكم» بعد قوله: «أعمالكم»، والذي وجدته في مسلم ومطبوعة الخطيب: (ص٥٦) هو ما أثبته في النص، وهو قوله: «أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها».

(٨) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة والآداب (٤٥)، باب تحريم الظلم (١٥)، ح٢٥٧٧، عن أبي ذر بلفظه، وهو حديث طويل مشهور ولم يورده الشيخ من أوله.

فإذا كان المؤمن يعلم أن القضاء خير له، إذا كان صبارًا شكورًا، أو كان قد استخار الله تعالى، وعلم أن من سعادة ابن آدم استخارته لله ورضاه بما قسم الله له، كان قد رضي بما هو خير له. وفي الحديث عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: (إن الله يقضي بالقضاء، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط)[1]. ففي هذا الحديث الرضا والاستخارة، فالرضا[2] بعد القضاء والاستخارة قبل القضاء، وهذا أكمل من الضراء[3] والصبر، فلهذا ذكر في ذاك الرضا وفي هذا الصبر. ثم إذا كان القضاء مع الصبر خيرًا له فكيف مع الرضا، ولهذا جاء في الحديث: «المصاب من حرم الثواب» في الأثر الذي رواه الشافعي[4] في «مسنده»: «أن النبي ﷺ لما مات سمعوا قائلاً يقول: يا آل بيت رسول الله ﷺ، إن في الله عزاء من

---

(١) لم أجده عن علي ـ رضي الله عنه ـ، ووجدت في «سنن الترمذي»: ج٤، في كتاب الزهد (٥٥)، باب (٥٦)، ح٢٣٩٦، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن رضي له الرضا ومن سخط فله السخط» وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وكذلك أخرجه ابن ماجه في «سننه»: (٢/ . . . ، ح٤٠٣١)، كتاب الفتن (٣٦)، باب (٢٣)، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ بلفظ الترمذي.

(٢) في «د»: «الرضا».

(٣) في مطبوعة قصي محب الدين الخطيب (ص٥٧): «الرضا»، وفي مطبوعة «الفتاوى»: (١٠/ ٤٦) كما أثبتنا في النص.

(٤) والشافعي هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع، وُلد سنة ١٥٠هـ، وتفقه على مسلم بن خالد الزنجي، وسفيان بن عيينة بمكة، وعلى مالك بالمدينة، ألف الشافعي رسالة في الأصول، وهو أول من صنف في هذا العلم توفي رحمه الله سنة ٢٠٤هـ. انظر: «طبقات الشافعية» للسبكي: (١/ ١٩٠)، و«صفة الصفوة»: (٣/ ٣٤٨)، و«الوفيات»: (١/ ٥٦٥)، و«تاريخ بغداد»: (٣/ ٥٦).

كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل فائت، فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإن المصاب من حرم الثواب»[1]. ولهذا لم[2] يؤمر بالحزن المنافي للرضا قط، مع أنه لا فائدة فيه فقد[3] يكون مضرة، ولكنه يعفى عنه إذا لم يقترن به ما يكرهه الله[4]، لكن البكاء على الميت على وجه الرحمة له[5] حسن مستحب، وذلك لا ينافي الرضا، بخلاف البكاء عليه لفوات حظ الحي[6] منه، وبهذا يعرف معنى قول النبي ﷺ لما بكى على الميت وقال: «إن هذه رحمة جعلها[7] الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء»[8]. وأن[9] هذا[10] ليس كبكاء من يبكي على فوات حظه[11] لرحمة الميت، وقد قيل: إن[12] الفضيل بن عياض[13] لما مات

---

(١) في «مسند الإمام الشافعي»: (ص٣٦١)، كتاب الجنائز والحدود.

(٢) في «س» و«ش»: «نؤمر»، وفي «د»: «يأمر».

(٣) في «ص»: «قد».

(٤) لفظ الجلالة ساقط من «ش».

(٥) «له» ساقط من «ش» و«د» و«س».

(٦) في «س» و«د» و«ش»: «حظ منه».

(٧) في «ص»: «فإن».

(٨) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الجنائز (٢)، باب البكاء على الميت (٦)، ح٩٢٣، عن أسامة بن زيد بلفظه وهذا آخر الحديث مع إسقاط «إن».

(٩) في «ص»: «فإن».

(١٠) «هذا» ساقط من «د».

(١١) في «س» و«د» و«ش» قوله: «لحظه» بدلاً من قوله: «على فوات حظه».

(١٢) في «س» و«د» و«ش»: «وإن الفضيل».

(١٣) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي، اليربوعي، يكنى أبا علي، الزاهد، الخراساني، وُلد بها، وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبد، وانتقل إلى=

ابنه (علي) ضحك[1] وقال: رأيت أن الله تعالى قد قضى بقضاء، فأحببت أن أرضى بما قضى الله به[2]. [ويحكى أن رجلاً عزى الحسن بن علي[3] في ولد له مات وأطنب في مدحه ووصف شمائله فقال له الحسن: (إذا أحب الله ما تكره فيمن نحب رضينا) فهذه][4] الحالة[5] حال حسن بالنسبة إلى أهل الجزع. وأما رحمة الميت مع الرضا بالقضاء وحمد الله تعالى كحال النبي ﷺ فهذا أكمل[6]، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾[7] [فذكر سبحانه تعالى التواصي بالصبر والمرحمة][8].

---

= مكة وأقام بها إلى أن مات في أول سنة سبع وثمانين ومائة، وقيل: مات سنة ست وثمانين ومائة، وكان ثقة نبيلاً فاضلاً عابدًا ورعًا. انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٨/ ٢٩٤ ـ ٢٩٧)، و«صفة الصفوة»: (٢/ ٢٣٧ـ٢٤٧)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (٤/ ٨/ ٨٤ـ١٣٩).

(١) في «س» و«د» و«ش»: «فضحك».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» لأبي نعيم: (٤/ ٨/ ١٠٠)، ونصه فيها: (عن أبي علي الرازي قال: صحبت الفضيل بن عياض ثلاثين سنة ما رأيته ضاحكًا ولا متبسمًا إلا يوم مات ابنه «علي» فقلت له في ذلك فقال: إن الله عز وجل أحب أمرًا فأحببت ما أحب الله». وانظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٦٤).

(٣) الحسن بن علي بن أبي طالب ابن فاطمة الزهراء ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، كنيته أبو محمد، سم حتى نزل كبده، ومات بالمدينة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وصلى عليه سعيد بن العاص، ودُفن في بقيع الغرقد. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٧).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«د» و«ش»، ولم أستطع توثيق هذا القول.

(٥) في «س» و«د» و«ش»: «حاله» وهذا تصحيف.

(٦) «أكمل» ساقط من «د»، و«كما» ساقط من «ص» و«س» و«ش».

(٧) سورة البلد، الآية: ١٧.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».

والناس[1] أربعة أقسام: منهم من يكون فيه صبر بقسوة، ومنهم من يكون فيه رحمة بجزع، ومنهم من يكون فيه القسوة والجزع، والمؤمن المحمود الذي يصبر على ما يصيبه[2] ويرحم الناس. وقد ظن طائفة من المصنفين في هذا الباب: أن الرضا عن الله من توابع المحبة له، وهذا إنما يتوجه على المأخذ الأول: وهو الرضا عنه لاستحقاقه ذلك بنفسه مع قطع العبد النظر عن حظه، بخلاف المأخذ الثاني: وهو الرضا لعلمه بأن المقضي خير له. ثم إن[3] المحبة متعلقة به، والرضا متعلق بقضائه.

ولكن قد يقال في تقرير ما قال هذا المصنف ونحوه: أن المحبة لله تعالى نوعان: محبة له نفسه، ومحبة له، لما منه[4] من الإحسان. وكذلك الحمد له[5] نوعان: حمد له على ما يستحقه[6] بنفسه[7]، وحمد له[8] على إحسانه[9] إلى عبده.

فالنوعان للرضا كالنوعين للمحبة. فأما الرضا به وبدينه وبرسوله فذلك من حظ المحبة، ولهذا ذكر النبي ﷺ [ذوق طعم الإيمان كما ذكر

---

(١) في حاشية «ص» تصحيح بعبارة هي: «لعله في هذا المقام»، فتكون العبارة: «والناس في هذا المقام أربعة أقسام».

(٢) قوله: «على ما يصيبه» ساقط من «ص».

(٣) «إن» ساقط من «د».

(٤) في «د»: «فيه».

(٥) «له» ساقط من «س».

(٦) في «د»: «تستحقه».

(٧) في «د»: «نفسه».

(٨) «له» ساقط من «د» و«س» و«ش».

(٩) في «ص»: «الإحسان».

في المحبة وجود حلاوة الإيمان، وهذان الحديثان الصحيحان هما أصل فيما يذكر من الوجد والذوق الإيماني الشرعي دون الضالي البدعي، ففي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ][1] أنه قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا»[2].

وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن[3] حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ[4] أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى[5] في النار»[6].

وهذا إنما يتبين[7] بالكلام على المحبة فنقول:

* * *

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من «د» و«س» و«ش».

(٢) سبق تخريجه (ص٣٩٠).

(٣) «بهن» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٤) في «س»: «إن».

(٥) في «ش»: «يقذف».

(٦) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج، كتاب الإيمان (١)، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١٥)، ح٤٣، عن أنس بلفظه، وكذلك «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب حلاوة الإيمان (٩)، ح١٦، عن أنس بلفظ مقارب.

(٧) في «س» و«ش»: «يَبِين».

# فصل

محبة الله، بل محبة الله ورسوله من أعظم واجبات الإيمان، وأكبر أصوله وأجل قواعده، بل هي أصل كل عمل من أعمال الإيمان والدين، كما أن التصديق به أصل كل قول من أقوال الإيمان والدين، فإن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبته، إما عن محبة(١) محمودة أو عن محبة مذمومة، كما قد بسطنا ذلك في «قاعدة المحبة»(٢) من القواعد الكبار، فجميع الأعمال الإيمانية الدينية لا تصدر إلا عن المحبة المحمودة، وأصل المحبة المحمودة هو محبة الله سبحانه وتعالى(٣)؛ إذ العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لا يكون عملاً صالحًا(٤)، بل جميع الأعمال الإيمانية الدينية(٥) لا تصدر إلا عن محبة الله تعالى. فإن الله تعالى لا يقبل(٦) من العمل إلا ما أريد به وجهه، كما ثبت في «الصحيح» عن

---

(١) قوله: «أما عن محبة» ساقط من «ص».

(٢) قاعدة «المحبة» التي أشار إليها شيخ الإسلام لا تزال مخطوطة ضمن مخطوطات جامعة الإمام محمد بن سعود مصورة عن الظاهرية، وأخبرني الدكتور/ محمد رشاد سالم أنه يقوم بتحقيقها ضمن كتابه «جامع الرسائل» لابن تيمية، والكلام الذي أشار إليه ابن تيمية في أول صفحة من المخطوط وهي نسخة فريدة ورقمها في قسم المخطوطات بالجامعة (٩٣٣) فيلم.

(٣) في «د» بعد قوله: «سبحانه وتعالى» قوله: «فإن الله تعالى»، ولا يستقيم الكلام بإثباته.

(٤) في «س»: «صالح» وهو خطأ؛ لأنه وصف لخبر كان المنصوب، فحكمه النصب.

(٥) في «س» و«د» و«ش»: «الدينية الإيمانية».

(٦) في «س» و«ش»: «يتقبل».

النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري، فأنا منه بريء[1]، وهو كله للذي أشرك»[2].

وقد[3] ثبت في «الصحيح» حديث الثلاثة الذين هم «أول من[4] تسعر بهم جهنم: القارىء المرائي، والمجاهد المرائي، والمتصدق المرائي»[5].

---

(١) في «س»: «بريء منه».

(٢) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الزهد (٥٣)، باب من أشرك في عمله غير الله (٥)، ح٢٩٨٥، عن أبي هريرة بلفظ مقارب.

(٣) «قد» ساقط من «س» و«د» و«ش».

(٤) في «د» بدل «من» كلمة: «ثلاثة».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الإمارة (٣٣)، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (٤٣)، ح١٩٠٥، ولفظه في مسلم عن أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها. قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت. ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارىء، فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار. ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت. ولكنك فعلت ليقال: هو جواد. فقد قيل. ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار».
وابن تيمية رحمه الله أشار إلى معنى الحديث ولم يورد اللفظ كما هو واضح من سياق الكلام.

بل إخلاص الدين لله تعالى هو الدين الذي لا يقبل[1] الله سواه، وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة[2] أهل[3] الإيمان، وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه، قال الله تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[4]. والسورة كلها عامتها في هذا المعنى كقوله[5]: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾[6] إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[7] إلى قوله: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[8] إلى قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) في «س» و«ش»: «يتقبل».

(٢) في «ص»: «جميع».

(٣) «أهل» ساقط من «د».

(٤) سورة الزمر، الآيات: ١ ـ ٣.

(٥) في «س» و«ش»: «في قوله».

(٦) سورة الزمر، الآيات: ١١ ـ ١٥.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٨) سورة الزمر، الآية: ٣٨، وقوله تعالى: ﴿قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ ساقط من «س» و«ش».

﴿وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[١] إلى قوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٢] إلى قوله: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[٣]، وقال تعالى فيما قصه[٤] من قصة آدم وإبليس أنه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ[٧] هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[٨]، فبيَّن[٩] أن سلطان الشيطان وإغواءه[١٠] إنما هو لغير المخلصين.

ولهذا قال في قصة يوسف: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[١١]، وأتباع الشيطان هم أهل النار، كما قال

---

(١) سورة الزمر، الآيات: ٤٣ ـ ٤٥.
(٢) سورة الزمر، الآيتان: ٦٤ ـ ٦٥
(٣) سورة الزمر، الآية: ٦٦.
(٤) قوله: «فيما قصه» ساقط من «ص»، وفي «ص» و«د»: «في» بدلاً عن «من».
(٥) سورة ص، الآيتان: ٨٢ ـ ٨٣.
(٦) سورة الحجر، الآية: ٤٢.
(٧) «هم» ساقط من «ش».
(٨) سورة النحل، الآيتان: ٩٩ ـ ١٠٠.
(٩) في «س» و«ش»: «فتبين».
(١٠) «وإغواءه» ساقط من «د»، وهي في «س»: «واغتراءه».
(١١) سورة يوسف، الآية: ٢٤.

تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ[1] مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]. وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3]، وهذه الآية في حق من لم يتب، ولهذا خصص الشرك وقيد[4] ما سواه بالمشيئة[5]، فأخبر أنه لا يغفر الشرك لمن لم يتب منه، وما دونه يغفره لمن يشاء، وأما قوله: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ﴾[6] فتلك في حق التائبين، ولهذا عمم[7] وأطلق.

وسياق الآية يبين ذلك مع سبب نزولها[8]، وقد أخبر سبحانه أن الأولين والآخرين إنما أمروا بذلك في غير موضع، كالسورة التي قرأها

---

(١) «جهنم» ساقط من «د».

(٢) سورة ص، الآية: ٨٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٤) في «د» و«ش»: «وقيل» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٥) في «س»: «على المشيئة».

(٦) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٧) في «د»: «عم».

(٨) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/٥٨)، وفيه: (قال البخاري . . . عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن ناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلٰهًا آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون﴾ ونزل: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ وهو بهذا اللفظ في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب التفسير (٥٦)، باب (١)، ح٤٨١٠، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ موقوفًا عليه.

النبي ﷺ على أُبي[(1)] لما أمر الله تعالى أن يقرأها[(2)] عليه قراءة إبلاغ وإسماع[(3)] بخصوصه[(4)] فقال[(5)] تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝٤ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[(6)]، وهذا حقيقة في قول: «لا إله إلا الله»، وبذلك بعث جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ[(7)] إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[(8)]، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ

---

(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، يكنى أبا المنذر، شهد العقبة مع السبعين وبدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان يكتب الوحي وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ. قال عمر بن الخطاب في حقه: (هذا سيد المسلمين) ومات في سنة ثلاثين. انظر: «صفة الصفوة»: (١/ ٢٧٤ ـ ٢٧٦).

(٢) الهاء ساقط من «ص».

(٣) في «د»: «وسماع».

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٥٣٦)، وفيه: (وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ لأُبي ابن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ قال: وسماني لك؟ قال: نعم» فبكى.
رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به).
وقد ثبت في «صحيح مسلم»: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب (٢٣)، ح٧٩٩/ ١٢٢، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ لأُبي ابن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك لم يكن الذين كفروا [البينة: ١] قال: وسماني؟ قال: نعم، قال: فبكى».

(٥) الفاء ساقط من «د».

(٦) سورة البينة، الآيتان: ٤ ـ ٥.

(٧) في «د»: «يوحى» وهو خطأ.

(٨) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2].

وجميع الرسل افتتحوا دعوتهم بهذا الأصل، كما قال نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[3]، وكذلك هود[4] وصالح[5] وشعيب[6] عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم كل يقول: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ لاسيما أفضل الرسل اللذين[7] اتخذ الله كليهما خليلاً إبراهيم ومحمد ـ صلى الله عليهما وسلم تسليمًا ـ، فإن هذا الأصل بينه[8] الله بهما وأيدهما فيه ونشره بهما. فإبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ هو الإمام الذي قال الله فيه: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[9]، وفي[10] ذريته جعل الله[11] النبوة والكتاب والرسل بعده[12] فأهل هذه النبوة والرسالة هم من آله[13] الذين بارك الله عليهم، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٩.

(٤) سورة هود، الآية: ٥٠.

(٥) سورة هود، الآية: ٦١.

(٦) سورة هود، الآية: ٨٤.

(٧) في «د»: «الذين».

(٨) في «ص» و«د»: «ثبته الله».

(٩) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

(١٠) في «د»: «ومن» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(١١) لفظ الجلالة ساقط من «س» و«ش» و«د».

(١٢) «بعده» ساقط من «س» و«ش» و«د».

(١٣) «آله» ساقط من «ص» و«ش» و«س».

﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[1] فهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص لله تعالى، وهي البراءة من كل معبود إلا[2] من الخالق الذي فطرنا، كما قال صاحب يس: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرࣲّ لَّا تُغۡنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـࣰٔا وَلَا يُنقِذُونِ ۝٢٣ إِنِّىٓ إِذࣰا لَّفِى ضَلَٰلࣲ مُّبِينٍ ۝٢٤﴾[3]، وقال تعالى في قصته[4] بعد أن ذكر ما يبين[5] ضلال من اتخذ بعض الكواكب ربًّا يعبده من دون الله، قال: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّى بَرِىٓءࣱ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّى وَجَّهۡتُ وَجۡهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفࣰاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيۡـࣰٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنࣰاۚ فَأَىُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[6].

وقال[7] إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوࣱّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٧٧ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى

---

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨.

(٢) «إلا» ساقط من «د».

(٣) سورة يس، الآيات: ٢٢ ـ ٢٤.

(٤) أي: إبراهيم عليه السلام.

(٥) في «ص»: «تبين من».

(٦) سورة الأنعام، الآيات: ٧٨ ـ ٨١.
وقوله تعالى: ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون﴾ ساقط من «ص» و«د».

(٧) الواو ساقط من «س» و«ش».

ثُمَّ يُحْيِينِ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[2].

ونبينا ﷺ هو الذي أقام[3] الله به الدين الخالص لله، دين التوحيد، وقمع به أصناف المشركين[4]، ممن[5] كان مشركًا في الأصل، ومن[6] الذين كفروا من[7] أهل الكتاب.

وقال[8] ﷺ فيما[9] رواه الإمام أحمد وغيره: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي[10]، وجعل الذلة[11] والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»[12].

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ ـ ٨١.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١٣.

(٣) «أقام» ساقط من «د».

(٤) «أصناف» ساقط من «س» و«ش»، وفي «د» بدل قوله: «أصناف المشركين» بياض.

(٥) في «س» و«ش»: «فمن» وهذا تصحيف، وهو خطأ.

(٦) الواو ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٧) في «س»: «ومن».

(٨) «وقال» بياض في «د».

(٩) في «د»: «كما فيما».

(١٠) في «س»: «سيفي».

(١١) قوله: «والذلة و» ساقط من «ص».

(١٢) رواه أحمد في «مسنده»: (٢/ ٥)، بلفظه عن ابن عمر. وذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» وعزاه إلى الطبراني وأبي يعلى في «مسنده». انظر: «صحيح الجامع الصغير»: رقم (٢٨٢٨).

وقد تقدم بعض ما أنزل الله تعالى عليه[1] من الآيات المتضمنة[2] التوحيد، وقال[3] تعالى أيضًا[4]: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمۡ لَوَٰحِدٞ﴾[5]، إلى قوله: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ۝٣٦ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾[6]، إلى قوله[7]: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤١ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ﴾[8] إلى ما ذكره الله[9] من[10] قصص الأنبياء في التوحيد وإخلاص الدين لله، إلى قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٥٩ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾[11].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ

---

(١) «عليه» ساقط من «س» و«ش» و«ص».

(٢) في «د»: «المستفيضة» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٣) في «س» و«ش»: «فقال».

(٤) «أيضًا» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٥) سورة الصافات، الآيات: ١ ـ ٤. وفي «د» إلى قوله تعالى: ﴿إن إلٰهكم إله واحد﴾ وهذا خطأ من الناسخ.

(٦) سورة الصافات، الآيات: ٣٥ ـ ٣٧.

(٧) في «د» بدلاً من «إلى قوله»: «قال تعالى: ﴿إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾».

(٨) سورة الصافات، الآيات: ٤٠ ـ ٤٢، وقوله تعالى: ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ ساقط من «س» و«ش».

(٩) لفظ الجلالة ساقط من «س» و«ش» و«د».

(١٠) في «ش»: «في قصص».

(١١) سورة الصافات، الآيتان: ١٥٩ ـ ١٦٠.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

وفي الجملة[2] فهذا الأصل في مثل[3] سورة الأنعام والأعراف والنور والم[4] والحم والطس والر[5] وسور المفصل[6] وغير ذلك من السور المكية، ومواضع من السور المدنية كثيرة ظاهرة، وهو أصل الأصول وقاعدة الدين، حتى في سورتي[7] الإخلاص: [﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾][8]، وهاتان السورتان كان النبي ﷺ يقرأ بهما في صلاة[9] التطوع سنة الفجر، وركعتي الطواف[10]. وهما متضمنتان

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٢) في «ص»: «وبالجملة».

(٣) «مثل» ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٤) «الم» ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٥) «الـحم، الطس» بياض في «ص». «والر» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٦) وفي «ش» بعد قوله: «وسور المفصل» قوله: «وقل يا أيها الكافرون» وهو خطأ من الناسخ لا يستقيم عليه الكلام؛ لأن سورة «الكافرون» من سور المفصل.

(٧) في «ش»: «وسورة» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٨) سورة الكافرون، الآية: ١، وقوله تعالى: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ ساقط من «ش»، وسورة الإخلاص، الآية: ١.

(٩) في «س» و«ش» و«ص»: «ركعتي».

(١٠) ثبت في «صحيح مسلم»: (٢/ . . . ، ح١٢١٨/ ١٤٧)، في كتاب الحج (١٥)، باب (١٩)، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الطواف بقل هو الله أحد، وقل يا أيها الكافرون. .
وثبت أيضًا في «صحيح مسلم»: ج١، في كتاب صلاة المسافرين (٦)، باب (١٤)، ح٧٢٦/ ٩٨، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: قل يا أيها الكافرون، وقل هو الله أحد.

للتوحيد، فأما ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ فهي متضمنة للتوحيد العملي الإرادي، وهو إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة وهو الذي يتكلم به[(١)] مشايخ التصوف غالبًا. وأما سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فمتضمنة للتوحيد القولي العلمي[(٢)] كما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «أن رجلاً كان يقرأ ﴿قُلْ[(٣)] هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في صلاته، فقال النبي ﷺ: سلوه لم يفعل ذلك؟ فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحبها[(٤)]. فقال: أخبروه أن الله يحبه»[(٥)] ولهذا تضمنت هذه السورة من وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ الذي[(٦)] ينفي[(٧)] قول أهل التعطيل[(٨)] وقول أهل

(١) «به» ساقط من «د».

(٢) في «س» و«ش»: «وكما».

(٣) في «س» و«د»: «بقل».

(٤) في «د»: «فأنا أحب أن أقرأ بها».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦)، باب فضل قراءة قل هو الله أحد (٤٥)، ح٨١٣. ولفظه عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً على سرية. وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ ﴿قل هو الله أحد﴾ فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «سلوه، لأي شيء يصنع ذلك؟» فسألوه. فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها. فقال رسول الله ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه».
وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب التوحيد (٩٧)، باب (١)، ح٧٣٧٥، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ بلفظ نحوه.

(٦) في «ص»: «ما».

(٧) في «ش»: «جاء ينفي»، وفي «س»: «جاء بنفي».

(٨) العطل مصدر عَطِلَت المرأة وتَعَطَّلت إذا خلا جيدها من القلائد فهي عُطُل بضمتين=

التمثيل[1] ما صارت به هي[2] الأصل المعتمد عليه[3] في مسائل الذات، كما قد بسطنا ذلك في غير هذا الموضع.

وذكرنا اعتماد الأئمة عليها وعلى[4] ما تضمنته في[5] تفسير «الأحد» و«الصمد» كما جاء تفسيره[6] عن النبي ﷺ والصحابة والتابعين وما دل على ذلك من الدلائل[7].

---

= وعاطل ومعطال، وقد يستعمل العَطَل في الخلو من الشيء، وإن كان أصله في الحلي يقال (عَطِلَ) الرجل من المال والأدب فهو عُطْلٌ، والتَّعْطِيلُ التفريغ، وبئر مُعَطَّلة لِبُيُودِ أهلها. انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٤٤٠).

والتعطيل اصطلاحًا: يطلق ويراد به إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات أو إنكار بعضها فهو نوعان:

أ - تعطيل كلي: كتعطيل الجهمية، الذين أنكروا الصفات وغلاتهم ينكرون الأسماء أيضًا.

ب - تعطيل جزئي: كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض.

انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ٨٦ - ٩٤)، و«شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد» للشيخ محمد بن صالح العثيمين: (ص١١٣ - ١١٤).

(١) المِثْل؛ كلمة تسوية يقال: هذا (مِثْلُه) و(مَثَلُه) كما يقال: شِبْهُه وشَبَهُه. انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٦١٤).

وأهل التمثيل اصطلاحًا: هم المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا. انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ١٠٣).

(٢) في «د»: «هو».

(٣) «عليه» ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٤) «وعلى» ساقط من «ش»، وفي «د»: «مع» بدلاً منه، وهو في «س» بدون الواو.

(٥) في «ص»: «من».

(٦) في «ش»: «في تفسير».

(٧) انظر على سبيل المثال: «الفتاوى» لابن تيمية: (١٧/ ٢١٤ - ٤٥٢).

لكن المقصود هنا: هو التوحيد العملي، وهو إخلاص العمل(١) لله، وإن كان أحد النوعين مرتبطًا بالآخر، فلا يوجد أحد من أهل التعطيل والجهمية، وأهل التمثيل المشبهة إلا(٢) فيه نوع من الشرك العملي؛ إذ أصل قولهم فيه شرك، وتسوية بين الله وبين خلقه، أو بينه وبين المعدومات، كما تسوي المعطلة بينه وبين المعدومات في الصفات السلبية التي لا تستلزم مدحًا(٣) ولا ثبوت كمال، أو يسوون بينه وبين الناقص من الموجودات في صفات(٤) النقص، وكما يسوون(٥) إذا(٦) أثبتوا هم(٧) ومن ضاهاهم من(٨) الممثلة مساواة بينه(٩) وبين المخلوقات(١٠) [في حقائقها، حتى قد(١١) يعبدونها، فيعدلون بربهم ويجعلون له أندادًا، ويشبهون(١٢) المخلوق](١٣) برب العالمين.

---

(١) «العمل» ساقط من «د»، وفي «س» و«ش»: «الدين» بدلاً منه.
(٢) في «ش»: «الذي».
(٣) في «ش»: «قدحًا»، وفي «س»: «قدما»، وبهامشها: «لعله قدحًا» وهو خطأ.
(٤) في «ش»: «الصفات».
(٥) في «س» و«ش»: «يثبتون».
(٦) في «س»: «إذا هم».
(٧) قوله: «إذا أثبتوا هم» ساقط من «ص».
(٨) في «ص»: «بين».
(٩) قوله: «مساواة بينه» ساقط من «ص»، و«مساواة» ساقط من «ش».
(١٠) في «د»: «وبين مساواة المخلوقات».
(١١) «قد» ساقط من «س».
(١٢) في «د»: «ويسوون».
(١٣) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

واليهود[1] كثيرًا ما يعدلون الخالق بالمخلوق، ويمثلون[2] به حتى يصفوا الله بالفقر والعجز والبخل ونحو ذلك من النقائص التي يجب تنزيهه عنها، وهي من صفات خلقه[3]، والنصارى كثيرًا ما يعدلون المخلوق بالخالق[4]، حتى يجعلوا في المخلوق[5] من نعوت الربوبية وصفات الإلٰهية، ويجوزون له[6] ما لا يصلح[7] إلا[8] للخالق[9] سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

والله سبحانه وتعالى قد أمرنا بالدعاء والإنابة[10] في قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

وقد قال النبي ﷺ: «اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون»[11]،

---

(١) في «د»: «فاليهود».

(٢) في «س»: «ويمثلون».

(٣) «صفات خلقه» بياض في «ص».

(٤) في «د»: «الخالق بالمخلوق».

(٥) في «ش»: «المخلوقات».

(٦) «ويجوزون له» ساقط من «ص».

(٧) في «ص»: «يكون».

(٨) «إلا» ساقط من «ش».

(٩) في «ص»: «للعالم».

(١٠) في «د»: «أن نسأله أن يهدينا الصراط».

(١١) «سنن الترمذي»: ج٤، كتاب التفسير من تفسير سورة الفاتحة (٢)، ح٤٠٣٠، عن عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال» فذكر الحديث بطوله. قال الترمذي: حديث حسن غريب.
وأخرجه الإمام أحمد: (٤/٣٧٨)، من حديث عدي بن حاتم.

وفي هذه الأمة من فيه شبه من هؤلاء وهؤلاء[1] كما قال ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة[2] حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟»[3]، والحديث في «الصحيحين».

وإذا كان أصل العمل الديني هو إخلاص الدين لله، وهو إرادة الله وحده، فالشيء المراد لنفسه[4] هو[5] المحبوب لذاته. وهذا[6] كمال المحبة، لكن[7] أكثر[8] ما جاء المطلوب[9] مسمى[10] باسم العبادة كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[11]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) «وهؤلاء» ساقط من «ص».

(٢) القذة: ريش السهم. انظر: «لسان العرب» لابن منظور: (٣/ ٣٨)، مادة: «قذذ».

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب العلم (٤٧)، باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٢)، ح٢٦٦٩، ولفظه عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟».
وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٩٦)، باب (١٤)، ح٧٣٢٠، عن أبي سعيد ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مسلم.

(٤) في «د»: «بنفسه».

(٥) «هو» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٦) في «د»: «هو».

(٧) في «ص»: «بل»، وفي «س» و«ش»: «يكون».

(٨) «أكثر ما» ساقط من «ص».

(٩) «المطلوب» ساقط من «ش».

(١٠) «مسمى» ساقط من «ص».

(١١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

﴿ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[1]، وأمثال هذا[2].

والعبادة تتضمن كمال الحب[3] ونهايته، وكمال الذل ونهايته[4]، فالمحبوب الذي لا يعظم ولا يذل له لا يكون معبودًا، والمعظم الذي[5] لا يحب لا[6] يكون معبودًا، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾[7]، [فبين سبحانه أن المشركين بربهم الذين يتخذون من دون الله أندادًا وإن كانوا يحبونهم كما يحبون الله فالذين آمنوا أشد حبًا لله][8] منهم لله ولأوثانهم[9]؛ لأن المؤمنين[10] أعلم بالله. والحب يتبع العلم ولأن المؤمنين[10] جعلوا جميع حبهم لله وحده وأولئك جعلوا بعض حبهم له[11] وأشركوا[12] بينه

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١، وقوله تعالى: ﴿لعلكم تتقون﴾ ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٢) قوله: «وأمثال هذا» ساقط من «ص».

(٣) في «د»: «المحبة» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٤) قوله: «وكمال الذل ونهايته» ساقط من «س».

(٥) «الذي» ساقط من «ص».

(٦) «لا» ساقط من «ش»، وفي «س»: «أن يكون» وهذا خطأ واضح.

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ش».

(٩) قوله: «لله ولأوثانهم» ساقط من «ص»، وفي «س» و«ش»: «ولآبائهم» وهذا تصحيف.

(١٠) في «س»: «المؤمن».

(١١) في «د»: «لغيره».

(١٢) في «ش»: «أشركوا».

وبين الأنداد في الحب، ومعلوم أن ذلك أكمل قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١). واسم المحبة فيه إطلاق وعموم، فإن المؤمن يحب الله ويحب(٢) رسله(٣) وأنبياءه وعباده المؤمنين، وإن كان(٤) ذلك من محبة الله، وإن كانت المحبة التي لله لا يستحقها غيره، فقد(٥) جاءت محبة الله ـ سبحانه وتعالى ـ مذكورة بما يختص به ـ سبحانه ـ من العبادة لله والإنابة إليه والتبتل له ونحو ذلك، فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله ـ سبحانه وتعالى ـ. ثم إنه كما بيّن أن محبته أصل الدين فقد بيّن أن كمال الدين بكمالها، ونقصه بنقصها، فإن النبي ﷺ قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله»(٦).

فأخبر أن الجهاد سنام العمل وهو أعلاه وأشرفه. وقد قال تعالى: ﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

(٢) «ويحب» ساقط من «ص».

(٣) في «د»: «رسوله».

(٤) «إن كان» ساقط من «ص».

(٥) في «د»: «ولهذا»، وفي «س» و«ش»: «فلهذا».

(٦) «مسند الإمام أحمد»: (٥/ ٢٣١)، عن معاذ بن جبل بلفظه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد، والترمذي وصححه وهو من حديث معاذ بن جبل الطويل). انظر: «الفتاوى» لابن تيمية: (١٧/ ٢٦).
وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٥، ح٢٦١٦، كتاب الإيمان (١)، باب (٨). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

والنصوص في فضائل الجهاد وأهله[2] كثيرة، وقد ثبت أنه أفضل ما تطوع به العبد والجهاد لازم دليل[3] المحبة الكاملة[4]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾[5]. وقال سبحانه وتعالى في صفة المحبين المحبوبين[6]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[7].

[فوصف[8] المحبوبين بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، وأنهم[9] يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم][10]. فإن

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ١٩ - ٢٢.

(٢) «وأهله» ساقط من «ص».

(٣) في «د»: «لازم دليل المحبة».

(٤) في «ص»: «لازم للمحبة» فقط.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٦) «المحبوبين» ساقط من «ص».

(٧) سورة المائدة، الآية: ٥٤، وقوله تعالى: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ ساقط من «س» و«ش» و«ص».

(٨) في «س»: «فبين أن».

(٩) في «س»: «وأخبر عنهم».

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من «ص» و«ش».

المحبة(١) مستلزمة للجهاد، ولأن المحب يحب ما يحب محبوبه ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يواليه(٢)، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه ويغضب(٣) لغضبه ويأمر بما يأمر به، وينهيى عما ينهى عنه، فهو موافق له في ذلك.

وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم ويغضب لغضبهم؛ إذ هم إنما يرضون ما يرضاه، ويغضبون لما يغضب له، كما قال النبي ﷺ لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب(٤)، وبلال(٥): «لعلك أغضبتهم، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك. فقال لهم: يا إخوتي(٦) هل أغضبتكم؟

---

(١) في «ص»: «محبته».

(٢) في «س»: «من يوالي محبوبه».

(٣) في «س» بعد «لرضاه»: «ويبغض لبغضه».

(٤) صهيب بن سنان الرومي، يعرف بذلك؛ لأنه أخذ لسان الروم إذ سبوه وهو صغير، وهو نمري من النمر بن قاسط، شهد بدرًا مع الرسول ﷺ وغيرها، ويكنى أبا يحيى، وأوصى إليه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ بالصلاة بجماعة المسلمين حتى يتفق أهل الشورى، مات صهيب بالمدينة سنة ثمان وثلاثين في شوال وهو ابن سبعين. وقيل: مات في سنة تسع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. وقيل: ابن تسعين سنة ودُفن بالبقيع. روى عنه بعض الصحابة وبعض التابعين. ويعد في المدنيين.
انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر: (٢/ ١٩٥)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/ ٤٣٠)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (١/ ١/ ١٥١ ـ ١٥٦).

(٥) بلال بن رباح مؤذن الرسول الله ﷺ، أعتقه أبو بكر الصديق كنيته أبو عمرو. قال لأبي بكر الصديق بعد موت النبي ﷺ: إن كنت أعتقتني لله فدعني أذهب حيث شئت، وإن كنت أعتقتني لنفسك فأمسكني. قال أبو بكر: اذهب حيث شئت فذهب إلى الشام وسكنها مؤثرًا للجهاد على الآذان إلى أن مات بها سنة عشرين.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥٠).

(٦) في «ص»: «يا إخواني».

قالوا: لا. يغفر الله لك يا أبا بكر»[1]، وكان قد مر بهم أبو سفيان بن حرب[2] فقالوا: ما أخذت السيوف من عدو الله مأخذها، فقال لهم أبو بكر: أتقولون هذا لسيد قريش؟ وذكر[3] أبو بكر ذلك للنبي[4] ﷺ، فقال له: ما تقدم لأن هؤلاء إنما قالوا ذلك غضبًا لله، لكمال ما عندهم من الموالاة لله ورسوله، والمعاداة لأعدائه[5] ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح فيما يروي[6] عن ربه عز وجل: «ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، فبي يسمع وبي يبصر[7]، وبي يبطش، وبي يمشي، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته[8] ولابد له منه»[9].

---

(١) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب من فضائل سلمان وصهيب ـ رضي الله عنه ـ (٤٢)، عن عائذ بن عمرو بلفظ مقارب.

(٢) أبو سفيان بن حرب، اسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس والد معاوية بن أبي سفيان مات سنة إحدى وثلاثين. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٣٢).

(٣) في «د»: «فذكر».

(٤) في «ص»: «الرسول الله».

(٥) في «د»: «لأعداء الله ورسوله».

(٦) في «ش» و«ص»: «يروى به».

(٧) «وبي يبصر» ساقط من «س».

(٨) «وأنا أكره مساءته» ساقط من «د».

(٩) سبق تخريجه (ص٢٩١).

فبين سبحانه أنه يتردد؛ لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه [كما قال: وأنا أكره مساءته. وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت[1] فسمى ذلك ترددًا][2]، ثم بيَّن[3] أنه لابد من وقوع ذلك، وهذا اتفاق[4] واتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه. وقد يقال له: اتحاد نوعي وصفي، وليس ذلك اتحاد الذاتين، فإن ذلك محال ممتنع، والقائل به كافر وهو قول النصارى والغالية[5] من الرافضة وجهال النساك كالحلاجية[6] ونحوهم، وهو الاتحاد المقيد في شيء بعينه.

---

(١) في «د»: «أن لا يموت» وهو خطأ ظاهر.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(٣) في «س» و«ش»: «أخبر».

(٤) «اتفاق» ساقط من «ص» و«ش» بياض في «س».

(٥) غلاتهم الذين قالوا: بإلهية الأئمة وأباحوا محرمات الشريعة وأسقطوا وجوب فرائض الشريعة، كالبيانية والمغيرية والجناحية والمنصورية والخطابية والحلولية ومن جرى مجراهم، ما هم من فرق الإسلام وإن كانوا منتسبين إليه.
انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص٢٣ ـ ٢٤).

(٦) الحلاجية: هم المنسوبون إلى أبي المغيث الحسين بن منصور المعروف بالحلاج وقد اختلف فيه المتكلمون، فأكثرهم على تكفيره، واختلف الفقهاء أيضًا في شأن الحلاج فتوقف فيه أبو العباس بن سريج لما استفتي في دمه، وأفتى أبو بكر محمد بن داود بجواز قتله وبرىء منه بعض مشايخ الصوفية، وقيل: إنه يقول بالحلول، وقد ضرب وقتل وصلب بأمر الخليفة جعفر المقتدر بالله في يوم الثلاثاء لست بقين من ذي القعدة سنة تسع وثلثمائة.
انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص٢٦٠ ـ ٢٦٤).

وأما الاتحاد المطلق الذي هو قول أهل[1] وحدة الوجود الذين يزعمون أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، فهذا تعطيل للصانع وجحود له، وهو جامع لكل شرك، وكما أن الاتحاد نوعان: فكذلك الحلول نوعان: قوم يقولون بالحلول المقيد في بعض الأشخاص، وقوم يقولون بحلوله في كل شيء وهم الجهمية[2] الذين يقولون: إن ذات الله في كل مكان.

وقد يقع لبعض[3] المصطلمين[4] من أهل الفناء[5] في المحبة أن يغيب بمحبوبه عن نفسه وحبه، ويغيب بمذكوره عن ذكره وبمعروفه عن معرفته، وبموجوده عن وجوده حتى لا يشهد[6] إلا محبوبه ومذكوره[7] فيظن في زوال تمييزه، ونقص عقله، وسكره أنه هو[8] محبوبه، كما قيل: إن محبوبًا وقع في اليم فألقى المحب نفسه خلفه. فقال: أنا وقعت، فأنت ما الذي أوقعك فقال: غبت بك[9] عني[10] فظننت أنك أني[11].

---

(١) «أهل» ساقط من «س».

(٢) ستأتي ترجمة الجهمية عند كلام المؤلف عليهم في (ص٤٠٩).

(٣) في «د»: «البعض المختلطين» وهو خطأ.

(٤) تقدم بيان الاصطلام في القسم الأول من هذه الرسالة (ص١٠٢).

(٥) تقدم بيان الفناء في القسم الأول من هذه الرسالة (ص٩٨).

(٦) في «د»: «يشهدون» وهو خطأ.

(٧) «ومذكوره» ساقط من «س» و«د» و«ش».

(٨) في «س»: «من».

(٩) «بك» ساقط من «س» و«ش».

(١٠) في «س»: «غني» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(١١) انظر: «الفتاوى» لابن تيمية: (١١/ ٣٣٩).

فلا ريب أن هذا خطأ وضلال[(١)]. لكن إن كان هذا[(٢)] لقوة المحبة والذكر من غير أن يحصل عن سبب محظور زال به عقله كان معذورًا في زوال عقله، فلا يكون مؤاخذًا بما يصدر منه[(٣)] من الكلام في هذه الحال التي زال فيها عقله بسبب غير محظور، كما قيل في عقلاء المجانين: إنهم قوم أعطاهم الله عقولاً وأحوالاً، فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم، وأسقط ما فرض بما سلب[(٤)]. وأما إذا كان السبب الذي به زال[(٥)] العقل محظورًا لم يكن السكران معذورًا، وإن كان لا يحكم بكفره في أصح القولين، كما لا يقع[(٦)] طلاقه في أصح القولين، وإن كان النزاع في الحكم مشهورًا. وقد بسطنا الكلام في هذا وفي من يسلم له حاله ومن لا يسلم في «قاعدة» ذلك[(٧)].

وبكل حال فالفناء الذي يفضي بصاحبه إلى مثل هذا حال ناقص إن كان صاحبه غير مكلف، ولهذا لم يرد مثل هذا على[(٨)] الصحابة الذين هم

---

(١) في «د»: «وهلاك».

(٢) في «س»: «فهذا» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٣) في «ص»: «عنه».

(٤) نسب شيخ الإسلام ابن تيمية هذا القول إلى الإمام أبي محمد المقدسي في «السلوك»: (١٠/ ٣٤٩)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن هؤلاء كما بلغنا عن الإمام أبي محمد المقدسي حيث سئل عنهم، فقال: هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولاً وأحوالاً فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم، وأسقط ما فرض بما سلب) اهـ.

(٥) في «س» و«ش»: «زوال».

(٦) في «ص»: «لا يلغي».

(٧) انظر: «الفتاوى» لابن تيمية: (٣٣/ ١٠٢)، باب طلاق السكران ونحوه، و«السلوك» لابن تيمية: (١٠/ ٣٧٨ ـ ٣٨٦).

(٨) في «د»: «عن».

أفضل هذه الأمة، ولا على[(١)] نبينا قبلهم[(٢)] ﷺ وهو أفضل الرسل[(٣)] وإن كان لهؤلاء في[(٤)] صعق موسى عليه السلام نوع تعلق.

وإنما حدث زوال العقل عند الواردات الإلٰهية على بعض التابعين ومن بعدهم، وإن[(٥)] كانت المحبة[(٦)] التامة[(٧)] مستلزمة لموافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه في هذه الأمة[(٨)] وولايته وعداوته، فمن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة، فلابد أن يبغض أعداءه ولابد أن يحب ما يحبه من جهادهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[(٩)]، والمحب[(١٠)] التام لا يؤثر فيه لوم اللائم وعذل العاذل، بل ذلك يغريه[(١١)] بملازمة المحبة. كما قد قال[(١٢)] أكثر الشعراء في ذلك وهؤلاء هم أهل الملام المحمود، وهم الذين لا يخافون من يلومهم على ما يحب الله ويرضاه من جهاد أعدائه، فإن

---

(١) في «د»: «عن».

(٢) «قبلهم» ساقط من «س» و«ش» و«د».

(٣) «وهو أفضل الرسل» ساقط من «س» و«ش» و«ص».

(٤) في «د»: «م من».

(٥) في «ص»: «وإذا».

(٦) في «د»: «في المحبة».

(٧) «التامة» ساقط من «ص».

(٨) «في هذه الأمة» ساقط من «د»، وفي «ص»: «في هذه الآية» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٩) سورة الصف، الآية: ٤.

(١٠) في «س»: «الحب».

(١١) في «ص»: «نعرفه»، وفي «س» و«ش»: «يعرفه».

(١٢) «قد» ساقط من «ص»، و«قال» ساقط من «س» و«ش».

اللائم على ذلك كثير، وأما الملام على فعل[1] كرهه الله أو ترك ما أحبه الله[2]، فهو لوم بحق، وليس من المحمود الصبر على هذا الملام بل الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وبهذا يحصل الفرق بين الملامية الذين يفعلون ما يحبه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك، وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك.

* * *

(١) «فعل» ساقط من «س».

(٢) في «ص»: «يحبه الله»، وفي «س» ساقط لفظ الجلالة.

# فصل

وإذا كانت المحبة أصل كل عمل ديني، فالخوف والرجاء وغيرهما تستلزم المحبة وترجع إليها، فإن الراجي الطامع إنما يطمع فيما يحبه لا فيما يبغضه، والخائف يفر من الخوف[1] لينال المحبوب.

قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ ۚ﴾[3]، ورحمته: اسم جامع لكل خير، وعذابه[4]: اسم جامع لكل شر، ودار الرحمة الخالصة هي: الجنة، ودار العذاب الخالص: هي النار، وأما الدنيا فدار استدراج[5]. فالرجاء وإن تعلق بدخول الجنة، فالجنة: اسم جامع لكل نعيم، وأعلاه[6] النظر إلى الله ـ عز وجل ـ، كما في «صحيح[7] مسلم» عن ثابت[8]، عن عبد الرحمن ابن أبي

---

(١) «من المخوف» ساقط من «ش»، وفي «س»: «من المخيف».
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٨.
(٤) «اسم جامع لكل خير، وعذابه» ساقط من «س».
(٥) في «د»: «متزاج» وهذا تصحيف وهو خطأ.
(٦) في «س»: «وأعلاها» وهذا تصحيف وهو خطأ.
(٧) في «ش»: «الصحيح» مع إسقاط قوله: «مسلم».
(٨) قوله: «عن ثابت» ساقط من «س» و«ش» و«د».
وثابت هو: ثابت بن أسلم البُنَاني من ولد بُنانة بن سعد بن لؤي بن غالب أبو محمد، =

ليلى[1]، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد[2]: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا، ويثقل موازيننا، ويدخلنا الجنة، وينجينا[3] من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم[4] شيئًا أحب إليهم من النظر إليه»[5]، وهي الزيادة.

ومن هنا يتبين زوال الاشتباه في قول من قال: (ما[6] عبدتك شوقًا إلى جنتك ولا خوفًا من نارك، وإنما عبدتك شوقًا إلى رؤيتك)[7]. فإن

---

= ممن صحب أنس بن مالك أربعين سنة، وكان من أعبد أهل البصرة وأكثرهم صبرًا على كثرة الصلاة ليلاً ونهارًا مع الورع الشديد، ومات سنة سبع وعشرين ومائة وهو ابن ست وثمانين سنة. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٨٩، رقم الترجمة ٦٥٠).

(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى وُلد في خلافة أبي بكر، وقيل: وُلد لست بقين من خلافة عمر. روى عن بعض الصحابة منهم صهيب، أدرك عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ قال ابن معين: ثقة وقال العجلي، كوفي تابعي، فقد بالجماجم سنة ٨٢هـ.
انظر: «تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٦/ ٢٦٠)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم: (٢/ ٤/ ٣٥٠_٣٥٨).

(٢) في «د»: «منادى».

(٣) في «ص»: «يحبرنا».

(٤) في «ص»: «فما أعطاهم الله».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى (٨٠)، ح١٨١، عن صهيب عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال يقول الله تبارك وتعالى: أتريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقول: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل».

(٦) «ما» ساقط من «س».

(٧) «إلى رؤيتك» بياض في «د». =

هذا القائل ظن هو ومن تابعه[(١)] أن الجنة لا يدخل في مسماها إلا الأكل[(٢)] والشرب واللباس والنكاح والسماع ونحو ذلك مما فيه التمتع بالمخلوقات، كما يوافقه[(٣)] [على ذلك من ينكر رؤية الله من الجهمية، أو من يُقِرُّ بها ويزعم أنه لا تمتع في نفس رؤية الله، كما يقوله طائفة من المتفقهة، فهؤلاء متفقون على أن مسمى الجنة أو الآخرة لا يدخل فيه إلا التمتع بالمخلوقات[(٤)]، ولهذا قال بعض من غلط من المشايخ لما سمع قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾[(٥)]، قال: فأين من يريد الله[(٦)]؟، وقال آخر في قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ

---

= وهذا القول يروى عن رابعة العدوية، كما ذكر ذلك أبو طالب المكي في كتابه «قوت القلوب»: (٢/ ٥٧).

وذكر ذلك الغزالي في «إحياء علوم الدين»: (٣/ ٢٨٥).

(١) في «ص»: «نازعه» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٢) «إلا الأكل» بياض في «د».

(٣) يبدأ من هنا سقط من «س» إلى (ص٤٦٤).

(٤) في «د»: «بالمخلوق».

(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٥٢.

(٦) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الاستقامة» (٢/ ١٠٦): (ما ذكر عن الشبلي رَحِمَهُ اللهُ أنه سمع قارئًا يقرأ: ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٢] فصرخ وقال: أين من يريد الله؟ فيحمد منه كونه أراد الله، ولكن غلط في ظنه أن الذين أرادوا الآخرة ما أرادوا الله. وهذه الآية في أصحاب النبي ﷺ الذين كانوا معه بأحد، وهم أفضل الخلق، فإن لم يريدوا الله، أفيريد الله من هو دونهم كالشبلي وأمثاله؟) اهـ.

﴿أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[(١)]، قال[(٢)]: فإذا كانت النفوس والأموال[(٣)] بالجنة فأين النظر إليه؟ وكل[(٤)] هذا لظنهم أن الجنة لا يدخل فيها النظر إلى الله تعالى[(٥)] والتحقيق أن الجنة: هي الدار الجامعة لكل نعيم، وأعلى ما فيها النظر إلى الله تعالى وهو من النعيم الذي ينالونه وهم[(٦)] في الجنة كما أخبرت به النصوص، وكذلك أهل النار فإنهم[(٧)] محجوبون عن ربهم ثم[(٨)] يدخلون النار، مع أن هذا القائل إذا[(٩)] كان عارفًا بما يقول فإنما[(١٠)] قصده: أنك لو لم تخلق نارًا ولم[(١١)] تخلق جنة لكان يجب أن تعبد، ويجب ذلك للتمتع[(١٢)] بالتقرب إليك والنظر إليك، [ومقصوده بالجنة هنا ما يتمتع فيه بالمخلوق، أما عمل الحي بغير حب ولا إرادة أصلاً فهذا ممتنع وإن تخيله[(١٣)] بعض الغالطين من النساك وظن أن كمال العبد أن لا يبقى له

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(٢) «قال» ساقط من «ص».

(٣) في «د»: «الأموال والأنفس».

(٤) «وكل» ساقط من «ص».

(٥) قوله: «إلى الله تعالى» ساقط من «د» و«ش».

(٦) «وهم» ساقط من «د» و«ش».

(٧) في «ش»: «وإنهم».

(٨) ساقط من «ش»، وفي «ص»: «ويدخلون النار».

(٩) في «ص»: «إن».

(١٠) في «د» و«ش»: «وإنما».

(١١) في «د»: «ولو لم تخلق جنة».

(١٢) قوله: «ذلك للتمتع» ساقط من «د» و«ش»، وفيهما: «ويجب التقرب».

(١٣) في «د»: «من تخليه» وما أثبتناه في النص من المطبوعة وهو «إن تخليه». «مطبوعة الفتاوى»: (١٠/ ٦٣).

إرادة أصلاً[1]، فذاك لأنه تكلم في حال الفناء، والفاني الذي يشتغل بمحبوبه له إرادة ومحبة، ولكن لا يشعر بها، فوجود[2] المحبة شيء والإرادة شيء[3] والشعور بها شيء آخر، فلما لم يشعروا بها ظنوا انتفاءها، وهو غلط فالعبد لا يتصور أن يتحرك قط إلا عن حب وبغض وإرادة. ولهذا قال النبي ﷺ: «أصدق الأسماء الحارث وهمام»[4] فكل

---

(١) انظر: بسط الكلام في المسألة في «الفتاوى» لابن تيمية: (١٠/ ٤٩٤).

(٢) في «د»: «فوجد»، وما أثبتناه في النص من المطبوعة وهو في «الفتاوى»: (١٠/ ٦٣).

(٣) في المطبوعة: «والإرادة الشيء» وهذا تصحيف. مطبوعة «الفتاوى»: (١٠/ ٦٣).

(٤) أخرجه أبو داود في «سننه»: ج٥، كتاب الأدب (٣٥)، باب (٦٩)، ح٤٩٥٠، ولفظه هناك: حدثنا هارون بن عبد الله، حدثنا هشام بن سعيد الطلقاني أخبرنا محمد بن المهاجر الأنصاري قال: حدثني عقيل بن شبيب، عن أبي وهب الجشمي وكانت له صحبة ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة».
وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٤/ ٣٤٥). طبع المكتب الإسلامي وبهامشه «المنتخب».
وخرجه الألباني في كتابه «إرواء الغليل»: (٤/٤٠٨، ح١١٧٨)، وعزاه إلى أبي داود والنسائي وأحمد والبيهقي، كلهم من طريق عقيل بن شبيب عن أبي وهب الجشمي، وقال: وهذا إسناد ضعيف، من أجل عقيل بن شبيب قال الذهبي: لا يعرف هو ولا الصحابي إلا بهذا الحديث. وقال الحافظ: مجهول. ولتمام الحديث شاهد مرسل صحيح خرجته في «الصحيحة»: رقم (١٠٤٠)، وقال أيضًا: (تنبيه: قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في «مجموع الفتاوى» ١/ ٣٧٩: وقد ثبت في «صحيح مسلم» عن نافع عن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة». وهذا من أوهامه رحمه الله، فإنه كان يكتب من حفظه قلما يراجع كتابًا عندما يكتب فإن حديث ابن عمر في «صحيح مسلم»، كما قال، لكن دون قوله وأصدقها ... إلخ. وإنما هذه الزيادة في حديث أبي وهب الجشمي هذا ولا تصح كما علمت، فاقتضى التنبيه) انتهى كلام الألباني. =

إنسان له حرث[1] وهو العمل، وله همّ وهو أصل الإرادة ولكن تارة يقوم بالقلب من محبة الله ما يدعوه إلى طاعته ومن إجلاله والحياء منه ما ينهاه عن معصيته][2] كما قال عمر ـ رضي الله عنه ـ: (نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه)[3]، أي: هو لا يعصيه ولو لم يخفه فكيف إذا خافه[4] فإن إجلاله وإكرامه لله يمنعه عن معصيته. فالراجي الخائف إذا تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب باحتجاب الرب عنه والتنعم بتجليه له، فمعلوم أن هذا من توابع محبته له، فالمحبة هي التي أوجبت محبة التجلي والخوف من الاحتجاب، وإن تعلق خوفه ورجاؤه بالتعذب بمخلوق والتنعم به فهو[5] إنما يطلب ذلك بعبادة الله [المتضمنة لأصل المحبة[6] ثم إنه إذا ذاق[7] حلاوة محبة الله][8] وجدها أحلى من كل محبة، ولهذا يكون اشتغال أهل الجنة بذلك أعظم من كل شيء، كما في الحديث: «إن أهل الجنة يلهمون

---

= قلت: وهو كما قال الألباني، ففي «صحيح مسلم»: ج٣، كتاب الآداب (٣٨)، ح٢١٣٢/ ٢، عن نافع عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحبَّ أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن». فلم يرد في مسلم قوله: «أصدق الأسماء الحارث وهمام».

(١) في «د»: «حارث».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ش» و«ص».

(٣) انظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف»: (ص٩٢)، و«قوت القلوب»: (١/ ٢٢٤)، و«المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة» للسخاوي: (ص٤٤٩).

(٤) «فكيف إذا خافه» ساقط من «ص» و«ش».

(٥) في «ش» و«د»: «فهذا».

(٦) في «د»: «المستلزمة محبته».

(٧) في «د»: «وجد».

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

التسبيح كما يلهمون النفس»[1]، وهذا يبين غاية تنعمهم بذكر الله ومحبته.

فالخوف من التعذب بمخلوق والرجاء له يسوقه إلى محبة الله التي هي الأصل. وهذا كله ينبني على أصل المحبة، فيقال: قد نطق الكتاب والسنة بذكر محبة العباد المؤمنين لربهم، ومحبة الرب لعباده المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾[4]، وفي «الصحيحين»[5] عن النبي ﷺ أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى[6] في النار»[7]. بل محبة رسول الله ﷺ والأعمال الصالحة الواجبة[8] وجبت بمحبة الله كما[9] في قوله تعالى:

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الجنة ... إلخ (٥)، باب في صفة الجنة وأهلها (٧)، ح٢٨٣٥، عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون» قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس».

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٥) «الصحيحين» بياض في «ص».

(٦) «كما يكره أن يلقى» مكانه محو في «د».

(٧) سبق تخريجه في (ص٣٧٢).

(٨) قوله: «والأعمال الصالحة الواجبة» ساقط من «د» و«ش».

(٩) في «ش»: «كما قال في قوله».

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وكما في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»(١).

وفي «صحيح البخاري» أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «والله يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من كل شيء، إلا من نفسي، فقال له(٢): لا(٣) يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك. قال: فوالله لأنت أحب إليَّ من نفسي. قال: الآن يا عمر»(٤).

وكذلك محبة صحابته وقرابته، كما في «الصحيح» عن النبي ﷺ أنه قال: «آية الإيمان محبة الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»(٥)، وقال:

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ (١٦)، ح٤٤، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (٨)، ح١٤، عن أنس ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(٢) «له» ساقط من «ش».

(٣) «لا» ساقط من «ش».

(٤) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الأيمان والنذور (٨٣)، باب (٣)، ح٦٦٣٢، عن عبد الله بن هشام قال: «كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا نفسي، فقال النبي ﷺ: لا والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إليَّ من نفسي. فقال النبي ﷺ: الآن يا عمر».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري»: ج١، كتاب الإيمان (٢)، باب علامة الإيمان حب الأنصار (١٠)، ح١٧، عن أنس بلفظه إلا أن بدل قوله: «محبة» في البخاري: «حب».

«لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر»[1]، وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: «إنه لعهد النبي الأمي[2] ﷺ إليَّ أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[3].

وفي «السنن» أنه قال للعباس[4]: «والذي نفسي بيده، لا يدخلون[5] الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي»[6] يعني: بني هاشم.

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ـ رضي الله عنهم ـ من الإيمان . . . إلخ (٣٣)، ح٧٦، عن أبي هريرة بلفظه، وفي «ص» زيادة لم ترد في مسلم فلم أثبتها في النص وهي: «ولا يبغضني إلا منافق».

(٢) «الأمي» ساقط من «ش».

(٣) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الإيمان (١)، باب الدليل على أن من أحب الأنصار وعلي ـ رضي الله عنهم ـ من الإيمان . . . إلخ (٣٣)، ح٧٨، عن علي قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبيّ الأمي ﷺ إلى «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق».

(٤) العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، كنيته أبو الفضل، وأمه ابنة جناب بن كلب ابن مالك بن النمر بن قاسط، كان مولده قبل الفيل بثلاث سنين، ومات سنة ثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة بالمدينة، وصلى عليه عثمان بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ. انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/٥٠٦ ـ ٥١٠)، و«مشاهير علماء الأمصار»: (ص٩).

(٥) «لا يدخلون» بياض في «د».

(٦) أخرج الإمام أحمد في «مسنده»: (١/٢٠٧)، وفيه: عن عبد المطلب بن ربيعة قال: دخل العباس على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنا لنخرج فنرى قريشًا تحدث فإذا رأونا سكتوا. فغضب رسول الله ﷺ ودر عرق بين عينيه ثم قال: «والله لا يدخل قلب امرىء إيمان حتى يحبكم لله ولقرابتي».

وفي رواية في «مسند الإمام أحمد»: (١/٢٠٧ ـ ٢٠٨)، عن عبد الله بن الحارث عن=

وقد رُوي حديث عن ابن[1] عباس مرفوعًا أنه قال: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي»[2].

وأما محبة الرب سبحانه لعبده، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[3]، وقال تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[5]، ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[6]، ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[7]، ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[8]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا

---

= العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول الله، إن قريشًا إذا لقي بعضهم بعض لقوهم ببشر حسن. وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها. قال: فغضب النبي ﷺ غضبًا شديدًا وقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله».

وأخرجه الترمذي بلفظ مقارب في «الجامع» بشرحه «التحفة»: (١٠/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤، ح٣٨٤٧)، في أبواب المناقب، باب مناقب العباس، عن العباس بن عبد المطلب. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الشارح المباركفوري: (وأخرجه أحمد). ورواه ابن ماجه في المقدمة مع اختلاف عنه في اللفظ أيضًا: (١/ ٥٠)، وأخرجه الحاكم في «معرفة الصحابة»: (٣/ ٣٣٣)، وسكت عنه الذهبي.

(١) «عن ابن» بياض في «د».

(٢) «سنن الترمذي»: ج٥، المناقب، ح٣٨٧٨، عن ابن عباس بلفظه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٥، وقوله تعالى: ﴿وأحسنوا﴾ ساقط من «ص».

(٦) سورة الحجرات، الآية: ٩.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٤.

(٨) سورة التوبة، الآية: ٧.

﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1]، ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2].

وأما الأعمال التي يحبها الله، الواجبات[3] والمستحبة، الظاهرة والباطنة فكثيرة معروفة، وكذلك حبه لأهلها، وهم المؤمنون أولياء الله المتقون. وهذه المحبة حق[4] كما نطق بها الكتاب والسنة والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة[5] والحديث وجميع مشايخ الدين المتبعون[6] وأئمة التصوف أن الله سبحانه محبوب بحب ذاته محبة حقيقية بل هي أكمل محبة، فإنها[7] كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[8]، وكذلك هو[9] ـ سبحانه وتعالى ـ يحب ما يحبه من عباده المؤمنين، وما هو في الله[10] محبة حقيقية.

وأنكر[11] الجهمية حقيقة المحبة من الطرفين، زعمًا منهم أن المحبة

---

(١) سورة الصف، الآية: ٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٦.

(٣) في «ص»: «من الواجبات».

(٤) «حق» ساقط من «ص» و«ش».

(٥) قوله: «والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة» ساقط من «ص».

(٦) قوله: «المتبعون وأئمة» ساقط من «ش».

(٧) «فإنها» ساقط من «ش».

(٨) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(٩) «هو» ساقط من «ش».

(١٠) قوله: «وما هو في الله» ساقط من «د».

(١١) في «د»: «وأنكرت».
والجهمية: هم المنتسبون إلى جهم بن صفوان.
والجهمية: تطلق بمعنى عام ويقصد بهم نفاة الصفات، وتطلق أحيانًا بمعنى خاص ويقصد بها أتباع الجهم بن صفوان في آرائه. وأهمها: نفي الصفات، والقول بأن الله =

لا تكون إلا لمناسبة[1] بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة[2].

وكان أول من ابتدع هذا في الإسلام هو الجعد بن درهم[3] في أوائل المائة الثانية، فضحى به خالد بن عبد الله القسري[4] أمير العراق والمشرق بواسط. خطب الناس يوم الأضحى فقال: يا أيها الناس، ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم

---

= لا يعلم الشيء قبل وقوعه وأن الإنسان مجبور على كل أفعاله، والقول بفناء الجنة والنار، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة كالمعتزلة.

انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ٨٦ ـ ٨٨)، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص١٩٩ ـ ٢٠٠)، و«مقالات الإسلاميين» للأشعري: (١/ ١٣٢ ـ ٢٧٩).

وانظر كلام الدكتور/ محمد رشاد سالم عن الجهمية في «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية: (٨١).

(١) في «ش»: «قياسية» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٢) في «س»: «يوجب واجب فادوا به المحبة» هكذا وردت، ولعله «قاسوا به المحبة».

(٣) الجعد بن درهم: عداده في التابعين، مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليمًا. فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر. والقصة مشهورة، وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة نسأل الله العافية. انظر: «لسان الميزان» لابن حجر: (٢/ ١٠٥)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي: (١/ ٣٩٩).

(٤) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد البجلي، القسري الدمشقي، أمير العراقيين. قال ابن عدي: وهو عندي ضعيف. وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وقال يحيى بن معين: إنه رجل سوء وكان يقع في علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ. عذب وقتل سنة ١٢٦هـ.

انظر: «الكاشف» للذهبي: (١/ ٣٧١)، و«ميزان الاعتدال»: (١/ ٦٣٣)، و«لسان الميزان»: (٢/ ٣٩١ ـ ٣٩٢)، و«البداية والنهاية»: (١٠/ ١٧)، و«تهذيب التهذيب»: (٣/ ١٠٢).

خليلاً ولم يكلم موسى تكليمًا، تعالى الله عما يقوله الجعد علوًّا كبيرًا[(١)]، ثم نزل فذبحه[(٢)]. وكان قد أخذ هذا المذهب عنه[(٣)] الجهم بن صفوان[(٤)]، فأظهره وناظر عليه، وإليه أضيف قول الجهمية، فقتله سلم[(٥)] ابن أحوز أمير خرسان بها، ثم انتقل ذلك إلى المعتزلة، أتباع عمرو بن[(٦)]

---

(١) قوله: «تعالى الله عما يقوله الجعد علوًّا كبيرًا» ساقط من «د» و«ش».

(٢) أخرج هذه القصة البخاري في كتابه «خلق أفعال العباد»: (ص٧).

(٣) في «ش»: «عن» وهو خطأ ولعله تصحيف.

(٤) الجهم بن صفوان: هو جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الراسبي، كان من موالي بني راسب ضال مبتدع رأس الجهمية، يكثر ذكره في كتب التاريخ والفرق وقال الطبري: إنه كان كاتبًا للحارث بن سريج الذي خرج في خراسان في آخر دولة بني أمية. وجهم من الجبرية الخالصة. وقد ظهرت بدعته بترمذ.
وتتلمذ على الجعد بن درهم ووافق الجهم المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء، قتله سلم بن أحوز بمرو في آخر دولة بني أمية سنة ثمان وعشرين ومائة. وقال عبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق»: (اتفقت أصناف الأمة على تكفيره).
انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني: (١/ ٨٦)، و«الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص١٩٩ ـ ٢٠٠)، و«مقالات الإسلاميين» للأشعري: (١/ ٢٢٤)، و«لسان الميزان» لابن حجر: (٢/ ١٤٢)، و«تاريخ الأمم والملوك»: (٩/ ٦٩).

(٥) في «د»: «مسلم».

(٦) سبقت ترجمة المعتزلة (ص٢٩٣).
وعمر بن عبيد هو عمر بن عبيد بن باب، أبو عثمان البصري المعتزلي، القدري، روى عن الحسن البصري وغيره، كان يسكن البصرة، وجالس الحسن وحفظ عنه واشتهر بصحبته، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة، فقال بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحسن، وكان أبوه من شرطة الحجاج. قال ابن معين: لا يكتب حديثه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال أيوب ويونس: يكذب. وقال حميد: كان يكذب على الحسن. وكان يسب الصحابة. وقال الدارقطني وغيره: ضعيف. =

عبيد، وظهر قولهم أثناء خلافة الخليفة المتلقب[1] بالمأمون، حتى امتحن أئمة الإسلام ودعوا إلى الموافقة لهم على ذلك.

وأصل قولهم[2] هذا[3] مأخوذ عن المشركين والصابئة من البراهمة والمتفلسفة[4] ومبتدعة أهل الكتاب، الذين يزعمون أن الرب ليس[5] له صفة ثبوتية أصلاً وهؤلاء هم أعداء إبراهيم[6] الخليل عليه السلام، وهم يعبدون الكواكب ويبنون الهياكل للعقول والنجوم وغيرها[7] وهم ينكرون][8] في الحقيقة أن يكون إبراهيم خليلاً أو موسى[9] كليمًا، لأن

---

= مات بطريق مكة سنة ثلاث وأربعين ومائة، وقيل: سنة اثنتين، وقيل: سنة أربع.
انظر: «التاريخ الكبير» لأبي عبد الله البخاري: (٦/ ٣٥٢)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي: (٣/ ٢٧٣ ـ ٢٨٠)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٨/ ٧٠ ـ ٧٢).

(١) في «ص»: «الملقب».

(٢) «قولهم» ساقط من «ش».

(٣) «هذا» ساقط من «ص».

(٤) البراهمة انتسبوا إلى رجل يقال له: براهم، وهم المنكرون للنبوات أصلاً، ومنهم من يميل إلى الدهر، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية، وأكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها، فمن قائل بالروحانيات، ومن قائل بالهياكل، ومن قائل بالأصنام. «الملل والنحل» للشهرستاني: (٢/ ٢٥٠).
والمتفلسفة: هم حكماء الروم واليونان، الذين قالوا: إن للعالم مبدعًا لا تدرك صفته العقول من جهة هويته، وإنما يدرك من جهة آثاره وهو الذي لا يعرف اسمه فضلاً عن هويته إلا من نحو أفاعيله، وإبداعه وتكوينه الأشياء. انظر: «الملل» للشهرستاني: (٢/ ٦١).

(٥) «ليس» ساقط من «د».

(٦) «إبراهيم» ساقط من «د».

(٧) في «د»: «وغيرها».

(٨) ما بين القوسين ساقط من «س». تقدم قوس في (ص٤٤٧).

(٩) في «د»: «وموسى كليمًا».

الخلة: هي كمال المحبة المستغرقة للمحب. كما قيل:

قد تخللت مسلك الروح مني — وبـذا سمـي الخليـل خليـلا

ويشهد لهذا ما ثبت في «الصحيح» عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «لو كنت متخذًا[(١)] من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الله»[(٢)]، يعني: نفسه.

وفي رواية[(٣)]: «إني أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً[(٤)]»[(٥)].

وفي رواية: «إن الله اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً»[(٦)].

---

(١) قوله: «كنت متخذًا» بياض في «د».

(٢) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ (١)، ٦/٢٣٨٣، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ بلفظه إلا أن بدل «أبا بكر»: «ابن أبي قحافة» فهو بهذا اللفظ عن ابن مسعود، وليس عن أبي سعيد الخدري كما أورده الشيخ.

(٣) قوله: «يعني نفسه. وفي رواية» ساقط من «ص».

(٤) «خليلاً» ساقط من «س».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب (١)، ح٢٣٨٣/٧، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أبرأ إلى كل خِلٍّ من خله، ولو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً. إن صاحبكم خليل الله».

(٦) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب المساجد (٥)، باب (٣)، ح٥٣٢، عن جندب قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً، كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذًا من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ...» الحديث.

فبين ﷺ أنه لا يصلح له أن يتخذ من المخلوقين خليلاً، وأنه لو يكن[(١)] ذلك لكان أحق الناس به، أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، مع أنه ﷺ قد وصف نفسه بأنه يحب أشخاصًا، كقوله لمعاذ: «والله إني لأحبك»[(٢)]، وكذلك قوله للأنصار[(٣)].

وكان زيد بن حارثة[(٤)] حب رسول الله ﷺ، وكذلك ابنه . . . . . . . .

---

(١) في «د»: «أمكن».

(٢) عن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: «يا معاذ، إني والله لأحبك، فلا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك».
أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٥/ ٢٤٥ ـ ٢٤٧).
وأخرجه النووي في «رياض الصالحين»: (ص٤٩٨)، وقال: رواه أبو داود بإسناد صحيح وقال ابن حجر في «فتح الباري»: (١١/ ١٣٣)، في كتاب الدعوات (٨٠)، باب (١٨): (فقد ثبت عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: يا معاذ، إني والله لأحبك فلا تدع دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان والحاكم) انتهى كلامه.
وقال الألباني في تحقيقه لكتاب «الكلم الطيب» لابن تيمية (ص٧٦): إسناده صحيح، ورجاله كلهم ثقات.

(٣) ورد في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٧، كتاب مناقب الأنصار (٦٣)، باب قول النبي ﷺ للأنصار: أنتم أحب الناس إليَّ (٥)، ح٣٧٨٦، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها فكلمها رسول الله ﷺ فقال: «والذي نفسي بيده إنكم أحب الناس إليَّ. مرتين».

(٤) هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى بن امرىء القيس ويكنى أبا أسامة، وهو مولى رسول الله ﷺ، أشهر مواليه، وهو حب رسول الله ﷺ، وأصابه سباء في الجاهلية، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد، فوهبته للنبي ﷺ =

أسامة[1] حبه[2].

[وقال له عمرو[3] بن العاص[4]: «أيّ الناس أحبُّ إليك؟ قال:

---

= بمكة قبل النبوة، وهو ابن ثماني سنوات، فأعتقه وتبناه، وكان يدعى زيد بن محمد حتى أنزل الله تعالى: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥] وهو من السابقين إلى الإسلام، وشهد بدرًا وما بعثه رسول الله ﷺ في سرية إلا أمره عليهم. وقتل زيد بن حارثة في مؤتة من أرض الشام في جمادى من سنة ثمان من الهجرة.
انظر: «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير: (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٧).

(١) أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وابن حبه، كنيته أبو يزيد، وقد قيل: أبو محمد، ويقال: أبو زيد، توفي بعد أن قتل عثمان بن عفان بالمدينة.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص١١).

(٢) ورد في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب (١٠)، ح٢٤٢٥، عن ابن عمر يقول: بعث رسول الله ﷺ أسامة ابن زيد، فطعن الناس في إمرته فقام رسول الله ﷺ فقال: «إن تطعنوا في إمرته، فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل. وايم الله إن كان لخليقًا للإمرة، وإن كان من أحب الناس إليّ، وإن هذا لمن أحبِّ الناس إليّ بعده».
وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٨، كتاب المغازي (٦٤)، باب (٨٧)، ح٤٤٦٩، عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ بلفظ نحوه.

(٣) بياض في «ص».

(٤) في «ص»: «ابن أبي وقاص» وهو خطأ، والصحيح إنما هو عمرو بن العاص راوي الحديث كما في مسلم. وهو الصحابي عمرو بن العاص بن وائل بن هشام السهمي القرشي أمير مصر. يكنى أبا عبد الله، وقد قيل: أبو محمد، من دهاة قريش، أسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان، وقيل: بين الحديبية وخيبر. وكان النبي ﷺ يدنيه ويقربه لمعرفته وشجاعته، وولاه غزاة ذات السلاسل، وولاه عمر فلسطين. ثم ولي مصر في زمن معاوية سنة ٣٨هـ، إلى أن مات سنة إحدى وستين، وقيل: ثلاث وأربعين.
انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٥٥)، و«الإصابة» لابن حجر: (٣/ ٣٢٢).

عائشة. (قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها»[1]. وقال لفاطمة ـ رضي الله عنها ـ: «يا بنية[2]، ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى. قال: فأحبي عائشة»[3])[4].

وقال للحسن: «اللهم إني أحبه فأحبه، وأحب من يحبه[5]][6].

وأمثال هذا كثير[7].

فوصف نفسه بمحبة الأشخاص وقال: «إني أبرأ إلى كل خليل من خلته، ولو كنت متخذًا من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً»[8].

فعلم أن الخلة أخص[9] من مطلق المحبة بحيث هي[10] من كمالها

---

(١) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب (١)، ح٢٣٨٤، عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». قلت: من الرجال؟ قال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: عمر فعد رجالاً.

(٢) في «ش»: «بنته».

(٣) الحديث بطوله في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب فضل عائشة (١٣)، ح٢٤٤٢، عن عائشة، وفيه: «أيْ بنية، ألستِ تحبين ما أحب؟» فقالت: بلى. قال: «فأحِبِّي هذه».

(٤) ما بين القوسين الصغيرين ساقط من «س».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب فضائل الحسن والحسين ـ رضي الله عنهما ـ (٨)، ح٢٤٢١، عن أبي هريرة بلفظه، إلا أن بدل: «وأحب» قوله: «وأحببت».

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من «د»، إلا قوله: «وقال لفاطمة بنته: ألا تحبين ما أحب؟ قالت: بلى».

(٧) في «د»: «كثيرة».

(٨) سبق تخريجه في (ص٤١٣) تحت رقم (٥).

(٩) قوله: «الخلة أخص» بياض في «د».

(١٠) في «س»: «نفى» وهذا تصحيف وهو خطأ.

وتخللها المحب[1] حتى[2] يكون[3] المحبوب بها محبوبًا لذاته لا لشيء آخر؛ إذ المحبوب لشيء غيره، هو مؤخر في الحب عن ذلك الغير، ومن كمالها لا تقبل الشركة والمزاحمة[4]؛ لتخللها المحب، ففيها كمال التوحيد وكمال الحب. فالخلة[5] أيضًا تنافي[6] المزاحمة، أو تقدم الغير بحيث يكون المحبوب محبوبًا لذاته محبة لا يزاحمه فيها غيره، وهذه المحبة لا تصلح إلا لله ـ تعالى ـ فلا يجوز أن يشركه[7] غيره[8] فيما يستحقه من المحبة، وهو محبوب لذاته وكل[9] ما يحب غيره إذا كان محبوبًا بحق فإنما يحب لأجله، وكل ما أحب لغيره فمحبته باطلة، فالدنيا ملعونة معلون ما فيها إلا ما كان لله ـ تعالى[10].

وإذا كانت الخلة كذلك، فمن المعلوم أن من أنكر أن يكون الله محبوبًا لذاته ينكر مخاللته. وكذلك أيضًا إن أنكر محبته لأحد من عباده

---

(١) في «ص» و«د» و«ش»: «للحب»، وفي «ص»: «للحب بحب».

(٢) «حتى» ساقط من «ص» و«س» و«ش»، وفي «ص» بدلاً منها: «أن».

(٣) في «س» و«ش»: «بكون».

(٤) الواو ساقط من «س» و«ص» و«ش»، وفي «س»: «المتزاحمة».

(٥) في «س» و«ص» و«ش»: «ومن الخلة».

(٦) في «ص»: «ما ينافي»، وفي «ش»: «ما تنافى».

(٧) في «س»: «بشرك».

(٨) «غيره» ساقط من «ص».

(٩) في «س»: «وكما» وهو خطأ لأنه تصحيف.

(١٠) أخرج الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد، (٣٧)، باب (١٤)، ح٢٣٢٢، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم أو متعلم». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

فهو ينكر أن يتخذه خليلاً، بحيث يحب الرب ويحبه[1] العبد على أكمل ما يصلح للعبادة[2]. وكذلك تكليمه لموسى عليه السلام أنكروه؛ لإنكارهم أن يقوم به صفة من الصفات[3]، أو فعل من الأفعال، فكما ينكرون أن يتصف بحياة أو قدرة أو علم، أو أن يستوي أو يجيء، فكذلك[4] ينكرون أن يتكلم أو يكلم[5]. فهذا حقيقة قولهم: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ[6] تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[7]، لكن لما كان الإسلام ظاهرًا والقرآن متلوًّا لا يمكن جحده لمن أظهر الإسلام. أخذوا يلحدون في أسماء الله ويحرفون الكلم عن مواضعه فتأولوا محبة العباد له بمجرد محبتهم لطاعته أو التقرب إليه. وهذا جهل عظيم فإن محبة التقرب إلى المتقرب[8] إليه تابع لمحبته وفرع عليها[9].

فمن لا يحب الشيء لا يمكن أن يحب التقرب إليه؛ إذ التقرب[10] وسيلة ومحبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود، فيمتنع أن تكون الوسيلة إلى

---

(١) في «ص»: «كلما يحب ذلك العبد».
وفي «س» و«ش» ساقط قوله: «ويحبه».
(٢) في «ص» و«د»: «للعباد».
(٣) قوله: «صفة من الصفات» ساقط من «ش».
(٤) في «س» و«ش»: «وكذلك».
(٥) «أو يكلم» ساقط من «ص».
(٦) قوله تعالى: ﴿مثل قولهم﴾ ساقط من «ص».
(٧) سورة البقرة، الآية: ١١٨.
(٨) في «ش»: «التقرب» وهذا تصحيف وهو خطأ.
(٩) في «س» و«ش» و«ص»: «وفرع عليه».
(١٠) قوله: «إليه إذ التقرب» ساقط من «ش».

الشيء[١] هي[٢] المحبوب[٣] دون، الشيء المقصود بالوسيلة، وكذلك العبادة والطاعة. وإذا قيل في المطاع المعبود: إن هذا يحب[٤] طاعته وعبادته فإن محبة ذلك تبع لمحبته، وإلا فمن لا يحب لا تحب[٥] طاعته وعبادته، ومن كان لا يعمل لغيره إلا لعوض[٦] يناله منه، أو لدفع عقوبة، فإنه يكون معاوضًا له[٧] أو مفتديًا منه، لا يكون محبًّا له[٨]، ولا يقال: إن هذا يحبه، ويفسر ذلك بمحبته طاعته وعبادته[٩]، فإن محبة المقصود وإن استلزمت محبة الوسيلة أو غير محبة[١٠] الوسيلة، فإن ذلك يقتضي أن يعبر[١١] بلفظين: محبة العوض، والسلامة عن محبة العمل، أما محبة الله فلا تعلق لها بمحبة مجرد[١٢] العوض.

---

(١) «إلى الشيء» ساقط من «س» و«ش».

(٢) في «س» و«ش»: «في» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٣) في «ص»: «المحبوبة».

(٤) في «ص»: «تجب».

(٥) في «س»، و«د» و«ش»: «يحب».

(٦) في «د»: «لغرض».

(٧) «له» ساقط من «ص».

(٨) قوله: «مفتديًا منه، لا يكون محبًّا له» ساقط من «ص».

(٩) «وعبادته» ساقط من «س».

(١٠) اتفقت النسخ «س» و«ص» و«ش» و«د» على عبارة لا يستقيم عليها الكلام وهي «أو غير محبة المقصود عن محبة الوسيلة»، وما أثبت في النص بدلاً عنها وهو «أو غير محبة الوسيلة» من مطبوعة «الفتاوى»: (١٠/ ٧٠)، ومطبوعة الخطيب: (ص٦٩)، وبها يستقيم الكلام.

(١١) في «د»: «تقتضتي أن يغير» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(١٢) في «د»: «بمجرد»، وفي مطبوعة «الفتاوى» (١٠/ ٧٠)، ومطبوعة الخطيب (ص٦٩): «بمجرد محبة».

ألا ترى أن من استأجر أجيرًا بعوض لا يقال: إن الأجير يحبه لمجرد[1] ذلك. بل قد يستأجر الرجل من لا يحبه بحال، بل من يبغضه. وكذلك من افتدى[2] نفسه بعمل من[3] عذاب[4] معذب لا يقال: إنه يحبه، بل يكون[5] مبغضًا له، فعلم أن ما وصف الله به عباده المؤمنين من أنهم يحبونه[6] يمتنع أن لا يكون معناه إلا مجرد[7] محبة العمل الذي ينالون[8] به بعض الأعراض[9] المخلوقة من غير أن يكون ربهم لا يحب[10] أصلاً[11].

وأيضًا فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل كما تقدم[12] ولهذا كان الحب للبشر[13] على طبقات:

أحدها: العلاقة ـ وهو تعلق القلب بالمحبوب.

ثم الصبابة ـ وهو انصباب القلب إليه.

---

(١) في «س» و«ش»: «بمجرد».

(٢) في «س»: «أفدى» وهذا تصحيف.

(٣) في «د»: «عن».

(٤) في «س»: «عذاب الله» وهو خطأ من الناسخ.

(٥) في «ص»: «بل كثيرًا ما يكون».

(٦) في «ش» و«س»: «يحبوه به» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٧) في «س» و«د» و«ش»: «بمجرد».

(٨) قوله: «العمل الذين ينالون» بياض في «د».

(٩) في «د»: «الأعواض»، وفي «س» و«ش»: «الأغراض».

(١٠) في «د»: «محبوبًا»، وفي «س» و«ش»: «محبوبًا به».

(١١) «أصلاً» بياض في «د».

(١٢) تقدم في (ص. . . ، وما بعدها).

(١٣) «للبشر» ساقط من «د».

ثم الغرام ـ وهو الحب اللازم.

ثم العشق، وآخر المراتب هو التتيم[1]، وهو التعبد للمحبوب[2].

والمتيم[3] المعبد[4]، وتيم الله عبد الله.

فإن المحب يبقى قلبه معبدًا[5] مذللاً[6] لمحبوبه. وأيضًا فاسم الإنابة إليه يقتضي[7] المحبة أيضًا، وما أشبه ذلك من الأسماء كما تقدم. وأيضًا فلو كان هذا الذي قالوه حقًّا لكان ذلك مجازًا لما فيه من الحذف، والإضمار والمجاز لا يطلق إلا بقرينة[8] تبين المراد. ومعلوم أن ليس في كتاب الله وسنة رسوله ما ينفي أن يكون الله محبوبًا، وأن لا يكون المحبوب[9] إلا الأعمال لا في[10] الدلالة[11] المتصلة ولا[12] المنفصلة، بل ولا في العقل أيضًا، وأيضًا[13] فمن علامات المجاز صحة

(١) في «س»: «التتميم» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٢) في «س»: «المحجوب» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٣) في «س»: «المتم» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٤) في «د»: «المبعد» وهذا تصحيف وهو خطأ، وفي «س»: «المعبود» وهذا تحريف خطأ.

(٥) في «د»: «مبعد» وهذا تصحيف، وفي «س»: «معبودًا» وهذا تحريف وكلاهما خطأ.

(٦) في «س»: «مذلولا».

(٧) في «س» و«ش»: «تقتضي».

(٨) في «ص»: «القرينه».

(٩) في «س»: «محبوبا».

(١٠) قوله: «الأعمال لا في» بياض في «د»، وفي «س» ساقط: «لا».

(١١) في «د»: «الأدلة».

(١٢) «لا» ساقط من «س».

(١٣) «وأيضًا» ساقط من «ص» و«د» و«س».

إطلاق نفيه[1]، فيجب أن يصح[2] إطلاق القول: بأن الله لا يُحَبُّ ولا يُحِب، كما أطلق إمامهم الجعد بن درهم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليمًا، ومعلوم[3] أن هذا ممتنع بإجماع المسلمين.

فعلم دلالة الإجماع على أن هذا ليس مجازًا، بل هي[4] حقيقة، وأيضًا فقد فرق الله[5] بيّن محبته ومحبة العمل له، في قوله تعالى: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾[6]. كما فرق[7] بين محبته ومحبة رسوله، في قوله تعالى: [﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾][8] فلو كان المراد بمحبته ليس إلا محبة العمل، لكان هذا تكريرًا أو من باب عطف الخاص على العام، وكلاهما على خلاف ظاهر الكلام الذي لا يجوز المصير إليه إلا بدلالة تبين المراد. وكما أن محبته لا يجوز أن تفسر بمجرد محبة رسوله، فكذلك لا يجوز تفسيرها بمجرد محبة العمل له. وإن كانت محبته تستلزم محبة رسوله ومحبة العمل به، وأيضًا فالتعبير بمحبة الشيء عن مجرد محبة طاعته لا[9]

---

(١) بياض في «ص» محل «نفيه».

(٢) في «س»: «ألا يصح» وهو خطأ مخالف لما قبله.

(٣) في «س» و«ش»: «وممنوع» وهذا تحريف وهو خطأ.

(٤) «هي» ساقطة من «د».

(٥) لفظ الجلالة ساقط من «س» و«د» و«ش».

(٦) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

(٧) «كما فرق» ساقط من «س».

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(٩) «لا» ساقط من «ص» و«س» وهو بياض في «س» وفي «د»: «تكون»، وفي مطبوعة «الفتاوى» (١٠/ ٧٢)، ومطبوعة الخطيب (ص٦٩): «لا عن محبة نفسه»، و«لا» التي أثبتت في النص من نسخة العراق.
=

بمحبة[1] نفسه أمر[2] لا يعرف في اللغة لا حقيقة ولا مجازًا، فحمل الكلام عليه تحريف محض أيضًا[3].

وقد قررنا في مواضع من القواعد[4] الكبار أنه لا يجوز أن يكون غير الله محبوبًا مرادًا لذاته، كما لا يجوز أن يكون غير الله موجودًا بذاته، بل لا رب إلا الله، ولا إله غيره. والإله: هو[5] المعبود الذي[6] يستحق[7] أن يحب لذاته، ويعظم لذاته، بكمال[8] المحبة والتعظيم، وكل مولود يولد[9] على الفطرة، فإن الله[10] سبحانه فطر القلوب على أنه ليس في محبوباتها ومراداتها ما تطمئن إليه وتنتهي إليه إلا الله وحده، وإلا فكل[11] ما أحبه المحب[12] من[13] مطعوم[14] وملبوس ومنظور ومسموع

---

(١) في «د»: «محبة نفسه».

(٢) في «د» و«س»: «أمرا».

(٣) «أيضًا» ساقط من «س» و«ش».

(٤) انظر على سبيل المثال: «الفتاوى» لابن تيمية: (١٠/ ٦٠٧)، وانظر: «قاعدة المحبة» المخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود برقم (٩٣٣) فيلم.

(٥) في «ش»: «وهو الإله».

(٦) «الذي» ساقط من «ش».

(٧) في «ش»: «المستحق».

(٨) في «س» و«د» و«ش»: «كمال».

(٩) «يولد» ساقط من «س» و«ش».

(١٠) في «ص»: «فالله».

(١١) في «د»: «فما»، وفي «س» و«ش»: «كما».

(١٢) في «د»: «المحبوب»، وفي «س» و«ش»: «المحبين» وهو خطأ بدليل الضمير في «نفسه».

(١٣) «من» ساقط من «س» و«ش».

(١٤) في «س»: «فطعوم»، وفي «ش»: «فمطعوم» وكلاهما تصحيف.

وملموس، يجد في[1] نفسه أن قلبه يطلب شيئًا[2] سواه، ويحب أمرًا غيره يتألهه، ويصمد إليه، ويطمئن إليه[3] ويرى ما يشبهه[4] من هذه الأجناس، ولهذا قال سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[5].

وفي الحديث الصحيح عن عياض بن حمار[6] عن النبي ﷺ عن الله تعالى أنه قال: «إني خلقت عبادي حنفاء، فاجتالتهم الشياطين، وَحَرَّمَتْ عليهم ما أَحْلَلتُ لهم، وأمَرَتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا»[7].

كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة[8]

---

(١) في «س» و«ش»: «من».

(٢) «شيئًا» ساقط من «س» و«ش».

(٣) «ويطمئن إليه» ساقط من «ص».

(٤) في «د»: «ما أشبهه».

(٥) سورة الرعد، الآية: ٢٨.

(٦) عياض بن حمار بن أبي حمار المجاشعي الدارمي التميمي نزل بالبصرة من كرام الصحابة، وروى عن النبي ﷺ ثلاثين حديثًا ومات سنة خمسين من الهجرة ـ رضي الله عنه ـ. انظر: «مشاهير علماء الأمصار»: (ص٤٠).

(٧) هو حديث طويل أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب (٥١)، باب (١٦)، ح٢٨٦٥/٦٣، عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني. يومي هذا كل مال نحلته عبدًا حلال. وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم. وحرمت عليهم ما أحللت لهم. وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا . . .» إلخ الحديث.
وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٤/ ١٦٢) من حديث عياض بن حمار المجاشعي.

(٨) بياض في «د».

بهيمة[1] جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء». ثم يقول أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: اقرأوا إن شئتم ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[2]، وأيضًا فكل[3] ما فطرت القلوب على محبته من[4] نعوت الكمال فإن[5] الله هو المستحق [لأعلى الكمال[6]، وكل ما في غيره من محبوب فهو منه[7] سبحانه وتعالى، فهو المستحق][8] لأن يحب على الحقيقة والكمال وإنكار محبة العبد لربه، هو[9] في الحقيقة إنكار لكونه[10] إلهًا معبودًا[11]، كما أن[12] إنكار محبته لعبده يستلزم

---

(١) «بهيمة» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٢) سورة الروم، الآية: ٣٠.

والحديث في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الجنائز (٢٣)، باب (٧٩)، ح١٣٥٨، عن أبي هريرة بلفظ نحوه.

وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب القدر (٤٦)، باب (٦)، ح٢٦٥٨/ ٢٢، عن أبي هريرة بلفظ نحوه.

(٣) في «ص»: «فكما» وهذا تصحيف.

(٤) «من» ساقط من «ص».

(٥) في «ص»: «فالله».

(٦) في «د»: «له على الكمال»، وفي «س»: «لكل كمال».

(٧) «منه» ساقط من «س».

(٨) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(٩) في «د»: «فهو».

(١٠) في «س» و«ص» و«ش»: «كونه».

(١١) في «س»: «إله»، وفي «ش»: «معبود» وهو خطأ.

(١٢) «أن» ساقط من «س».

إنكار مشيئته، وهو مستلزم[1] إنكار كونه ربًّا خالقًا، فصار إنكارها[2] مستلزمًا[3] لإنكار كونه رب العالمين. ولكونه إله العالمين[4]، وهذا هو[5] قول أهل التعطيل والجحود، ولهذا اتفقت الأمتان[6] قبلنا على ما عندهم من مأثور[7] وأحكام عن[8] موسى وعيسى صلوات الله عليهما وسلامه أن أعظم الوصايا[9]: أن تحب الله بكل قلبك وعقلك وقصدك[10]. وهذا هو[11] حقيقة الحنيفية ملة إبراهيم، التي هي أصل شريعة[12] التوراة والإنجيل[13] والقرآن، وإنكار ذلك هو مأخوذ عن المشركين[14]

---

(١) في «س» و«ش»: «يستلزم».

(٢) في «ص»: «إنكارهما».

(٣) في «س»: «مستلزم».

(٤) قوله: «ولكونه إله العالمين» ساقط من «س».

(٥) «هو» ساقط من «س».

(٦) في «ص»: «الأنبياء» وهذا تحريف وهو خطأ.

(٧) في «س» و«ص» و«ش»: «أمور».

(٨) «عن» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٩) في «س» و«ص» و«ش»: «الوصية التي هي أن يا موسى» وجاء في الكتاب المقدس إنجيل متى (٢٢/ ٣٦ ـ ٣٧)، في بيان الوصية العظمى ما نصه: (.. قائلًا يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع: تحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الأولى والعظمى) اهـ.

(١٠) «وقصدك» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(١١) «هو» بياض في «د».

(١٢) «شريعة» ساقط من «س» و«ص» و«ش»، وفي «س» و«ش» و«ص»: «في التوراة».

(١٣) «والإنجيل» بياض في «د».

(١٤) في «ص»: «من شركة الصابئين»، وفي «س» و«ش» هكذا: «مما يسر له»، وفي «ص»: «والصابئون» وهو خطأ؛ لأن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه.

والصابئين أعداء إبراهيم الخليل، ومن وافقهم على ذلك من متفلسف أو متكلم أو متفقه أو مبتدع[1] أخذه من هؤلاء[2]، وظهر ذلك في القرامطة الباطنية من[3] الإسماعيلية[4]، ولهذا قال الخليل إمام الحنفاء صلوات الله عليه وسلامه: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[5].

وقال أيضًا[6]: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[8]، وهو السليم من الشرك.

وأما قولهم: إنه لا مناسبة بين المحدث والقديم توجب محبته له وتمتعه[9]

---

(١) «أو مبتدع» ساقط من «س» و«ش».

(٢) قوله: «أو متفقه أو مبتدع أخذه من هؤلاء» بياض في «ص».

(٣) «من» ساقط من «ص».

(٤) القرامطة من الباطنية، وهم الذين ينتسبون إلى حمدان بن الأشعث الذي كان يلقب بقرمط، وأشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنًا، ولكل تنزيل تأويلًا، وقد ادعى بعض دعاتهم ميمون بن ديصان أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فسموا بالإسماعيلية، مع أن محمد بن إسماعيل مات صغيرًا ولم يعقب.

انظر: «الفرق بين الفرق» للبغدادي: (ص٢٦٥ ـ ٢٩٩)، و«الملل والنحل» للشهرستاني: (ص١٩١ ـ ١٩٨).

(٥) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ ـ ٧٧.

(٦) «أيضًا» ساقط من «ص».

(٧) سورة الأنعام، الآية: ٧٦.

(٨) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ ـ ٨٩.

(٩) في «ش»: «تمنعه»، وفي «س»: تمتع»، وكلاهما تصحيف وهو خطأ.

بالنظر إليه[1] فهذا[2] الكلام مجمل، فإن أرادوا بالمناسبة أنه ليس بينهما[3] توالد[4] فهذا حق، وإن أرادوا[5] أنه ليس بينهما من المناسبة ما بين الناكح والمنكوح، والآكل والمأكول ونحو ذلك[6]، فهذا[7] أيضًا حق وإن[8] أرادوا أنه لا مناسبة بينهما توجب أن يكون أحدهما محبًّا عابدًا، والآخر محبوبًا معبودًا[9]، فهذا هو رأس المسألة، فالاحتجاج به مصادرة[10] على[11] المطلوب. ويكفي في ذلك المنع. ثم يقال:

---

(١) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الاستقامة»: (٢/ ٩٧) أن هذا القول قد ذكره أبو المعالي الجويني في «الرسالة النظامية» وقال: وذكره أبو الوفاء بن عقيل في بعض كتبه.

(٢) في «ش»: «فلهذا» وهذا تصحيف.

(٣) «بينهما» ساقط من «س» و«ش».

(٤) في «س» و«ش»: «بولد» وهذا تصحيف.

(٥) في «ش»: «أراد» وهذا تصحيف.

(٦) في «د»: «هذا».

(٧) في «س»: «وهذا».

(٨) في «س»: «فإن».

(٩) في «ص»: «محبا»، وفي «ش»: «معبود»، وكلاهما تصحيف وهو خطأ.

(١٠) في «ص» و«د»: «معادره»، وفي «س» و«ش»: «معاذره»، وما أثبتناه في النص من مطبوعة «الفتاوى» لابن تيمية: (١٠/ ٧٤).

(١١) في «د»: «عن».

والمصادرة على المطلوب: هي التي تجعل النتيجة جزء القياس أو يلزم النتيجة جزء من القياس، كقولنا الإنسان بشر، وكل بشر ضحاك ينتج الإنسان ضحّاك فالكبرى ههنا والمطلوب شيء واحد؛ إذ البشر والإنسان مترادفان وهو اتحاد المفهوم فيكون الكبرى والنتيجة شيء واحد.

انظر: «التعريفات» للجرجاني: (ص٣٣١).

بل[١] لا مناسبة تقتضي المحبة الكاملة إلا المناسبة[٢] التي بين المخلوق والخالق الذي لا إله غيره، الذي هو في السماء إله وفي الأرض إله وله المثل الأعلى في[٣] السموات والأرض. وحقيقة قول هؤلاء جحد كون الله معبودًا[٤] في الحقيقة، ولهذا وافق[٥] على هذه المسألة طوائف من صوفية[٦] المتكلمين الذين ينكرون أن يكون الله محبًا في الحقيقة، فأقروا بكونه محبوبًا ومنعوا كونه[٧] محبًّا لأنهم تصوفوا مع ما كانوا عليه من قول أولئك المتكلمة، فأخذوا عن الصوفية مذهبهم[٨] في المحبة، [وإن كانوا قد يختلطون[٩] فيه، وأصل إنكارها إنما هو قول المعتزلة ونحوهم من الجهمية][١٠]. فأما[١١] محبة الرب عبده فهم لها أشد إنكارًا ومنكروها[١٢] قسمان:

---

(١) «بل» ساقط من «ص».

(٢) قوله: «إلا المناسبة»: ساقط من «ص».

(٣) «في» ساقط من «د».

(٤) في «ش»: «معبود» وهذا تصحيف.

(٥) في «ش»: «وفق» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٦) في «د»: «صوفة».

(٧) «كونه» ساقط من «ش».

(٨) في «س»: «مذهبه» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٩) في «ص»: «يغلطون».

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ش».

(١١) في «ص»: «وأما».

(١٢) في «س»: «ومكروها» وهذا تصحيف وهو خطأ.

قسم يتأولونها بنفس المفعولات التي يحبها العبد، فيجعلون محبته[1] نفس خلقه. وقسم يجعلونها نفس إرادته لتلك[2] المفعولات. وقد بسطنا الكلام في[3] ذلك في «قواعد الصفات والقدر» وليس هذا موضعها.

ومن المعلوم أنه قد دل الكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة[4] على أن الله يحب ويرضى ما أمر بفعله من واجب ومستحب، وإن لم يكن ذلك موجودًا وعلى أنه[5] قد يريد وجود أمور يبغضها ويسخطها من الأعيان والأفعال؛ كالفسوق والكفر[6]، وقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾[8].

والمقصود هنا: إنما هو في ذكر محبة العباد لإلههم، وقد تبين أن ذلك هو أصل أعمال الإيمان، ولم يكن بين أحد[9] من سلف الأمة من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان نزاع في ذلك. وكانوا يحركون هذه المحبة بما شرع الله أن تحرك به من أنواع العبادات الشرعية، كالعرفان الإيماني، والسماع الفرقاني[10].

---

(١) في «ص»: «محبة» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٢) في «س»: «تلك» وهذا تصحيف.

(٣) في «ص»: «على».

(٤) «سلف» ساقط من «س» و«ص» و«ش»، وفي «س»: «الأئمة» وهذا تحريف وتصحيف.

(٥) «وعلى أنه» بياض في «د».

(٦) في «د»: «كالكفر والفسوق».

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٠٥.

(٨) سورة الزمر، الآية: ٧.

(٩) في «د»: «واحد» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(١٠) قوله: «والسماع الفرقاني» ساقط من «د».

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾[(١)]، ثم إنه لما طال الأمد صار في طوائف من[(٢)] المتكلمة، من المعتزلة وغيرهم من ينكر هذه المحبة[(٣)]، وصار في بعض المتصوفة من يطلب تحريكها بأنواع من السماع المحدث[(٤)]، كسماع التغبير[(٥)]، وسماع

---

(١) سورة الشورى، الآيتان: ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) «من» ساقط من «ش» و«د».

(٣) «المحبة» بياض في «د».

(٤) «المحدث» ساقط من «ص»، وفي طبعة الرياض للفتاوى (١٠/ ٧٦): «والحديث» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٥) في «ش» ومطبوعة «الفتاوى» (١٠/ ٧٦): «كالتغيير»، وفي «د»: «كابتغيير»، وما أثبتناه في النص هو الصواب؛ لأنه من غبر، والتغبير: هو الضرب بالقضيب غبَّر، أي: أثار غبارًا، وهو آلة من الآلات التي تقرن بتلحين الغناء.

انظر: «الاستقامة» لابن تيمية: (١/ ٢٣٨)، وقال في «لسان العرب» لابن منظور (٢/ ٩٥٣) في مادة «غبر»: والمُغَبِّرة قوم يغبِّرون بذكر الله تعالى بدعاء وتضرع كما قال:

عبـــادك المُغَبِّـــرة رُشّ علينـــا المغفـــرة

قال الأزهري: (وقد سموا ما يُطَرِّبون فيه من الشعر في ذكر الله تغبيرًا، كأنهم إذا تَنَاشَدُوهُ بالألحان طربوا فرقصوا وأرْهجوا فسموا مغبرة لهذا المعنى. وقال الأزهري: وروينا عن الشافعي ٦ أنه قال: أرى الزنادقة وضعوا هذا التغبير ليصدوا عن ذكر الله وقراءة القرآن. وقال الزجاج: سُمّوا مغبِّرين؛ لتزهيدهم الناس في الغانية وهي الدنيا وترغيبهم في الآخرة الباقية) اهـ.

وقد ذكر ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»: (ص٢٣٠) ما ذكرناه من «لسان العرب».

المكاء[1]، والتصدية. فيسمعون من الأقوال[2] والأشعار ما فيه تحريك جنس الحب الذي يحرك من كل قلب ما فيه من الحب، بحيث[3] يصلح لمحب الأوثان[4] والصلبان والغلمان[5] والإخوان والأوطان والمردان والنسوان، كما يصلح لمحب[6] الرحمن، ولكن كان الذين[7] يحضرونه من الشيوخ يشترطون له المكان والإمكان والخلان[8]، وربما اشترطوا له الشيخ الذي[9] يحرس من الشيطان، ثم[10] توسع في ذلك غيرهم حتى خرجوا فيه إلى أنواع من المعاصي، بل إلى أنواع من الفسوق، بل خرج فيه

---

(١) في «ش»: «اليكا».
(٢) في «ش»: «الأقوال».
(٣) في «ص»: «فحيث» وهو خطأ.
(٤) في «س» «ش»: «الأفكار».
(٥) «الغلمان» ساقط من «د».
(٦) في «س» و«ص» و«ش»: «لحب» وهو خطأ.
(٧) في «ش» و«ص» و«د»: «الذي».
(٨) حكى عن الجنيد أنه قال: السماع يحتاج إلى ثلاثة أشياء، الزمان، والمكان، والإخوان. انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٦٤٥).
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: (الذين حضروا هذا السماع من المشايخ الصالحين شرطوا له شروطًا لا توجد إلا نادرًا، فعامة هذه السماعات خارجة عن إجماع المشايخ ومع هذا فأخطأوا. والله يغفر لهم خطأهم فيما خرجوا به عن السنة ـ وإن كانوا معذورين، والسبب الذي أخطأوا فيه، أوقع أممًا كثيرًا في المنكر الذي نهوا عنه) اهـ.
انظر: «التصوف» لابن تيمية في «الفتاوى»: (١١/ ٥٩٧).
(٩) «الذي» ساقط من «س» و«ش».
(١٠) «ثم» ساقط من «س».

طوائف إلى الكفر الصريح، بحيث يتواجدون على أنواع من الأشعار التي فيها الكفر والإلحاد[1] مما هو من أعظم أنواع[2] الفساد.

[وينتج لهم ذلك من الأحوال بحسبه، كما تنتج[3] لعباد المشركين، وأهل الكتاب عباداتهم[4] بحسبها][5]، والذي عليه محققو المشايخ؛ أنه كما قال الجنيد رَحِمَهُ اللهُ[6]: من تكلف السماع فتن به، ومن صادفه السماع استراح به[7]. ومعنى ذلك أنه لا يشرع الاجتماع لهذا السماع المحدث،

---

(١) في «د» و«ش» و«ص» و«ش»: «والاتحاد» وهو خطأ، والذي أثبتناه في النص من مطبوعة «الفتاوى»: (١٠/ ٧٦).

(٢) «أنواع» ساقط من «س» و«ش».

(٣) في «ص» و«د»: «ينتج».

(٤) في «س»: «عبادتهم».

(٥) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(٦) في «س» و«ص» و«ش» و«د»: «رضي الله عنه»، والذي أثبته في النص ضمن مطبوعة «مجموع فتاوى ابن تيمية»: (١٠/ ٧٦).

(٧) في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٦٤٥): (سمعت الجنيد يقول: السماع فتنة لمن طلبه، ترويح لمن صادفه).

والجنيد: هو أبو القاسم الجنيد محمد بن الجنيد البغدادي، اشتهر بلقب سيد الطائفتين (الصوفية) وإمامهم، أصله من نهاوند، وُلد ونشأ بالعراق وكان أبوه يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريري، وكان فقيهًا على مذهب الإمام أبي ثور مات سنة سبع وتسعين ومائتين.

من كلامه: (الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام).

وقال: (من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، أي: التصوف؛ لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال: علمنا هذا مشيد بحديث رسول الله ﷺ. =

ولا يؤمر به، ولا يتخذ ذلك دينًا وقربة. فإن القرب والعبادات إنما تؤخذ عن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم[1]، فكما أنه لا حرام[2] إلا ما حرمه الله فلا دين[3] إلا ما شرعه الله.

قال الله[4] تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[5]، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[6] فجعل محبتهم لله[7] موجبة لمتابعة رسوله[8] وجعل متابعة رسوله[9] موجبة لمحبة الله لهم.

قال أُبيٌّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه[10] ما من عبد على السبيل والسنة ذكر الله تعالى [فاقشعر جلده من مخافة الله إلا تحاتت عنه خطاياه كما يتحات[11] الورق اليابس عن الشجر، وما من

---

= انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/١١٦ ـ ١١٩)، و«الحلية» لأبي نعيم: (١٠/٢٥٥)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٢/٤١٦ ـ ٤٢٥).

(١) في «د»: «عن الرسول ﷺ».

(٢) في «ش»: «لا حرم» وهذا تصحيف.

(٣) في «س»: «ولا دين» وهذا تصحيف.

(٤) لفظ الجلالة ساقط من «ص»، و«د».

(٥) سورة الشورى، الآية: ٢١.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣١، وقوله تعالى: ﴿والله غفور رحيم﴾ ساقط من «ص» و«س» و«د».

(٧) في «س» و«ش»: «له».

(٨) في «ص»: «الرسول».

(٩) في «ص»: «الرسول».

(١٠) في «س»: «فإنما».

(١١) في «د»: «يحاث» وهذا تصحيف وهو خطأ.

عبد على السبيل والسنة ذكر الله][1] خاليًا ففاضت عيناه من خشية الله إلا لم تمسه النار أبدًا، وإن اقتصادًا في سبيل[2] وسنة، خير من اجتهاد في خلاف[3] سبيل وسنة، فاحرصوا أن تكون[4] أعمالكم إن كانت اقتصادًا أو اجتهادًا على منهاج الأنبياء وسنتهم[5]. وهذا[6] مبسوط في غير[7] هذا الموضع.

فلو كان هذا مما يؤمر به ويستحب، وتصلح[8] به القلوب، للمعبود المحبوب[9] لكان ذلك مما دلت[10] الأدلة الشرعية عليه[11].

ومن المعلوم أنه لم يكن في القرون الثلاثة المفضلة، التي قال فيها النبي ﷺ: «خير القرون قرني[12] الذي بعثت فيه[13]، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»[14].

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من «س».

(٢) في «ش»: «سبيل الله».

(٣) في «س»: «بغير»، وفي «ص» و«ش»: «غير».

(٤) في «س»: «يكون».

(٥) انظر هذا الكلام في «الحلية» لأبي نعيم: (١/ ٢٥٠ ـ ٢٥٦)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (١/ ٤٤٦)، و«الزهد» لابن المبارك: (٤/ ٢١ ـ ٢٢) في زيادة نعيم بن حماد.

(٦) في «د»: «إن هذا».

(٧) «غير» ساقط من «ش».

(٨) في «ش» و«د» و«س»: «يصلح».

(٩) في «س» و«ص» و«ش»: «المحمود».

(١٠) في «س» و«ص»: «دلت عليه».

(١١) «عليه» ساقط من «ص».

(١٢) في «ص» و«د»: «القرن».

(١٣) قوله: «الذي بعثت فيه» ساقط من «س» و«ش».

(١٤) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٧، كتاب فضائل الصحابة (٦٢)، باب (١)، ح٣٦٥٠، عن عمران بن حصين ـ رضي الله=

لا في الحجاز[1]، ولا في الشام، ولا في اليمن، ولا في العراق، ولا في مصر، ولا في خراسان، أحد من أهل[2] الخير والدين يجتمع[3] على السماع المبتدع[4] لصلاح[5] القلوب، ولهذا[6] كرهه[7] الأئمة، كالإمام أحمد وغيره، وعند[8] الشافعي هو[9] من إحداث الزنادقة، حين قال[10]: خلفت ببغداد شيئًا[11] أحدثته الزنادقة، يسمونه التغبير[12] يصدون به[13] الناس عن[14] القرآن[15].

---

= عنهما ـ يقول: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم . . . إلخ» الحديث.

(١) في «ص»: «ولا في مصر».

(٢) «أهل» ساقط من «د».

(٣) في «س» و«ش»: «يجمع»، وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٤) «المبتدع» ساقط من «ص».

(٥) في «ص»: «لاصلاح».

(٦) في «د»: «وهذا».

(٧) في «ص»: «كره ذلك»، وفي «س» و«ش»: «كره»، وانظر كلام الأئمة في كراهته في «تلبيس إبليس» لابن الجوزي: (ص٢٢٨ ـ ٢٣٠).

(٨) في «د» بياض، وفي المطبوعة نشر محب الدين الخطيب (ص٧٢): «وعده»، وفي «فتاوى الرياض» لابن تيمية (ص٧٧): «حتى عده».

(٩) «هو» ساقط من «د».

(١٠) «قال» ساقط من «ش».

(١١) في «د» بعد «شيئًا» جملة هي: «يقال له التغبير».

(١٢) قوله: «يسمونه التغبير» ساقط من «د».

(١٣) «به» ساقط من «ص».

(١٤) في «ص»: «به».

(١٥) ذكر هذا الكلام ابن الجوزي في «تلبيس إبليس»: (ص٢٣٠).

وأما ما لم[١] يقصده الإنسان من الاستماع، فلا يترتب عليه نهي[٢] ولا ذم باتفاق الأئمة، ولهذا[٣] إنما يترتب الذم والمدح[٤] على الاستماع، لا على السماع، فالمستمع للقرآن يثاب[٥] عليه، والسامع له بدون قصد وإرادة، لا يثاب على ذلك؛ إذ الأعمال بالنيات.

وكذلك ما ينهى عن استماعه من الملاهي، لو سمعه السامع بدون قصده لم يضره ذلك. فلو سمع السامع بيتًا يناسب بعض حاله فحرك[٦] ساكنه المحمود [وأزعج قاطنه المحبوب، أو بمثل ذلك، ونحو هذا[٧]، لم يكن هذا مما ينهى عنه، وإن[٨] كان[٩] المحمود][١٠] الحسن حركة قلبه التي يحبها الله ورسوله إلى محبته؛ التي تتضمن فعل ما يحبه الله وترك ما يكرهه الله، كالذي اجتاز ببيت[١١] فسمع قائلاً يقول:

كـــل يـــوم تتلـــون غير[١٢] هذا بك أحمد[١٣]

---

(١) «لم» ساقط من «ش».

(٢) في «د»: «لا نهي».

(٣) في «د»: «وهذا».

(٤) في «س» و«ش» و«د»: «الذم والحمد».

(٥) في «س»: «أن يثاب» فزيادة «أن» خطأ.

(٦) في «س» و«ش»: «تحرك» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٧) في «د»: «أو تمثل بذلك ونحو ذلك».

(٨) «وإن» ساقط من «د».

(٩) «كان» ساقط من «س».

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(١١) في «د»: «بيتا».

(١٢) في «س»: «وغير».

(١٣) في «س» و«ش»: «أجمل».

فأخذ منه إشارة تناسب حاله، فإن الإشارات هي[1] من باب القياس والاعتبار وضرب الأمثال. ومسألة السماع كبيرة منتشرة قد تكلمنا عليها في غير هذا الموضع[2].

والمقصود هنا: أن المقاصد المطلوبة[3] للمريدين، تحصل بالسماع الإيماني القرآني النبوي الديني الشرعي، الذي هو سماع النبيين، وسماع العالمين، وسماع العارفين، وسماع المؤمنين، قال الله[4] تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾[5]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾[6]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[7]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

---

(١) «هي» ساقط من «ص».

(٢) انظر على سبيل المثال: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية: (١١/٥٥٧، وما بعدها)، وانظر أيضًا في مسألة السماع كتاب «الاستقامة» لابن تيمية: (١/٢١٦).

(٣) في «ش»: «القاصد المطلوب» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٤) لفظ الجلالة ساقط من «د».

(٥) سورة مريم، الآية: ٥٨.

(٦) سورة الإسراء، الآيات: ١٠٧ ـ ١٠٩، وقوله تعالى: ﴿يبكون﴾ ساقط من «د».

(٧) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

وقوله تعالى: ﴿يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين﴾ ساقط من «س» و«ص» و«ش».

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(1)، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾(2).

وكما مدح المقبلين على هذا السماع، فقد ذم المعرضين عنه، في مثل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ [أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾](3) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(4)، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾(5)، وقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾(6)، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾(7)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(8)، ومثل هذا كثير في القرآن.

وهذا كان(9) سماع سلف الأمة، وأكابر مشايخها، وأئمتها،

---

(1) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(2) سورة الزمر، الآية: ٢٣.

(3) وقوله تعالى: ﴿أولئك لهم عذاب مهين﴾ ساقط من «ص»، وبدلاً منه: «إلى قوله».

(4) سورة لقمان، الآيتان: ٦، ٧.

(5) سورة الفرقان، الآية: ٧٣.

(6) سورة المدثر، الآيات: ٤٩ ـ ٥١.

(7) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٢ ـ ٢٣.

(8) سورة فصلت، الآية: ٢٦.

(9) «كان» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

كالصحابة والتابعين ومن بعدهم من المشايخ، كإبراهيم بن أدهم[(١)] والفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني[(٢)] ومعروف الكرخي[(٣)]، ويوسف بن أسباط[(٤)]، وحذيفة المرعشي[(٥)]، وأمثال هؤلاء[(٦)].

---

(١) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي، يكنى أبا إسحاق، زاهد مشهور، كان من أبناء أهل الغنى، ترك الدنيا وخرج إلى مكة وصحب الثوري وتوفي بالشام سنة ١٦١هـ.
انظر: «صفة الصفوة»: (٤/ ١٥٢ ـ ١٥٨)، و«حلية الأولياء»: (٧/ ٣٦٧).
يقول ابن رجب في «الذيل» (١/ ٤١٨): إن ابن الجوزي جمع أخبار إبراهيم في كتاب مستقل يتكون من ستة أجزاء.
وانظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٥٤ ـ ٥٧)، و«عوارف المعارف» للسهروردي: (١/ ٥٧).

(٢) أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني «وداران» قرية من قرى دمشق، مات سنة خمس عشرة ومائتين، كان يقول: ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أيامًا فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة.
انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٩٦ ـ ٩٨).

(٣) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، نسبة إلى «كرخ» وهي قرية ببغداد وهو من المشهورين بالزهد والورع، وهو من موالي علي بن موسى الرضا ـ رضي الله عنه ـ، أسلم معروف على يده، وكان أبواه نصرانيين، مات سنة مائتين، وقيل: سنة إحدى ومائتين.
انظر: «الرسالة القشيرية»: (١/ ٦٥ ـ ٦٨)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٢/ ٣١٨ ـ ٣٢٤).

(٤) سبقت ترجمته في (ص٣٠٢).

(٥) هو حذيفة بن قتادة المرعشي، اشتهر بالزهد والورع، وصحبه يوسف بن أسباط.
انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٤/ ٢٦٨ ـ ٢٧٠)، و«طبقات الشعراني»: (١/ ٦٢).

(٦) في «د»: «ومثل هؤلاء».

وكان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول لأبي موسى الأشعري: يا أبا موسى، ذكرنا ربنا، فيقرأ، وهم يستمعون[1] ويبكون. وكان أصحاب محمد ﷺ إذا اجتمعوا أمروا واحدًا منهم أن يقرأ والباقي يستمعون، وقد ثبت في «الصحيح»: «أن النبي ﷺ مر بأبي موسى الأشعري، وهو يقرأ فجعل يستمع لقراءته وقال: لقد أوتي مزمارًا[2] من مزامير آل[3] داود»[4].

وقال: «مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فجعلت أستمع لقراءتك، فقال: لو علمت أنك تسمع[5] لحبرته لك تحبيرًا»[6]، أي: لحسنته لك

(١) في «س»: «يسمعون».

(٢) «مزمارا» ساقط من «د».

(٣) «آل» ساقط من «ص» و«ش».

(٤) أخرج مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب صلاة المسافرين (٦)، باب (٣٤)، ح٧٩٣/٢٣٦، عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.
وأخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٩، كتاب فضائل القرآن (٦٦)، باب (٣١)، ح٥٠٤٨، عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.
وأخرجه الترمذي في «السنن» في كتاب المناقب، حديث (٣٩٤٦)، عن أبي موسى ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «يا أبا موسى لقد أعطيت مزمارًا من مزامير آل داود». قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن صحيح.
وأخرجه الدارمي في «سننه»: (٢/ ٤٧٢)، كتاب فضائل القرآن، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرفوعًا بلفظه.

(٥) في «ص»: «تستمع».

(٦) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٣/ ٤٦٦)، في كتاب معرفة الصحابة في مناقب أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ عن أبي بردة بن أبي موسى قال: مر النبي ﷺ=

تحسينًا، وقال ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[١]، وقال: «لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»[٢]. أشد[٣] أذنًا، أي: استماعًا[٤]، كقوله تعالى: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[٥]، أي:

---

= بأبي موسى ذات ليلة ومعه عائشة وأبو موسى يقرأ، فقاما فاستمعا لقراءته ثم مضيا، فلما أصبح أبو موسى وأتى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «مررت بك يا أبا موسى البارحة وأنت تقرأ، فاستمعنا لقراءتك فقال أبو موسى: يا نبي الله، لو علمت بمكانك لحبرت لك تحبيرًا» قال الحاكم: صحيح. وأقره الذهبي.

(١) أخرجه الدارمي في «سننه»: (٢/ص٤٧٤)، كتاب فضائل القرآن، عن البراء مرفوعًا بلفظه.

وأخرجه البخاري في كتابه معلقًا. انظر: «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب التوحيد (٩٧)، باب قول النبي ﷺ: «الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة، وزينوا القرآن بأصواتكم» (٥٢).

وقد أخرجه في كتاب «خلق أفعال العباد»: (ص٤٩ ـ ٥٠)، من رواية عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء ـ رضي الله عنه ـ.

وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده»: (٤/ ٢٨٣) عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في «سننه»: ج١، كتاب إقامة الصلاة (٥)، باب (١٧٦)، ح١٣٤٠، عن فضالة بن عبيد ـ رضي الله عنه ـ بلفظه مع زيادة عند ابن ماجه هي «يجهر به» بعد كلمة «بالقرآن» و«أذنا» بفتحتين بمعنى: استماعا.

وأخرجه البخاري بلفظه في كتابه «خلق أفعال العباد»: (ص٤٩)، عن فضالة بن عبيد ـ رضي الله عنه ـ. وقال في «الزوائد»: إسناده حسن.

والقينة: هي الأمة مغنية أو غير مغنية. انظر: «مختار الصحاح» للرازي: (ص٥٦٠).

(٣) «أشد» ساقط من «س» و«د» و«ش».

(٤) في «ش» و«س»: «اسماعا» وهذا تحريف وهو خطأ.

(٥) سورة الانشقاق، الآية: ٢.

استمعت. وقال ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت، يتغنى بالقرآن يجهر به»[١]، وقال: «ليس[٢] منا من لم يتغن بالقرآن»[٣].

ولهذا السماع من المواجيد[٤] العظيمة، والأذواق[٥] الكريمة، ومزيد المعارف والأحوال الجسيمة، ما لا يسعه[٦] خطاب، ولا يحويه كتاب، كما أن لتدبر[٧] القرآن وتفهمه من مزيد العلم والإيمان ما لا يحيط به بيان.

ومما ينبغي التفطن له: أن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٨].

---

(١) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦)، باب (٣٤)، ح٧٩٢/ ٣، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٢) «ليس» ساقط من «د».

(٣) في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب التوحيد (٩٧)، باب (٤٤)، ح٧٥٢٧، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن». وزاد غيره «يجهر به». وقوله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» قد فسره الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما بأنه من الصوت فيحسنه بصوته، ويترنم به بدون التلحين المكروه، وفسره ابن عيينة وأبو عبيد وغيرهما بأنه الاستغناء به. وهذا وإن كان له معنى صحيح، فالأول هو الذي دل عليه الحديث فإنه قال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن ويجهر به» وفي الأثر: (إن العبد إذا ركب الدابة أتاه الشيطان وقال له: تغن، فإن لم يتغن قال له: تمن» فإن النفس لابد لها من شيء في الغالب تترنم به. فمن لم يترنم بالقرآن ترنم بالشعر. انظر: «الفتاوى» لابن تيمية: (١١/ ٥٣٢).

(٤) انظر كلامنا على الوجد في القسم الأول من هذه الرسالة: (ص٦٢).

(٥) انظر كلامنا على الذوق في القسم الأول من هذه الرسالة: (ص٧٠).

(٦) في «د»: «يستمع له»، وفي «س» و«ش»: «ما لا يتسع له».

(٧) في «د»: «لتدبير» وهذا تصحيف.

(٨) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

قال طائفة من السلف: ادعى قوم على عهد رسول الله ﷺ أنهم يحبون الله تعالى، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾. فبيَّن سبحانه أن محبة الله توجب اتباع الرسول، وأن اتباع الرسول يوجب محبة الله للعبد، وهذه محبة[1] امتحن الله بها أهل دعوى محبة الله، فإن[2] هذا الباب يكثر فيه الدعاوى والاشتباه[3].

ولهذا يروى عن ذي[4] النون المصري[5] أنهم كانوا تكلموا في مسألة

---

(١) في «س» و«ش»: «محنة» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٢) في «د»: «لأن».

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٥٨): (وهذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله، كما ثبت في «الصحيح» عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ولهذا قال تعالى: ﴿إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾، أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض العلماء الحكماء: ليس الشأن أن تحب إنما الشأن أن تحب.

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية فقال: ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾) انتهى كلامه رحمه الله.

(٤) في «ش»: «ذا» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٥) أبو الفيض ذو النون المصري، واسمه: ثوبان بن إبراهيم، وقيل: الفيض بن إبراهيم. وكان أبوه من أهل النوبة، وكان من أهل الورع، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين، وسعوا به إلى المتوكل فاستحضره من مصر فلما دخل عليه وعظه فبكى المتوكل ورده إلى مصر مكرمًا. ومن كلامه: من علامات المحب لله عز وجل متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه. وقيل: توفي في يوم الاثنين لليلتين خلتا من ذي القعدة من سنة ست وأربعين ومائتين. =

المحبة عنده، فقال: اسكتوا عن هذه المسألة لئلا تسمعها النفوس فتدعيها[1]. وقال بعضهم: (من[2] عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده[3] بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده[4] بالرجاء وحده فهو مرجىء، ومن عبده[5] بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد)[6]؛ وذلك لأن الحب المجرد ودعواه تتبسط النفوس فيه حتى تتوسع في أهوائها إذا لم يزعها وازع[7] الخشية لله[8]. حتى قالت اليهود والنصارى: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾[9]. ويوجد في مدعي المحبة من مخالفة الشريعة ما لا يوجد في أهل الخشية، ولهذا قرن الخشية بها في[10] قوله تعالى:

---

= انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي: (٤/ ٣١٥ ـ ٣٢١)، و«الحلية» لأبي نعيم: (٩/ ١٠ ـ ٥)، و«الرسالة القشيرية»: (١/ ٥٨ ـ ٦١).

(١) انظر: «الرسالة القشيرية»: (٢/ ٦٢٢)، وفيهما: (كنا عند ذي النون المصري، فتذاكرنا المحبة، فقال ذو النون: كفوا عن هذه المسألة، لا تسمعها النفوس فتدعيها ثم أنشأ يقول:

الخوف أولى بالمسيء ... إذا تألـه والحـزن
والحب يجمل بالتقي ... وبالنقي مـن الـدرن

(٢) «من» ساقط من «س».

(٣) في «د»: «عبد الله».

(٤) في «د»: «عبد الله».

(٥) في «د»: «عبد الله».

(٦) هذا القول يروى عن مكحول الدمشقي، كما قال ذلك أبو طالب المكي صاحب «قوت القلوب»: (١/ ٢٤٢)، والغزالي في «الإحياء»: (٤/ ١٥٥).

(٧) في «د»: «يدعها وادع» وهذا تصحيف وهو خطأ.

(٨) قوله: «إذا لم يزعها وازع الخشية لله» بياض في «ص».

(٩) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(١٠) «في» ساقط من «د»، وقوله: «في قوله تعالى» ساقط من «س».

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴾(١).

[وكان المشايخ المصنفون في السنة يذكرون في عقائدهم مجانبة من يكثر دعوى المحبة والخوض فيها من غير خشية، لما في ذلك من الفساد، الذي وقع فيه طوائف من المتصوفة وما وقع في هؤلاء من فساد الاعتقاد والأعمال، أوجب إنكار طوائف لأصل طريقة المتصوفة بالكلية، حتى صار المنحرفون صنفين: صنف يقر بحقها وباطلها، وصنف ينكر حقها وباطلها، كما عليه طوائف من أهل الكلام والفقه. والصواب إنما هو الإقرار بما فيها وفي غيرها من موافقة الكتاب والسنة، والإنكار لما فيها وفي غيرها من مخالفة الكتاب والسنة](٢).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٣)، فاتباع سنة رسوله ﷺ وشريعته باطنًا وظاهرًا، هي موجب(٤) محبة الله، كما أن الجهاد في سبيله وموالاة(٥) أوليائه ومعاداة أعدائه هو حقيقتها، كما في الحديث: «أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله»(٦).

---

(١) سورة ق، الآيات: ٣٢ ـ ٣٤.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٤) في «س» و«ص» و«ش»: «توجب».

(٥) في «د»: «بموالاة»، وفي «ص» و«ش»: «موالاة».

(٦) ذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير»: (٢/ ٣٤٣، ح٢٥٣٦)، عن ابن عباس وقال: حسن. وعزاه إلى «مسند الإمام أحمد» و«المستدرك» للحاكم، وذكره في «الأحاديث الصحيحة»: برقم (١٧٢٨).

وفي الحديث: «من أحب[1] لله وأبغض لله، وأعطى لله ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[2].

وكثير ممن يدعي المحبة وهو أبعد من غيره عن اتباع السنة وعن الأمر بالمعروف وعن النهي عن المنكر، والجهاد في سبيله، ويدعي مع هذا أن ذلك أكمل لطريق المحبة [من غيره، لزعمه أن طريق المحبة لله][3] ليس فيه غيره ولا غضب لله، وهذا خلاف لما دل عليه الكتاب والسنة. ولهذا جاء[4] في الحديث المأثور: «يقول الله تعالى يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟[5] اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي»[6]. فقوله: «المتحابون بجلال الله»، تنبيه على ما في قلوبهم من إجلال الله وتعظيمه مع التحاب[7] فيه، وبذلك يكونون حافظين[8] لحدوده، دون الذين لا يحفظون حدوده، لضعف الإجلال في قلوبهم، وهؤلاء هم الذين جاء

---

(١) في «س»: «أحب في الله».

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب صفة القيامة (٣٨)، باب (٦٠)، ح٢٥٢١، عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.
وأخرجه أحمد في «مسنده»: (٣/ ٤٤٠).

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «ش».

(٤) «جاء» ساقط من «س» و«د»، وفي «ش»: «قال».

(٥) في «س» و«ش»: «لجلالي».

(٦) قوله: «يوم لا ظل إلا ظلي» ساقط من «ش».
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة (٤٥)، باب (١٢)، ح٢٥٦٦، عن أبي هريرة بلفظه.

(٧) في «س» هكذا: «اتجاز».

(٨) في «س» و«ش»: «حافظون».

فيهم الحديث: «حقت محبتي للمتحابين فيَّ، [وحقت محبتي للمتجالسين فيّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ]»[(١)].

والأحاديث في المتحابين في الله[(٢)] كثيرة، وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة قال[(٣)]: «سبعة يظلهم الله[(٤)] في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل[(٥)] قلبه معلق[(٦)] بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان تحابا في الله

---

(١) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».
والحديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» بألفاظ متقاربة نحوه: (٥/ ٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٧).
وأخرجه السيوطي في «الجامع الصغير» بشرحه «فيض القدير»: (٤/ ٤٨٨)، عن عبادة ابن الصامت مرفوعًا: «قال الله تعالى: حقت محبتي للمتحابين فيَّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيَّ، وحقت محبتي للمتناصحين فيَّ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ. المتحابون فيَّ على منابر من نور يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء» ورمز له السيوطي بالصحة.
وقال الهيثمي: رجال أحمد والطبراني موثقون.
وذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير»: (٤/ ١١٧، ح٤١٩٧)، عن عبادة بن الصامت. وقال: صحيح. وعزاه إلى «مسند الإمام أحمد» والطبراني والحاكم. وقال في «تخريج الترغيب» (٤/ ٤٧).
والبذل: ضد المنع، وكل من طابت نفسه بإعطاء شيء فهو باذل له.
انظر: «لسان العرب» لابن منظور: (١/ ١٨١)، مادة: «بذل».

(٢) في «س» و«ش»: «المتحابين لله».

(٣) «قال» ساقط من «ش».

(٤) لفظ الجلالة ساقط من «ص».

(٥) في «ش»: «ورجب» وهذا تصحيف وتحريف وهو خطأ.

(٦) في «س» و«د» و«ش»: «متعلق».

واجتمعا على ذلك وتفرقا عليه[(١)]، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت[(٢)] يمينيه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة[(٣)] ذات منصب[(٤)] وجمال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين»[(٥)].

وأصل المحبة: هو[(٦)] معرفة الله سبحانه[(٧)] ولها أصلان: أحدهما: وهو يقال[(٨)] له[(٩)]: محبة العامة[(١٠)]، محبته لأجل[(١١)] إحسانه إلى العباد

---

(١) في «س» و«ش»: «وافترقا عليه».

(٢) في «ص»: «تنفق».

(٣) «امرأة» ساقط من «د» و«ش».

(٤) في «س» و«ص» و«ش»: «نسب».

(٥) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٣، كتاب الزكاة (٢٤)، باب (١٦)، ح١٤٢٣، عن أبي هريرة بلفظ مقارب فيه تقديم وتأخير، وليس فيه قوله: «رب العالمين» وقوله: «إذا خرج منه حتى يعود إليه» ليس في «صحيح البخاري» ولا «صحيح مسلم» وهو في «سنن الترمذي».
وأخرجه الترمذي في «سننه»: ج٤، كتاب الزهد (٣٧)، باب (٥٣)، ح٢٣٩١، عن أبي هريرة أو عن أبي سعيد بلفظ مقارب فيه تقديم وتأخير. وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.
وأخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٢، كتاب الزكاة (١٢)، باب (٣٠)، ح١٠٣١/٩١، عن أبي هريرة بلفظ مقارب فيه تقديم وتأخير وليس فيه قوله: «رب العالمين».

(٦) في «ص»: «هي».

(٧) في «ص»: «تعالى».

(٨) في «د»: «ينال به»، وفي «ش»: «يقول».

(٩) ساقط من «د» و«ش»، وفي «ص»: «أن».

(١٠) في «د»: «محبته التامة».

(١١) في «ص» و«ش»: «محبة».

وهذه المحبة[1] على هذا[2] الأصل لا ينكرها أحد، فإن القلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، والله ـ سبحانه وتعالى ـ هو المنعم المحسن إلى عبده[3] بالحقيقة[4].

فإنه[5] المتفضل[6] بجميع النعم، وإن[7] جرت بواسطة؛ إذ هو ميسر الوسائط، ومسبب الأسباب، ولكن هذه المحبة في الحقيقة إذا لم تجذب[8] القلب إلى محبة الله نفسه، فما[9] أحب العبد في الحقيقة إلا[10] نفسه، [وكذلك كل من أحب شيئًا لأجل إحسانه إليه، فما أحب في الحقيقة إلا نفسه][11]. وهذا ليس بمذموم بل محمود، وهذه المحبة هي المشار إليها بقوله ﷺ: «أحبوا الله لما[12] يغذوكم به[13] من نعمة، وأحبوني لحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي»[14]. والمقتصر على هذه

---

(١) «المحبة» ساقط من «س».

(٢) «هذا» ساقط من «د».

(٣) في «ص»: «عباده».

(٤) قوله: «بالحقيقة» ساقط من «ص» و«س».

(٥) «فإنه» ساقط من «س»، وفي «ش»: «فإن».

(٦) في «ص»: «وهو المتفضل»، وفي «س»: «فالمتفضل».

(٧) «وإن» ساقط من «د».

(٨) في «س» و«ش»: «تجلب» وهذا تصحيف.

(٩) في «ش»: «فمن».

(١٠) في «ش»: «إلى».

(١١) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ش».

(١٢) في «ش»: «ما».

(١٣) «به» ساقط من «ش» و«د» و«س».

(١٤) في «س» و«ص» و«ش»: «أهلي لحبي»، وقد تقدم تخريجه في (ص٤٥٧).

المحبة هو لم يعرف من جهة الله ما يستوجب به[1] أنه[2] يحبه[3]، إلا إحسانه[4] إليه، وهذا كما قالوا: إن الحمد لله على نوعين: حمد هو شكر، وذلك لا يكون[5] إلا على نعمته[6]، وحمد هو مدح[7] وثناء عليه ومحبة له[8]؛ وهو بما يستحقه لنفسه سبحانه. فكذلك الحب، فإن الأصل الثاني فيه: هو محبته لما هو له أصل [وهذا[9] حب من عرف من الله ما يستحق أن يحب لأجله][10] وما من وجه من الوجوه التي يعرف الله[11] بها مما دلت عليه[12] أسماؤه وصفاته، إلا وهو يستحق المحبة الكاملة من ذلك الوجه. حتى جميع مفعولاته إذ كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، ولهذا استحق[13] أن يكون محمودًا على كل حال [ويستحق أن يحمد على السراء والضراء][14]، وهذا أعلى وأكمل وهو حب الخاصة،

---

(١) «به» ساقط من «س» و«د» و«ش».

(٢) «أنه» ساقط من «ص»، وفي «س» و«ش»: «أن».

(٣) في «ص»: «محبة»، وفي «د»: «يحبها».

(٤) في «س» و«ش»: «إلا إلى إحسانه إليه».

(٥) في «د»: «لا يلون» وهذا تحريف وهو خطأ.

(٦) في «ش»: «نعمة».

(٧) «مدح» ساقط من «س» و«ص» و«ش»، وكذلك الواو بعدها ساقطة من «س» و«ص» و«ش».

(٨) قوله: «ومحبة له» ساقط من «س» و«ش».

(٩) الواو ساقطة من «س» و«ش».

(١٠) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».

(١١) لفظة الجلالة ساقط من «س» و«ش».

(١٢) «عليه» ساقط من «س» و«ش».

(١٣) في «ص»: «يستحق».

(١٤) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ش».

وهؤلاء هم الذين يطلبون لذة النظر إلى وجهه الكريم ويتلذذون بذكره ومناجاته، ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك، حتى لو انقطعوا[1] عن ذلك لوجدوا من الألم ما لا يطاق، وهم السابقون كما في الحديث في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: «مر النبي ﷺ بجبل يقال له: جُمْدان[2] فقال: سيروا، هذا جُمْدَان[3] سبق المُفْرِدُون. قالوا: يا رسول الله، من المُفْرِدُون؟ قال: الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات»[4]. وفي رواية أخرى قال: «المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون[5] يوم القيامة خفافًا[6]». وفي[7] حديث هارون بن عنترة[8] عن

---

(١) في «د»: «قطعوا».

(٢) في «س» و«ص» و«ش»: «حمدان» وهذا تصحيف.

(٣) في «س» و«ص» و«ش»: «حمران».

(٤) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب الحث على ذكر الله (١)، ح٢٦٧٦/ ٤، عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمر على جبل يقال له: جُمْدَان فقال: «سيروا، هذا جُمْدَان سبق المُفْرِدُون». قالوا: وما المُفْرِدُون يا رسول الله؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات».

(٥) في «د» و«ص» و«ش»: «فيأتون الله» والذي أثبته في النص من نسخة «س» لموافقتها لفظ الحديث في «سنن الترمذي».

(٦) أخرج الترمذي في «سننه»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (١٢٩)، ح٣٥٩٦، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سبق المفردون». قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟ قال: «المستهترون في ذكر الله، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافًا» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.

(٧) في «د» بعد كلمة «خفافًا»: «هي». و«المستهتر بذكر الله يتولع به ينعم به كلف لا يفتر عنه» وهو في طبعة الفتاوى: (١٠/ ٨٥).

(٨) في «ش» هكذا: «عسرة»، وفي «د» هكذا: «عبرة»، وهذا تحريف. =

أبيه[1] عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: «قال موسى: يا رب، أي عبادك أحب إليك؟ قال: الذي يذكرني ولا ينساني. قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي يطلب علم الناس إلى علمه ليجد كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى. قال: فأي عبادك أحكم[2]؟ قال: الذي يحكم على نفسه كما يحكم على غيره، ويحكم لغيره كما يحكم لنفسه»[3]. فذكر في هذا الحديث[4] الحب والعلم والعدل، وذلك جماع الخير.

ومما ينبغي التفطن له[5]، أنه لا يجوز أن يظن في باب محبة الله تعالى

---

= وهو هارون بن عنترة، بنون ثم مثناة، ابن عبد الرحمن الشيباني أبو عبد الرحمن أو أبو عمرو ابن أبي وكيع الكوفي، لا بأس به. مات سنة اثنتين وأربعين ومائة.

انظر: «التقريب» لابن حجر: (٢/ ٣١٢).

وأبو هارون هو عنترة بن عبد الرحمن الكوفي ثقة، وهم من زعم له صحبة، روى عن ابن عباس، وروى عنه ابنه.

انظر: «التقريب» لابن حجر: (٢/ ٨٩)، و«تهذيب التهذيب»: (٨/ ١٦٢).

(١) في «د» بعد كلمة «عن أبيه»: «نعم به كلف» وهو خطأ من الناسخ.

(٢) في «ص»: «أحلم» وهذا تصحيف.

(٣) لم أجد هذا الحديث عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، والذي وجدته هو ما أخرجه الدارمي في «سننه» في المقدمة: (١/ ١٠٢)، في باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله.

ولفظه هناك: «أخبرنا عبد الله بن موسى عن عثمان بن الأسود عن عطاء قال: قال موسى: يا رب أي عبادك أحكم؟ قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه. قال: يا رب، أي عبادك أغنى؟ قال: أرضاهم بما قسمت له. قال: يا رب أي عبادك أخشى لك؟ قال: أعلمهم بي».

وكذلك أخرجه ابن المبارك في «الزهد»: (ص١٨٨) بلفظ الدارمي وسنده.

(٤) «الحديث» ساقط من «س» و«ش».

(٥) «له» ساقط من «س».

ما يظن في محبة غيره، مما[1] هو من جنس التجني، والهجر والقطيعة[2] لغير سبب، ونحو ذلك مما قد يغلط فيه طوائف من الناس حتى يتمثلوا في حبه بجنس ما يتمثلون به في حب من يصد ويقطع بغير ذنب، أو يبعد من يتقرب إليه وإن غلط في ذلك من غلط[3] من المصنفين[4] في رسائلهم حتى يكون مضمون كلامهم إقامة الحجة على الله، بل[5] لله الحجة البالغة.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، ومن تقرب إليَّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليَّ ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[6]. وفي بعض

---

(١) في «س»: «لما» وهو خطأ.

(٢) التجني: مثل التجرم، وهو أن يدعي عليك ذنبًا لم تفعله. انظر: «لسان العرب» لابن منظور: (٣/ ٥١٩)، مادة: «جنى».
الهجر: ضد الوصل، ويقال: هجرت الشيء هجرًا إذا تركته وأغفلته. انظر: «لسان العرب» لابن منظور: (٣/ ٧٧١)، مادة: «هجر».
والقطيعة: الهجران، والصد ضد الوصل. انظر: «لسان العرب» لابن منظور: (٣/ ١١٩)، مادة: «قطع».

(٣) قوله: «من غلط» ساقط من «ص».

(٤) في «س» و«ص» و«د»: «المتمثلين» وهذا تحريف وهو خطأ.

(٥) في «ص»: «قل فلله».

(٦) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب الحث على ذكر الله (١)، ح٢٦٧٥/ ٢، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب مني شبرًا تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليه ذراعًا تقربت منه باعًا، وإن أتاني=

الآثار يقول الله تعالى: «أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيارتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أؤيسهم من رحمتي: إن تابوا فأنا حبيبهم؛ لأن الله تعالى يحب التوابين[(١)]، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصائب حتى أطهرهم من المعايب»[(٢)].

وقد[(٣)] قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[(٤)]، قالوا: الظلم أن يحمل عليه سيئات غيره، والهضم أن ينقص من حسنات نفسه[(٥)]، وقال[(٦)] تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[(٧)]، وقال: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾[(٨)]. وفي

---

= يمشي أتيته هرولة». وهو في «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١٣، كتاب التوحيد (٩٧)، باب (١٥)، ح٧٤٠٥، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بلفظ نحوه.

(١) في «ص» بعد كلمة «التوابين»: «ويحب المتطهرين».

(٢) ذكر ابن القيم هذا الأثر في كتابه «مدارج السالكين» في موضعين: (١/ ١٩٤ ـ ١٩٥)، وفي (١/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣)، وأشار إلى أنه في «مسند الإمام أحمد» وبحثت عنه في «المسند» فلم أجده، وسألت من له اهتمام بهذا فأخبرني أنه بحث عنه في «المسند» فلم يجده فيه ولا في غيره.

(٣) «قد» ساقط من «س».

(٤) سورة طه، الآية: ١١٢.

(٥) قال ابن كثير في «تفسيره» (ص١٦٦): (لما ذكر الظالمين ووعيدهم، ثنى بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون، أي: لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحد، فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص) اهـ.

(٦) في «ش»: «وقد قال تعالى».

(٧) سورة النحل، الآية: ١١٨.

(٨) سورة هود، الآية: ١٠١، وهذه الآية ساقطة من «س» و«ص» و«ش».

الحديث[1] الصحيح عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى: يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا. يا عبادي، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم. يا عبادي، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي، كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم. يا عبادي، إنكم تذنبون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا[2]، فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي، إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا. يا عبادي، [لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا. يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم اجتمعوا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكي إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر. يا عبادي][3]، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم[4] أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[5].

---

(١) قوله: «وفي الحديث» ساقط من «ص».

(٢) في «س» و«د» و«ش» بدل كلمة «جميعا» عبادة هي: «ولا أبالي»، والذي أثبته في النص من «ص» ورجحناها لموافقتها نص الحديث في «صحيح مسلم».

(٣) ما بين المعقوفين ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٤) في «ش»: «أوفيكم».

(٥) في «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب البر والصلة (٤٥)، باب تحريم الظلم (١٥)، ح٢٥٧٧، عن أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مقارب.

ولهذا كان سيد الاستغفار[1] ما رواه البخاري في «صحيحه»[2] عن شداد بن أوس[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء لك[4] بذنبي، فاغفر لي، فإنه[5] لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها إذا أصبح موقنًا بها فمات في يومه دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسى موقنًا بها فمات لليلته دخل الجنة»[6].

فالعبد دائمًا بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا، فإنه لا يزال يتقلب في أنعم[7] الله وآلائه[8] ولا يزال محتاجًا إلى التوبة والاستغفار.

---

(١) في «د»: «ومن ذلك ما رواه»، وفي «س» و«ش»: «ولما كان ما رواه».

(٢) قوله: «في صحيحه» ساقط من «س».

(٣) شداد بن أوس بن ثابت بن أخي حسان بن ثابت شاعر رسول الله ﷺ، صحابي يكنى أبا يعلى، نزل الشام بناحية فلسطين، ومات بها سنة إحدى وأربعين، وقيل: توفي سنة أربع وستين، قال عبادة بن الصامت: كان شداد بن أوس ممن أوتي العلم والحلم.
انظر: «الإصابة» لابن حجر: (٥/ ٥٢)، وكذلك «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر المطبوع بذيل «الإصابة»: (٥/ ٥٢).

(٤) «لك» ساقطة من «س» و«د» و«ش»، والذي أثبته في النص من «ص» لموافقتها «صحيح البخاري».

(٥) في «س» و«ش»: «إنه»، والذي أثبته في النص من «س» و«د» لموافقتها «صحيح البخاري».

(٦) «صحيح البخاري بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب أفضل الاستغفار (٢)، ح٦٣٠٦، عن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ بلفظ مقارب.

(٧) في «س»: «نعم الله» بإسقاط الألف.

(٨) كلمة «وآلائه» ساقطة من «س».

ولهذا كان سيد ولد آدم وإمام المتقين محمد ﷺ[1] يستغفر في جميع الأحوال.

وقال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري[2]: «يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم[3] [فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة»][4].

وقال عبد الله بن عمر: «كنا نعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد يقول: رب اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم، مائة مرة»[5].

---

(١) «محمد ﷺ» ساقط من «س» و«ص» و«ش».

(٢) في جميع النسخ والمطبوعة «الذي رواه البخاري»، والصحيح أنه في «صحيح مسلم»، ولعل الشيخ رحمه الله ابن تيمية وهم فظنه في البخاري فسبحان من له الكمال على الدوام، أو أن هذا وقع من تصحيف الناسخ والله أعلم.

(٣) في «د» خلط الناسخ بين هذا الحديث وحديث البخاري فقال: «يا أيها الناس توبوا إلى ربكم فإني لأستغفر الله وأتوب إليه . . » إلخ الحديث. وكذلك في مطبوعة «الفتاوى»: (١٠/٨٨).

(٤) ما بين المعقوفين ساقط من «د».

وهذا الحديث أخرجه مسلم في «صحيحه» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٢)، ح٤٢/٢٧٠٢، عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة».

(٥) كلمة: «الرحيم» في «د» بدلاً منها: «الغفور».

هذا الحديث أورده الناسخ في «د» بعد الحديث الذي في «صحيح مسلم»: «إنه ليغان على قلبي»، وكذلك في المطبوعة: (١٠/٨٨) حيث أخره عن مكانه في بقية النسخ.

والحديث في «سنن الترمذي»: ج٥، كتاب الدعوات (٤٩)، باب (٣٩)، ح٣٤٣٤، عن ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان يُعَدُّ لرسول ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة، من قبل أن يقوم: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور». وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

[وقال: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر[1] من سبعين مرة»][2].

وفي «صحيح مسلم»[3] أنه قال: «إنه[4] ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله[5] في اليوم[6] مائة مرة»[7]. ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم[8] الأعمال.

---

(١) في «س» و«ش»: «اثنين وسبعين مرة»، والذي أثبته في النص من «د» لموافقتها «صحيح البخاري».

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من «ص».

والحديث أخرجه البخاري في «صحيحه بشرحه فتح الباري» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١١، كتاب الدعوات (٨٠)، باب (٣)، ح٦٣٠٧، عن أبي هريرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

(٣) في «ش»: «صحيح البخاري»، وهذا تحريف وهو خطأ، والصحيح الذي أثبته في النص.

(٤) كلمة: «إنه» ساقطة من «ش».

(٥) في «ص» زيادة هي: «وأتوب إليه»، وليست في «صحيح مسلم».

(٦) في «د» زيادة هي: «والليلة»، وليست في «صحيح مسلم».

(٧) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج٤، كتاب الذكر (٤٨)، باب (١٢)، ح٢٧٠٢/ ٤١ عن الأغر المزني بلفظه.

وفي «لسان العرب» لابن منظور: (٢/ ١٠٣٩)، مادة: «غين». والمراد بالغين المذكور في الحديث هو: (ما يغشاه من السهو الذي لا يخلو منه البشر، لأن قلبه أبدًا كان مشغولاً بالله تعالى فإن عرض له وقتًا ما عارض بشري يشغله عن أمور الأمة والملة ومصالحها عد ذلك ذنبًا وتقصيرًا فيفزع إلى الاستغفار. قال أبو عبيدة: يعني أنه يتغشى القلب ما يلبسه، وكذلك كل شيء يغشى شيئًا حتى يلبسه فقد غين عليه).

(٨) في «ش»: «الخواتيم» وهذا تصحيف.

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[1]. (وقال بعضهم: أحيوا الليل بالصلاة)[2]. فلما كان وقت السحر أمروا بالاستغفار[3]. وفي «الصحيح»: «أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته استغفر[4] ثلاثًا، وقال: اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام»[5].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ[6] وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[7].

وقد أمر الله نبيه بعد أن بلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده، وأتى بما أمر الله به، مما لم يصل إليه أحد غيره، فقال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧.

(٢) كلمة: «الصلاة» ساقطة من «ص».

(٣) انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» للطبري: (٣/ ١٣٩). وانظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير: (١/ ٣٥٣)، وفيه: عن أنس بن مالك قال: «كنا نؤمر إذا صلينا من الليل أن نستغفر في آخر السحر سبعين مرة».

(٤) في «س»: «يستغفر»، وفي «س»: «استغفر الله».

(٥) «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٥)، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته (٦)، ح٥٩١/ ١٣٥، عن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ بلفظه.

(٦) قوله تعالى: ﴿واذكروه﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أفاض الناس﴾ ساقط من «س»، وكذلك قوله تعالى: ﴿وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾ ساقط من «ص» و«ش»، وبدلاً منه قال الناس: «إلى قوله».

(٧) سورة البقرة، الآية: ١٩٨ ـ ١٩٩.

رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾[1]. ولهذا كان قوام[2] الدين بالتوحيد والاستغفار كما قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟[3] إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[6].

ولهذا جاء في الحديث: «يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار»[7].

---

(١) سورة النصر، وفي «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٦٣): قالت عائشة كان رسول الله يكثر في آخر أمره من قول: «سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه» وقال: «إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان توابًا. فقد رأيتها ﴿إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجًا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا﴾. ورواه مسلم من طريق داود بن أبي هند. وفي «صحيح مسلم» ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي: ج١، كتاب الصلاة (٤)، باب (٤٢)، ح٤٨٤/ ٢٢٠، عن عائشة بلفظ يقارب ما ذكر ابن كثير في «تفسيره».

(٢) كلمة: «قوام» ساقطة من «ص».

(٣) في «ص» و«د»: «أن لا تعبدوا» وهو خطأ.

(٤) سورة هود، الآيات: ١ ـ ٣.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٦.

(٦) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٧) في «ص» و«د»: «وبالاستغفار».

والحديث أخرجه أبو عاصم في كتابه «السنة»: (١/ ٩ ـ ١٠)، طبع المكتب الإسلامي بتخريج الألباني ولفظه هناك: عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ=

وقد[1] قال يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

«وكان النبي ﷺ إذا ركب دابته يحمد الله ثلاثًا، ثم يكبر ثلاثًا، ويقول: لا إله إلا أنت سبحانك ظلمت نفسي فاغفر لي»[3].

وكفارة المجلس التي كان يختم بها المجلس والوضوء[4]: «سبحانك

---

= قال: «عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار فأكثروا منهما فإن إبليس قال: أهلكتهم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء فهم يحسبون أنهم مهتدون فلا يستغفرون».

قال الألباني: (إسناده موضوع، آفته عبد الغفور، وهو أبو الصياح الأنصاري الواسطي قال البخاري: تركوه. وقال ابن حبان: كان ممن يضع الحديث، وعثمان بن مطر ضعيف، وأبو بصير إن كان العبدي الكوفي فهو مقبول عند العسقلاني، وإن كان غيره فلم أعرفه» انتهى كلام الشيخ الألباني.

وفي «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠٧)، قال: ضعيف.

(١) «قد» ساقط من «س».

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٣) في «سنن الترمذي»: ج٥، كتاب الدعوات (٥)، باب (٤٧)، ح٣٤٤٦، عن علي بن ربيعة قال: شهدت عليًّا أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله ثلاثًا، فلما استوى على ظهرها، قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ ثم قال: الحمد لله ثلاثًا، والله أكبر ثلاثًا سبحانك إني قد ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك. قلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ صنع كما صنعت ثم ضحك فقلت من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال: إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب غيرك». قال: هذا حديث حسن صحيح. انتهى.

(٤) كلمة: «والوضوء» ساقطة من «د».

اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»[1].

آخر القاعدة والحمد لله رب العالمين[2]، وصلى الله على نبينا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[3].

---

(١) «سنن الترمذي»: ج٥، كتاب الدعوات، (٤٩)، باب (٣٩)، ح٣٤٣٣، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك». وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح من هذا الوجه لا نعرفه من حديث إلا من هذا الوجه.

(٢) وفي «د»: «تمت التحفة. بحمد الله تعالى وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم). وفي «ش»: «والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. آمين».، وفي «س»: «آخره والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين كان الفراغ منها سنة ألف ومائتين وإحدى وعشرين».

(٣) في «ص» بعد كلمة: «العظيم» هذه العبارة: «علقها لنفسه ولمن شاء الله من بعده العبد الفقير عثمان بن أحمد بن سعيد النجدي الحنبلي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين ونفعه الله بالعلم النافع والعمل الصالح وسائر المسلمين ووافق الفراغ منها الأحد المبارك عاشر رجب المحرم سنة أربع وثمانين ختمت بخير».

# الفهارس

# فهرس الآيات القرآنية



## الفاتحة



## البقرة

## آل عمران

| طرف الآية | الصفحة |
| --- | --- |
| ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم ... (١٣٩)﴾ | ٢١٩، ٣١١ |
| ﴿ولقد كنتم تمنون الموت (١٤٣)﴾ | ٣٥١ |
| ﴿وسيجزي الله الشاكرين... (١٤٤)﴾ | ٢٦٧ |
| ﴿والله يحب الصابرين ... (١٤٦)﴾ | ١٥٧ |
| ﴿منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ... (١٥٢)﴾ | ٤٠١، ١١٩ |
| ﴿فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين (١٥٩)﴾ | ١٨٥، ١٩٤ |
| ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم ... (١٦٠)﴾ | ٣٤٨ |
| ﴿يقولون بأفواههم ما ليس ... (١٦٧)﴾ | ١٠٩، ١٢٤ |
| ﴿الذين قال لهم الناس ... (١٧٣)﴾ | ٣٤٢، ٣٤٨ |
| ﴿... فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين (١٧٥)﴾ | ٢٣٥، ٢٤٥ |
| ﴿... وخافون إن كنتم مؤمنين (١٧٥)﴾ | ٢٤٠ |
| ﴿إن في خلق السموات والأرض... (١٩٠)﴾ [١٩٠، ١٩١] | ٢٥١ |
| ﴿لكن الذين اتقوا ربهم ... (١٩٨)﴾ | ٢٠٠ |
| ﴿وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن ... (١٩٩)﴾ | ٢٧٨ |
| ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا ... (٢٠٠)﴾ | ١٥٥، ١٥٧ |

## النساء

| | |
| --- | --- |
| ﴿وليست التوبة للذين يعملون... (١٨)﴾ | ١٤٥ |
| ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم ... (٢٣)﴾ | ٣٢٨ |

## المائدة

# الأنعام



# الأعراف

## الأنفال

## التوبة

## يونس

## يوسف



## الرعد

| طرف الآية | الصفحة |
|---|---|

## النحل



## الإسراء

## الكهف

| طرف الآية | الصفحة |
|---|---|

## مريم



## طه



## الأنبياء

## الحج



## المؤمنون

| طرف الآية | الصفحة |
| --- | --- |

# النور



# الفرقان



# الشعراء

| طرف الآية | الصفحة |
|---|---|
| ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥)﴾ [٧٥، ٨١] | ٣٨١ |
| ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي... (٨٢)﴾ | ٢٣٠، ١٥٢ |
| ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ (٨٤)﴾ | ١٣٣ |
| ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩)﴾ [٨٨، ٨٩] | ٩٩، ٤٢٧ |

## النمل

| | |
|---|---|
| ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِن... (٦)﴾ | ٣٠٥ |
| ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ... (١٤)﴾ | ١٦٦ |
| ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ... (١٩)﴾ | ٢٧٤ |
| ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي... (٤٠)﴾ | ٢٧٤ |
| ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ... (٤٠)﴾ | ٢٦٨ |

## القصص

| | |
|---|---|
| ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ... (١٠)﴾ | ١٠٠ |
| ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي... (١٦)﴾ | ١٥٣ |
| ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ... (٢١)﴾ | ٢٤٠ |
| ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم... (٥٤)﴾ | ١٥٧ |
| ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ... (٧٩)﴾ [٧٩، ٨٠] | ١٧٦ |

| طرف الآية | الصفحة |
|---|---|

## العنكبوت



## الروم



## لقمان



## السجدة

| طرف الآية | الصفحة |
| --- | --- |
| ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا... ﴿٢٤﴾﴾ | ١٥٦، ٣٥٤ |

# الأحزاب

| | |
| --- | --- |
| ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ... ﴿٤﴾﴾ | ١٠٥ |
| ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... ﴿٢١﴾﴾ | ٢٣١، ٢٤٧ |
| ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... ﴿٢٣﴾﴾ | ١٣٦ |
| ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ... ﴿٢٤﴾﴾ | ١٣٢ |
| ﴿... وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ... ﴿٣٥﴾﴾ | ٢٥٢ |
| ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ... ﴿٣٥﴾﴾ | ٢٧٨، ٢٧٩ |
| ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ... ﴿٣٧﴾﴾ | ٢٤٦ |
| ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ... ﴿٣٩﴾﴾ | ٢٤٥ |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ... ﴿٤١﴾﴾ | ٢٤٩ |
| ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ | ١١٦ |
| ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا... ﴿٧٠﴾﴾ | ١٩٦ |
| ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴿٧٢﴾﴾ | ٢٣٨ |
| ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ... ﴿٧٣﴾﴾ | ١٥٢ |

# سبأ

| | |
| --- | --- |
| ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ... ﴿٩﴾﴾ | ٢٨٢ |

## غافر



## الشورى

| طرف الآية | الصفحة |
|---|---|

## الزخرف



## الدخان



## الجاثية



## الأحقاف



## محمد

## الجمعة



## المنافقون



## التغابن



## الطلاق

* * *

# فهرس الأحاديث

| مسلسل | طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|---|

| مسلسل | طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| ٩٣ | ـ آية الإيمان محبة الأنصار | ٤٠٦ |
| ٩٤ | ـ آية المنافق ثلاث | ١٣٥ |
| ٩٥ | ـ أيكم يحب أن هذا له | ١٧٧ |
| ٩٦ | ـ أيها الناس: أربعوا على أنفسكم | ٢٦٥ |
| ٩٧ | ـ بعثت بالسيف بين يدى الساعة | ١٣٠، ٣٨١ |
| ٩٨ | ـ تدمع العين ويحزن القلب | ٣١٢ |
| ٩٩ | ـ تقوى الله وحسن الخلق | ٢٠٤ |
| ١٠٠ | ـ تمرق مارقة على حين مرقة | ٢٩٦ |
| ١٠١ | ـ ثلاث لا يغل عليهن قلب | ١٠٥، ١٢٧ |
| ١٠٢ | ـ ثلاث من كن فيه وجد بهن | ٨٦، ٩٣، ٣٧٢، ٤٠٥ |
| ١٠٣ | ـ حسبنا الله ونعم الوكيل قالها | ٣٤٢ |
| ١٠٤ | ـ حتى يقال للرجل ما أجلده | ١٧١ |
| ١٠٥ | ـ حقت محبتي للمتحابين في | ٤٤٨ |
| ١٠٦ | ـ خصلتان من كانتا فيه | ٢٧٠ |
| ١٠٧ | ـ خير الحديث كتاب الله | ١٨٣ |
| ١٠٨ | ـ خير القرون قرني | ٤٣٥ |
| ١٠٩ | ـ ذاق طعم الإيمان | ٩٢، ٢٠٨، ٣٥٧، ٣٧٢ |

| مسلسل | طرف الحديث | الصفحة |
| --- | --- | --- |

| مسلسل طرف الحديث | | الصفحة |
|---|---|---|

| مسلسل | طرف الحديث | الصفحة |
|---|---|---|
| ١٨٦ | من ذكرني في نفسه | ٤٥٤ |
| ١٨٧ | من رأى منكم منكراً | ١٧١ |
| ١٨٨ | من سعادة ابن آدم | ٢٠٩، ٣٥٨ |
| ١٨٩ | من عمل عملاً ليس عليه | ٢٦١ |
| ١٩٠ | من قال سبحان الله وبحمده | ٢٦١ |
| ١٩١ | من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له | ٢٦١ |
| ١٩٢ | من مات يشهد أن لا إله | ١٠٨ |
| ١٩٣ | من لا يشكر الناس | ٢٦٩ |
| ١٩٤ | المؤمن القوي خير | ١٩٢، ٣٣٦ |
| ١٩٥ | موضع سوط أحدكم في الجنة | ١٧٨ |
| ١٩٦ | هل كنت تدعو بشيء | ٢١٥، ٣٥٠ |
| ١٩٧ | وأسالك خشيتك | ٢٤٧ |
| ١٩٨ | والله إني لأحبك | ٢٦٩، ٤١٤ |
| ١٩٩ | والله إني لأستغفر الله | ١٤٢ |
| ٢٠٠ | والله ما لدينا في الآخرة | ١٧٧ |
| ٢٠١ | والله يا رسول الله لأنت أحب | ٤٠٦ |
| ٢٠٢ | ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال | ٢٣٩ |
| ٢٠٣ | وعظنا رسول الله | ٨٩ |
| ٢٠٤ | والذي نفسي بيده أنكم أحب الناس إلي | ٤١٤ |

* * *

# فهرس الآثار

| مسلسل | طرف الأثر | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ٥٨ | من سره أن يكون أقوى الناس | ١٩٢، ٣٤٠ |
| ٥٩ | من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق | ٤٤٥ |
| ٦٠ | من عمل بما علم أورثه | ٢٩٨ |
| ٦١ | نعم العبد صهيب | ٤٠٤ |
| ٦٢ | هذه الأمة يوم القيامة أثلاث | ١١٤ |
| ٦٣ | هل أخذت طريقًا ذا شوك؟ | ٢٠٤ |
| ٦٤ | هو ألا يعصي الله طرفة عين | ١٩٨ |
| ٦٥ | هو أن يطاع الله فلا يعصى | ١٩٨ |
| ٦٦ | هي التي لا عودة بعدها | ١٤٣ |
| ٦٧ | والله لوددت أني | ٢٤٣ |
| ٦٨ | وجدنا خير عيشنا بالصبر | ١٦٠ |
| ٦٩ | وددت أني أنجو | ٢٤٣ |
| ٧٠ | يا بني أرج الله | ٢٢٩ |
| ٧١ | يا بني كل هؤلاء في الجنة | ١١٤ |
| ٧٢ | يبعثون يوم القيامة | ١٢١ |
| ٧٣ | يخشع القلب | ٢٧٩ |
| ٧٤ | يا آل بيت رسول الله | ٣٦٨ |
| ٧٥ | يا صاحب الرقبة | ٢٧٩ |

* * *

# فهرس اللغة

* * *

# فهرس الشعر



* * *

# فهرس الأعلام المترجم لهم

| مسلسل | العلم | الصفحة |
| --- | --- | --- |

| مسلسل | العلم | الصفحة |
|---|---|---|
| ٥٥ | صهيب بن سنان الرومي . . . | ٣٩٢ |
| ٥٦ | عبادة بن الصامت . . . | ٢٧٨ |
| ٥٧ | العباس بن عبد المطلب . . . | ٤٠٧ |
| ٥٨ | عبد الله بن عباس . . . | ٣٠٤ |
| ٥٩ | عبد الله بن عمرو بن العاص . . . | ٣٤٠ |
| ٦٠ | عبد الله الحمار . . . | ٢٩٤ |
| ٦١ | عبد الله بن مسعود . . . | ٣٠٠١ |
| ٦٢ | عبد الرحمن بن أبي ليلى . . . | ٤٠٠ |
| ٦٣ | عبد الرحمن بن سباع بن ضياء الدين أبو محمد الفزاري . . . | ٤١ |
| ٦٤ | عبد الرحمن بن سمرة . . . | ٣٥٢ |
| ٦٥ | عبد الرحمن بن علي أبو الفرج ابن الجوزي . . . | ٧٦ |
| ٦٦ | العرباض بن سارية . . . | ٨٩ |
| ٦٧ | علي بن أبي طالب . . . | ٣٢٣ |
| ٦٨ | عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير . . . | ٤١ |
| ٦٩ | عمار بن ياسر . . . | ٣٤٩ |
| ٧٠ | عمران بن حصين . . . | ٣٢٢ |
| ٧١ | عمرو بن عبيد . . . | ٤١١ |
| ٧٢ | عمرو بن العاص . . . | ٤١٥ |
| ٧٣ | عنترة بن عبد الرحمن الكوفي . . . | ٤٥٣ |

* * *

# فهرس الفرق



* * *

# فهرس المصادر والمراجع


١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ابن تيمية حياته وعصره/ محمد أبو زهرة/ دار الفكر العربي.

٣ ـ ابن تيمية/ محمد يوسف موسى/ دار مصر للطباعة.

٤ ـ أخلاق العلماء/ أبو بكر الآجري/ طبع دار الدعوة بالإسكندرية.

٥ ـ إحياء علوم الدين/ أبو حامد الغزالي/ دار القلم بيروت لبنان.

٦ ـ الأذكار/ للنووي/ المكتبة العلمية بيروت لبنان الطبعة الثانية ٤٠٣ ـ ٩٨٣م.

٧ ـ الاستقامة/ ابن تيمية/ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم/ الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م. طبع جامعة الإمام محمد بن سعود.

٨ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ ابن عبد البر/ بذيل الإصابة لابن حجر الطبعة الأولى سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٣م.

٩ ـ الاستغاثة المعروفة بالرد على البكري/ ابن تيمية/ وبهامشه الرد على الإخنائي، طبع المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦هـ. بأمر الملك عبد العزيز آل سعود.

١٠ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة/ ابن الأثير/ طبعة دار الشعب بالقاهرة سنة ١٣٦٩هـ ـ ١٩٦٠م.

١١ ـ الإصابة في تمييز الصحابة/ ابن حجر العسقلاني/ بهامشه الاستيعاب لابن عبد البر/ مطبعة مصطفى محمد/ مصر. طبعة سنة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م.

١٢ ـ الأعلام العلية/ للبزار/ تحقيق زهير الشاويش/ طبع المكتب الإسلامي،

الطبعة الثانية ١٣٩٦ هجرية .
١٣ ـ الأعلام/ خير الدين الزركلي/ الطبعة الثالثة .
١٤ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان/ ابن القيم/ تحقيق محمد حامد الفقي دار المعرفة بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م .
١٥ ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون/ إسماعيل باشا البغدادي دار العلوم الحديثة . بيروت لبنان .
١٦ ـ الإيمان/ ابن أبي شيبة/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني/ نشر دار الأرقم بالكويت .
١٧ ـ الإيمان/ لأبي عبيد القاسم بن سلاّم/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني/ نشر دار الأرقم ـ الكويت .
١٨ ـ الإيمان/ ابن تيمية/ المجلد السابع من الفتاوى/ تصوير الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ . جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد .
١٩ ـ البداية والنهاية/ ابن كثير/ مكتبة المعارف بيروت . الطبعة الأولى سنة ١٩٦٦م .
٢٠ ـ تاريخ الأمم والملوك/ للطبري/ دار الفكر بيروت طبع سنة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩م .
٢١ ـ تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي/ دار الفكر بيروت .
٢٢ ـ تاريخ التراث العربي/ فؤاد سزكين/ طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الطبعة الأولى سنة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
٢٣ ـ التاريخ الكبير/ الإمام البخاري/ الطبعة الأولى سنة ١٣٦٠هـ دائرة المعارف العثمانية . حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند .
٢٤ ـ التبصرة في القراءات السبع/ لمكي بن أبي طالب/ تصحيح وتعليق محمد

غوث الندوي/ طبع الدار السلفية، بومباي الهند سنة ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩م.
٢٥ ـ تحفة الأحوذي بشرح الترمذي/ محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، دار الفكر الطبعة الثالثة ١٩٩هـ. ١٩٧٩م.
٢٦ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي/ دار إحياء التراث العربي.
٢٧ ـ التصوف/ ابن تيمية/ المجلد الحادي عشر من الفتاوى جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد. الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ.
٢٨ ـ التعرف لمذهب أهل التصوف/ للكلاباذي/ تحقيق محمود أمين النواوي. مكتبة الكليات الأزهرية/ القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.
٢٩ ـ التعريفات للجرجاني/ مكتبة لبنان طبع سنة ١٩٧٨م.
٣٠ ـ تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير/ دار المعرفة بيروت. طبع في ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.
٣١ ـ تقريب التهذيب/ ابن حجر العسقلاني/ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف. طبع دار الكتاب العربي للقاهرة سنة ١٣٨٠هـ. ١٩٦٠م.
٣٢ ـ تقريب النشر في القراءات العشر/ لابن الجزري/ طبع مصطفى البابي الحلبي وأولاده الطبعة الأولى سنة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.
٣٣ ـ تهذيب الأسماء واللغات/ للنووي/ دار الكتب العلمية بيروت/ طبع المنيرية بدون تاريخ.
٣٤ ـ تهذيب التهذيب/ لابن حجر العسقلاني/ الطبعة الأولى سنة ١٣٢٥هـ. حيدر آباد ـ الهند.
٣٥ ـ تلبيس إبليس/ لابن الجوزي/ قدم له وخرج أحاديثه محمود مهدي إستانبولي، مؤسسة علوم القرآن دمشق سنة ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٣٦ ـ تنبيه الغافلين/ نصر بن محمد السمرقندي/ وبهامشه بستان العارفين له أيضًا/ دار المعرفة بيروت لبنان.
٣٧ ـ التوبة/ الحارث المحاسبي/ تحقيق: عبد القادر أحمد عطا/ دار الإصلاح بمصر.
٣٨ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد/ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب/ مكتبة الرياض الحديثة. البطحاء.
٣٩ ـ جامع البيان في تفسير القرآن/ ابن جرير الطبري/ وبهامشه غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري/ دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٤٠ ـ جامع بيان العلم وفضله/ ابن عبد البر/ دار الفكر لبنان.
٤١ ـ الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي/ الطبعة الثالثة دار الكتب المصرية دار الكتاب العربي بيروت لبنان طبع سنة ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
٤٢ ـ الجامع الصغير مع شرحه فيض القدير/ للسيوطي/ الطبعة الثالثة سنة ١٣٩١هـ ـ ١٩٨٢م.
٤٣ ـ جامع الرسائل/ لابن تيمية/ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم/ الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.
٤٤ ـ جامع العلوم والحكم/ لابن رجب/ دار المعرفة بيروت لبنان.
٤٥ ـ جلاء العينين في محاكمة الأحمدين/ لابن الألوسي البغدادي/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٤٦ ـ حلية الأولياء/ للأصفهاني/ الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.
٤٧ ـ الخطط (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)/ أحمد بن علي المقريزي/ طبعة الأميرية ببولاق القاهرة ١٢٧٠ هجرية.

٤٨ ـ خلق أفعال العباد/ الإمام البخاري الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
مؤسسة الرسالة بيروت لبنان.

٤٩ ـ درء تعارض العقل والنقل/ ابن تيمية/ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الرياض.

٥٠ ـ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين/ محمد بن علان الصديقي/ دار الكتاب العربي. بيروت لبنان.

٥١ ـ الذيل على طبقات الحنابلة/ لابن رجب/ دار المعرفة بيروت لبنان.

٥٢ ـ الرسالة التدمرية/ ابن تيمية/ الطبعة كلية الشريعة بالرياض.

٥٣ ـ الرسالة القشيرية/ لأبي القاسم القشيري/ تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف/ دار الكتب الحديثة بالقاهرة ـ مطبعة حسان.

٥٤ ـ الرسالة المدنية/ ابن تيمية/ الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ. نشرها قصي محب الدين الخطيب. طبع السلفية.

٥٥ ـ رياض الصالحين/ للنووي/ راجعه رضوان محمد رضوان.
دار الكتاب العربي بيروت لبنان سنة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٦ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد/ ابن القيم/ الطبعة الثالثة ١٩٧٣م. دار الفكر بيروت لبنان.

٥٧ ـ الزهد/ الإمام أحمد/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٥٨ ـ الزهد/ لابن المبارك/ تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٥٩ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة/ الألباني/ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

المكتب الإسلامي.
٦٠ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة/ الألباني/ الطبعة الثالثة. المكتب الإسلامي.
٦١ ـ السلوك/ لابن تيمية/ المجلد العاشر من الفتاوى. جمع وترتيب عبد الرحمن ابن قاسم وابنه محمد. تصوير الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ.
٦٢ ـ سنن ابن ماجه/ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي/ طبع دار الفكر بيروت.
٦٣ ـ سنن أبي داود/ إعداد: عزة الدعاس/ الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م دار الحديث حمص سورية.
٦٤ ـ سنن الترمذي/ تحقيق أحمد محمد شاكر/ دار إحياء التراث العربي لبنان.
٦٥ ـ سنن النسائي/ أبو عبد الرحمن النسائي/ الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ. تصوير دار الفكر بيروت لبنان.
٦٦ ـ السنة/ لابن أبي عاصم/ تخريج محمد ناصر الدين الألباني/ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. المكتب الإسلامي.
٦٧ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ ابن العماد الحنبلي/ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ.
٦٨ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة/ أبو القاسم اللالكائي/ تحقيق د/ أحمد سعد حمدان/ دار طيبة الرياض.
٦٩ ـ شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات» لابن تيمية/ الطبعة الثانية سنة ١٤٠٠هـ. المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة. نشرها قصي محب الدين الخطيب.
٧٠ ـ شرح العقيدة الطحاوية/ ابن أبي العز الحنفي/ تحقيق شعيب الأرنؤوط. مكتبة دار البيان بدمشق. الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٧١ ـ شرح العقيدة الطحاوية/ لابن أبي العز الحنفي/ تخريج الألباني. الطبعة الثالثة.
٧٢ ـ شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد/ محمد بن صالح العثيمين. مكتبة الرشد بالرياض طبع مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣/ ١٩٨٣.
٧٣ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية/ مرعي بن يوسف الكرمي/ تحقيق نجم عبد الرحمن خلف/ دار الفرقان الطبعة الأولى ١٤٠٤/ ١٩٨٣.
٧٤ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته/ للألباني/ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م. المكتب الإسلامي.
٧٥ ـ صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري/ ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي/ وإخراج محب الدين الخطيب/ مكتبة الرياض الحديثة/ البطحاء.
٧٦ ـ صحيح مسلم/ الإمام مسلم/ تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية. الرياض.
٧٧ ـ صفة الصفوة/ لابن الجوزي/ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٩هـ. مطبعة الأصيل ـ حلب.
٧٨ ـ صفوة التفاسير/ محمد علي الصابوني/ دار القرآن الكريم. بيروت لبنان الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ.
٧٩ ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته/ محمد ناصر الدين الألباني/ الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م. المكتب الإسلامي بيروت.
٨٠ ـ طبقات الحنابلة/ القاضي أبو يعلى/ دار المعرفة بيروت لبنان.

٨١ ـ طبقات الشافعية الكبرى/ السبكي/ تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي. الأولى ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م. عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٨٢ ـ الطبقات الكبرى/ عبد الوهاب الشعراني/ الطبعة الأولى ١٣٧٣هـ.

٨٣ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين/ ابن القيم/ دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

٨٤ ـ العبودية/ ابن تيمية/ تحقيق محمد حامد الفقي/ مكتبة السنة المحمدية.

٨٥ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين/ ابن القيم/ تصحيح نعيم زرزور. دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٦ ـ العقود الدرية/ ابن عبد الهادي/ تحقيق محمد حامد الفقي/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

٨٧ ـ العلو للعلي الغفار/ للذهبي/ تعليق عبد الرزاق عفيفي، وتصحيح زكريا علي يوسف/ مطبعة أنصار السنة ١٣٥٧هـ ـ ١٩٣٨م.

٨٨ ـ عوارف المعارف/ لأبي حفص السهروردي/ تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف/ دار الكتب الحديثة بمصر. مطبعة السعادة.

٨٩ ـ عوارف المعارف/ للسهروردي/ الملحق بإحياء علوم الدين. دار القلم بيروت لبنان.

٩٠ ـ غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب/ لمحمد السفاريني/ دار العلم للجميع بيروت، ومكتبة البيان النجفية بغداد.

٩١ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ الحسن بن محمد النيسابوري/ المطبوع بهامش جامع البيان في تفسير القرآن للطبري/ دار الفكر بيروت لبنان سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٩٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري/ لابن حجر العسقلاني/ ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي/ إخراج محب الدين الخطيب/ مكتبة الرياض الحديثة الرياض - البطحاء.
٩٣ - الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد/ تأليف أحمد عبد الرحمن البنا. طبع دار التراث بلبنان.
٩٤ - الفَرق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية منهم/ عبد القاهر البغدادي. دار الآفاق الجديدة - بيروت. الطبعة الرابعة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
٩٥ - الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم الظاهري/ وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني/ طبع مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٣٢١ هجرية.
٩٦ - الفوائد/ لابن القيم/ دار العلوم الحديثة بيروت.
٩٧ - فيض القدير شرح الجامع الصغير/ تأليف محمد عبد الرؤوف المناوي، الطبعة الثانية سنة ١٣٩١هـ - ١٩٧٢م. دار المعرفة بيروت لبنان.
٩٨ - القاموس المحيط/ الفيروزآبادي/ دار الجيل بيروت.
٩٩ - قاعدة في المحبة/ لابن تيمية/ مخطوطة مصورة بقسم المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض برقم ٩٣٣ فلم.
١٠٠ - قوت القلوب/ لأبي طالب المكي/ دار صادر بيروت.
١٠١ - الكتاب المقدس/ طبع دار الكتاب المقدس (جمعية دار الكتاب المقدس سابقًا) بدون تاريخ.
١٠٢ - الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة/ الإمام الذهبي/ تحقيق عزت عطية وموسى الموشى الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م. دار الكتب الحديثة بالقاهرة.

١٠٣ ـ الكامل في التاريخ/ ابن الأثير/ دار صادر بيروت.
١٠٤ ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون/ حاجي خليفة/ دار العلوم الحديثة بيروت لبنان.
١٠٥ ـ الكلم الطيب/ ابن تيمية/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني/ طبع المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ.
١٠٦ ـ لسان العرب/ لابن منظور/ إعداد وتصنيف يوسف خياط ومرعشلي دار لسان العرب بيروت. سنة ١٣٨٩هـ.
١٠٧ ـ لسان الميزان/ لابن حجر العسقلاني/ الطبعة الثانية ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م. مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
١٠٨ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية/ جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد/ مصور عن الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ.
١٠٩ ـ مختار الصحاح/ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي/ دار الكتاب العربي لبنان.
١١٠ ـ مختصر سنن أبي داود/ للحافظ المنذري/ تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الأولى سنة ١٣٦٧هـ. مطبعة أنصار السنة المحمدية.
١١١ ـ مختصر منهاج القاصدين/ لابن قدامة المقدسي/ تعليق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط/ مكتبة البيان دمشق. طبع في سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
١١٢ ـ المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد/ تأليف عبد الله الجبوري. مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٧٤م.
١١٣ ـ مدارج السالكين/ ابن القيم/ تحقيق محمد حامد الفقي/ دار الفكر.

١١٤ ـ المستدرك على الصحيحين/ الحاكم النيسابوري/ بذيله التلخيص للحافظ الذهبي/ مكتب المطبوعات الإسلامية ـ حلب.

١١٥ ـ مسند الإمام أحمد بهامشه منتخب كنز العمال/ المكتب الإسلامي. دار صادر بيروت.

١١٦ ـ مسند الإمام الشافعي/ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م. دار الكتب العلمية بيروت. لبنان.

١١٧ ـ مشاهير علماء الأمصار/ محمد بن حبان البُستي/ دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١١٨ ـ معارج القبول/ حافظ الحكمي/ الناشر جماعة إحياء التراث بلبنان.

١١٩ ـ معارج القبول/ حافظ الحكمي/ من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض ـ المملكة العربية السعودية.

١٢٠ ـ المعجم لألفاظ الحديث النبوي/ ترتيب لفيف من المستشرقين. الأولى سنة ١٩٣٦م. نشره د. أ. ي. ونسنك.

١٢١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم/ محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء التراث العربي. بيروت لبنان.

١٢٢ ـ معجم المؤلفين/ عمر رضا كحالة/ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان.

١٢٣ ـ المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار لأبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي/ المطبوع بذيل إحياء علوم الدين للغزالي/ دار القلم بيروت.

١٢٤ ـ مفتاح كنوز السنة/ د. أ. ي. فنسنك/ ترجمه محمد فؤاد عبد الباقي،

إدارة ترجمان السنة. لا هور طبعة سنة ١٣٩٨هـ-١٩٧٩م.

١٢٥ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة/ الإمام محمد السخاوي/ دار الكتب العلمية. بيروت لبنان الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩ هجرية، ١٩٧٩م.

١٢٦ - مقالات الإسلاميين/ لأبي الحسن الأشعري/ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩هـ. مكتبة النهضة بالقاهرة.

١٢٧ - الملل والنحل/ للشهرستاني/ تحقيق محمد سيد كيلاني/ دار المعرفة بيروت لبنان. الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ. ١٩٧٥م.

١٢٨ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال/ الحافظ الذهبي/ تحقيق علي محمد البجاوي/ الطبعة الأولى سنة ١٣٨٢هـ-١٩٧٥م.

١٢٩ - النبوة والأنبياء/ محمد علي الصابوني/ الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م. يوزع مجانًا على نفقة حسن عباس شربتلي.

١٣٠ - نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي (المعروف بالرد على بشر المريسي) تحقيق الشيخ رشيد حسن محمد علي الألمعي رسالة ماجستير بالآلة الكاتبة.

١٣١ - هداية العارفين/ إسماعيل البغدادي/ طبع وكالة المعارف استانبول ١٩٥٥م.

١٣٢ - هذه هي الصوفية/ عبد الرحمن الوكيل/ الطبعة الثالثة ١٩٧٩م. دار الكتب العلمية بيروت لبنان.

١٣٣ - الورع/ الإمام أحمد/ توزيع ونشر دار الباز بمكة المكرمة

١٣٤ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان/ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد/ الطبعة الأولى ١٣٦٧هـ. ١٩٤٨م. مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة.

* * *

# فهرس الموضوعات

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |



* * *

# فهرس الفهارس

| الفهرس | الصفحة |
|---|---|



* * *